جونتشيرو تانيزاكي

نعومي

ترجمة: حنان علي

التكوين

رواية

☒ لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومسبقاً.

جونتشيرو تانيزاكي

نعومي

ترجمة: حنان علي

الطبعة الأولى 2018
© حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة
لـ دار التكوين للتأليف والترجمة والـنشر
هاتـــــف: 00963 112236468
فاكـــــس: 00963 112257677
ص. ب: 11418، دمشق ـ سوريا
taakwen@yahoo.com

مقدمة

للكوارث، أثار عظيمة الشأن في مسيرة البشر، ولها تحولات تتدخلُ في خيارات حياتهم. هذا ما تعرض له الكاتب الياباني جونتشيرو تانيزاكي إبان تعرض مدينة طوكيو ويوكوهاما لزلزال مدمر عام 1923. كارثة بيئية أجبرته على مغادرة مدينة يوكوهاما المشهورة بتحضرها، بعد أن ضمت بمجمل أحيائها سكان من أصول أجنبية. ليهاجر تانيزاكي بعدها إلى أوساكا بأمل العودة بعد إعادة إعمار المدينتين. لكنه بعكس العديد من النازحين لم يرجعْ، ليبقى مقيماً غرب اليابان، زائراً لمدينة طوكيو بين فينة وأخرى.

اشتهر جونتشيرو تانيزاكي بكتابة القصص والمسرحيات والسيناريوهات التي تتسم بالمغامرات، المثيرة للرعب أحياناً. لكن بعد وقوع الزلزال، بدأ بكتابة الروايات فكانت رواية "عشق الأبله" الأولى التي سحلته من المنحدر الذي كاد يهبط فيه. لتصبح حلقة البداية لسلسلة من الروايات المذهلة التي ما انفكّ يكتبها حتى وفاته عام 1965.

"عشق الأبله" تعد أهم ثلاثة أعمال ذاع صيت تانيزاكي يابانياً من خلالها، وقد تُرجمت إلى اللغات الأوروبية تحت مسمى نعومي. روايةٌ جسدتْ الثقافة اليابانية في الفترة التي تمتد بين الحرب العالمية الأولى ووقوع الزلزال.

بالرغم من أن تانيزاكي يعتبر محافظاً على التراث الياباني بما

يخص الأمور الثقافية والجمالية، إلا أن ثقافة الانفتاح السائدة أوائل العشرينات أثرت به، فأضحى داعماً متحمساً لأهمية السينما. معارضاً ساخراً ممن يصف الرقص في المناسبات الاجتماعية بأنه سلوك مشين. وبالتالي كرس تانيزاكي، وقته كله خلال أعوام 1920 و1921 و1922 كتابة السيناريوهات لاستديو يوكوهاما. ونذكر هنا بعض ما كتبه عام 1922:

"تلقت شقيقة زوجتي الصغرى، دروس الرقص على يد صديق غربي. وكانت ابنتي ذات السبعة أعوام أولى تلميذاتها.

أما عني فكان الرقص لا ينفك يثير بي الرغبة لتعلمه. البداية كانت حين مكثتُ أسبوعا في فندق كاجستين في كسورمي بمدينة يوكوهاما بغرض الكتابة. ذات ليلة وفي القاعة المجاورة لقاعة الطعام حيث كنتُ أتناول عشائي، لاحظتُ استمرار الرقص بجو مثير، بما أثار فضولي، فكانتْ دعوة المضيفة هيراوكا لخوض التجربة. راحت السيدة بالفعل تشرح لي أساسيات الرقص، وسرعان ما تعلمها، إلا أن مغادرتي الفندق باكراً لم تتح لي تعلم الرقص ببراعة. كنتُ مقتنعاً أنه علي أن أواصل ما بدأته. لذلك بدأتُ أتلقى دروس الرقص في يوكوهاما حيث أقيم، على يد أستاذ مختص، روسي الأصل يدعى فاسيلي كروبن. حصلتُ مع زوجتي على درسين اسبوعياً في الطابق الثاني لأحد المقاهي. رافقنا في الدروس امرأتين أجنبيتين متزوجتين وابنة طبيب.

كان تعلم الرقص بالنسبة للرجال أصعب منه للنساء. وكنتُ كرجلٍ قد أمضيتُ أكثر من شهر ولم أزل في بداية تعليمي لرقصة فوكس تروت، في حين أن النساء الأخريات تعلمن رقصتين معها خلال زمن أقل.

أقبل الصيف، الجو خانق شديد الرطوبة بما يضعف أداء التمارين. هجرت تلقي الدروس، لكن هذا لم يمنعني عن ارتياد كاجتسين للرقص هناك. متحاشياً الرقص مع غرباء، خاصة مع إدراكي أني أسوأهم. أما صديقي الروائي كومي ماساو (1891-1952) فكان أجرأ مني، وكانت فكرته تناقضُ فكرتي بأن أفضل طريقة للتعلم هي الإقدام، والتوقف عن الدروس والرقص مع شركاء مختلفين. كان العمر عاملاً مهماً في الإسراع بالتعلم، حتى أن طفلتي كانت أفضل مني بكثير.

أيكون للرقص مساوئ؟ حاله حال أيُّ أمر بالحياة. لكني أعتقد أن الرقص صحي للجسد، يجعل من الراقص شاباً مفعماً بالحيوية والطاقة، بما يجعل من ممارسته سلوكاً أهم بكثير من الجلوس في المقاهي. لا يغير من واقع الرقص وأهميته ما يعتقده الآخرون عنه من سوء أو عدمه، الرقصُ ممارسة ينقاد إليها معظم الناس شباباً وكباراً، ولا بد أن ينشر على نطاق أوسع، وهذا ما أتمناه".

من الواضح أن تانيزاكي لا يطيق الجلوس بالمطاعم أو المقاهي، وهذا يظهر جلياً في توصيف المكان الذي عملت به نعومي.

(..... مصابٌ بنفور غريب من المقاهي، لا أخفي أن السبب كامن في ماهية هذه الأماكن التي عادة ما تُخصص في الظاهر لتناول الطعام والشراب، بينما في واقعها، ترنو لجذب الرجال للنساء لتمضية وقت أكثر معهن. أماكن ظليلة غامضة تثير اشمئزازي. لا أدري إن تغير شيء مما كنتُ أراه في هذه المقاهي، لكني أعتقد بالمجمل أنها بؤرة للسعي خلف النساء، أكثر من مشاركتهن الطعام والشراب، ولا يعجبني هذا الأسلوب الوضيع الرخيص. عدا عن الخدمة السيئة التي مهما علا شأنها، لا يزال للشاي رائحة الصدأ، وللبراندي

والويسكي إضافات من الماء. لا أدري حقاً مالذي يجعل زبائن المقهى أو المطعم يتحملون هذا كله!..).

انتشرتْ في أوائل العشرينات ظاهرة الفتاة العصرية. امرأة تحدتْ التقاليد اليابانية فقصت شعرها، ارتدت الثياب الغربية وانتعلت الكعوب العالية. امرأة بدأت بارتياد دور السينما وصالات الرقص والنوادي الرياضية. كانت الفتاة اليابانية في تلك المرحلة تسعى نحو التحرر والاستمتاع بملذات الحياة. فأتت شخصية نعومي لتجسد ذاك الطراز الأول للفتاة العصرية.

أما عن هذا النمط الذي أغرى المرأة اليابانية باتباعه، والشكل الغربي الذي أضفته لسلوك حياتها، فقد عبر عنه تانيزاكي في مقال نشره عام 1931 بعنوان: "الحب والرغبة".

"تجسد تأثير الأدب الغربي الذي دخل مكتباتنا، بأنماط حياتية يابانية جديدة، ومن أهمها من وجهة نظري:

(إطلاق الحرية للحب) أو بمعنى أكثر دقة (إطلاق الأجنحة للرغبات الجنسية).

يذكرنا أدب أصدقاء مجموعة أنكستون، المزدهر بفترة التسعينات من القرن التاسع عشر، بكتابات جساكو إيان فترة توكوجاوا. إلا أن انتشار المذهب الطبيعي، وحركات ميوجو وطغيان عالم الآداب، أفقدنا رسائل أسلافنا وتحذيراتهم من الحب والرغبة الجنسية، الذَيْن اعتبرهما من شؤون الحياة الوضيعة. وسرعان ما تخلينا عن آداب المجتمع القديم.

رغم أن الأدب مرآة عصره، إلا أنه لفترات معينة يستبقُ الزمان ويسير بالقارئ لعصر يختلقه. ومثالي على ذلك بطلتي كلا من روايتي

سانـشيرو وجوبيجنـسو (1908 و1907) بقلـم الكاتـب ناتـسومي سوسيكي، اللتين لم تسردان عبر شخصياتهما، أحداثاً لنساء يابانيـات مثاليـات رقيقـات ومحتـشمات في ذلـك العـصر، وإنمـا مـثلْنَ نـساء بشخصيات غربية، لم يكن ليمثلهما المجتمع الياباني آنذاك.

حين يقوم الأدب بفعلته تلك فإنه يعكـس حلـم مـن حلقـوا في عـالم الأدب، المعاصرين الذين يحملـون الأمـل بظهـور امـرأة واعيـة مـستقلة آجلاً أم عاجلاً. إلا أن الحلم والواقع قـد يتنـافران، كيـف لامـرأة يابانيـة مثقلة بقرون من التقاليد المحافظة أن ترتقي لحياة وأفكار المـرأة الغربيـة، دون أن يتطلـب ذلـك مخاضـات عديـدة علـى الـصعيدين النفـسي والجسدي؟ أمر لن يتحقق في الجيـل المتـبني لمثـل هـذه الأفكـار، فـلا أخفيكم أنني كنت ممن احتضنوا أحلاماً كهذه، وسعيت خلفها، إلا أنـني وقعت في فخ الوحدة والإقصاء حين أدركت صعوبة تحولها إلى واقع".

بدأتْ سلسلة نعومي في آذار عام 1924 بالنشر كحلقات يوميـة في صحيفة أوساكا أساهي، وكان تانيزاكي قد كتب قبل بدء النشر:

".....بالنسبة لشخص بطيء في الكتابـة مثلـي، تحتـاج كتابـة كـل حلقة لعملٍ يستغرق يوماً كاملاً. إن كتابة الرواية ونـشرها في الـصحف عمل مضنٍ. لكنني سواء أحببت ما كتبتُ أم لا، أكان الإلهام مـساندي أم لم يكن، إلا إنني مضطر للكتابة يومياً.

أحاول كتابة حلقة جيدة كل يوم، لكن من تجاربي الـسابقة بالنـشر في الصحف، كنت أستهل الروايات بحلقات ذات جودة عالية لأنتـهي بنهايات ضعيفة. أما السبب فكامن في إكراه نفسي على الكتابة.

لا أرغب، هذه المرة، أن يتكرر الشيء ذاته، لـذا أعـددت نفـسي جيداً، وأتوقع أن يتابع الإلهام والحماس مرافقتي حتى النهاية".

كان رد فعل القراء تجاه الرواية جيداً، إلا أن الرقابة الحكومية كان لها رأي آخر، بما توافق مع وجهة نظر المتشددين المحافظين، فأدت زيادة الضغوط على الصحيفة، للتوقف عن نشر السلسة في حزيران عام 1924 بعد سبع وثمانين حلقة، أي حتى فصل الرواية السادس عشر.

كتب تانيزاكي في تلك الأثناء:

"طلبت مني الصحفية لأسباب خاصة بها ؛أن أتوقف عن نشر سلسلة روايتي نعومي، ولأنه لا خيار لي، فقد أذعنت لطلبها.

إن نعومي الرواية الأثيرة لديَ، ولايزال إلهامي في ذروته وحماسي متقد تجاه إكمالها. لا بد أن أجد مجلة أو صحيفة تتبنى نشر ما تبقى من فصولها.... وهذا وعد مني لقرائي".

هذا ما تم، حيث استأنف تانيزاكي بعد خمسة أشهر، نشر سلسلة نعومي في مجلة جوسي دون توقف حتى نهايتها.

نعومي.. فتاة ولدت عام 1904. بينما جوجي فمولود سنة 1891، أما أول لقاء بينهما فكان في عام 1918 ليستمرا معاً حتى 1926. وبما أن الحلقة الأخيرة من السلسلة تم نشرها عام 1925 فهذا مؤشر على أن تانيزاكي قد كتب الفصل الأخير من روايته موغلاً في المستقبل لعام كامل.

أنطوني تشيمبرز

(1)

كانت علاقتي بزوجتي علاقة لا سابقة لها، سجل ذاكرةٍ ثمينٍ لا رغبة لي بنسيانه. وحكايتي هذه رصيدٌ تنويري للقراء في زمنٍ اتجهت فيه اليابانُ بازديادٍ نحو العالمية حين تمازجَ اليابانيون بحماسة مع الأجانب وأدخلوا لثقافتهم مذاهب وفلسفات جديدة، ونحا الرجل والمرأة تجاه الطراز الغربي، لتبدأ بينهما علاقة لم تكُ معروفة من قبل، وساد التحول تباعاً على كل الأصعدة في البلاد.

سأحاول أن أنسب حقيقة زواجنا إلى ما حدث بيننا وبكل شفافية أقدر عليها. في الواقع، لا أرانا إلا زوجين غريبين منذ البداية. حدث هذا منذ سبع سنين خلت حين التقيتها، وكانت مضيفة في مقهى "الديموند" بالقرب من بوابة أوساكوسا كانون. فتاةٌ تبلغ الخامسة عشرة، تعمل كمضيفةً ناشئة مبتدئة.

لم أفهم لماذا انجذب رجلٌ مثلي في الثمانية والعشرين لطفلة مثلها؟ ربما أول ما لفت انتباهي لها اسمها. كانوا ينادونها بـ"ناو- تشان" عرفت فيما بعد أن اسمها الحقيقي: "نعومي" ويكتب بحروف صينية ثلاثة. الاسم بديعٌ أثار فضولي خاصة إن كُتب بحروف لاتينية. بدأتُ بإيلاء اهتمام خاص بالفتاة والغريب بعد أن عرفت تركيبة اسمها المعقدة بتُّ ألاحظ أنها تتخذ الطراز الغربيّ الذكي بهيئتها. شعرت بعدها بالمسؤولية تجاهها، وبتُّ أفكر كيف لي تركُ فتاة مثلها تعمل مضيفة في هذا المكان.

تشبه نعومي ممثلة السينما الصامتة "ماري بيكفورد" وتتسمُ بمظهرها الغربي، لم تكن هذه وجهة نظري وحدي، كثيرون غيري أجمعوا على هذا. في وقت لاحق وبعد الزواج بدا أن جسدها العاري غربي الملامح كذلك. أما حينها لم يكن بوسعي سوى تخيل جمال تفاصيلها عبر ارتدائها الأنيق لثوب "الكيمونو".

لم أكن واثقاً من ميولها في فترة عملها في المقهى، باستطاعة الوالدين أو الأخت فحسب فهم أحاسيس مراهقة في الخامسة أو السادسة عشرة. نعومي نفسها ستتحدثُ عن لامبالاتها فيما جالت به آنذاك. بدت طفلة هادئة كئيبة بوجه شاحب باهت ونظرة معتلة. محياها يماثل لوحة غير ملونة بقامة شفيفة تتجولُ في المقهى. لم تكن نعومي تستخدم المساحيق المبيضة كالمضيفات الأخريات، ولا تختلط بالزبائن أو بزملاء العمل، اعتادت الاختباء في زاوية ما لتنهي عملها بتوتر مخفي.

أما عني، عن شخصيتي، فأنا مهندس في إحدى شركات الكهرباء. ولدتُ في أوتسونوميا بمحافظة توشيغي. أتيتُ لطوكيو بعد إنهاء دراستي المتوسطة والتحقتُ بالمدرسة التقنية العليا في كوراماي وتعينت مهندساً خلال فترة قصيرة من تخرجي. كنتُ أسافر من شيباغوشي إلى المكتب الكائن في أويماتشي كل يوم عدا الأحد حيث أقطن في غرفة مستأجرة.

قدمت لي الإقامة وحيداً بمعاشِ مئة وخمسين ين شهرياً معيشة سهلة. لم ألتزم، كابن أكبر للعائلة، بإرسال المال لوالديّ أو لأخوتي العاملين بالزراعة على نطاق واسع، إذ تولت أمي وعمتي وعمي الأمور جميعها بعد وفاة أبي. لكن هذا لا يعني أن حياتي كانت صاخبة ممتعة. فأنا موظف نموذجيّ، مقتصد، جاد، تقليدي نزيه. أنجز

عملي دون تذمر أو شكوى. وسريعا ما وُصفتُ أنا "كاواي جوجي" بالرجل المهذب. كنت أداوم على حضور فيلم في المساء لأرفه عن نفسي. أو أتنزه في حي "غينزة" التجاري، أو أزور المسرح الامبراطوري، هذا ما وسعني فعله حينها. أما كشاب أعزب لم أكن أمانع مرافقة الفتيات لولا أني لا أنفكُّ قروياً في أعماقي، محرجاً من إقامة صداقات مع الجنس اللطيف. هذا ما أكدّ للآخرين دون شك أنني رجلٌ جنتلمان. لكن في الواقع، كل صباح بينما أستقل الترام أو أتجول في المدينة، لم أفوت أي فرصة لتفحص النساء عن قرب حتى ظهور نعومي، ذات يوم، أمام ناظري.

لم تكن نعومي الأجمل في العالم، كثيراتٌ عبرنني في الترام أو غينزة أو حتى في أروقة المسرح الامبراطوري. لكن إن تتفوقُ نعومي بجمالها لاحقاً أو لا! هذا أمر الأيام وحدها تخبر عنه. من جهة ثانية، خطتي الأساسية كانت تولي أمور الفتاة والعناية بها بدافع التعاطف من جهة وكسر سأم أيامي الرتيبة بعد أن أرهقتني معيشتي وحيداً. بتُّ أتوقُ لإضافة قليل من الدفء واللون الجديد لحياتي، فكرتُ أن أبني منزلاً، ولو صغيراً، أزخرف الغرف، أزرع الأزهار وأربي الطيور في شرفته المشمسة. لم لا أوظف خادمة للطبخ والتنظيف. إن وافقت نعومي على القدوم لمنزلي، ستقوم بدور الخادمة والطير، هذا بالضبط ما كان يدور برأسي.

قد يستغرب البعض لماذا لا أبحث عن زوجة وأنشئ أسرة تليق بي. لكنني كنت أفتقر لشجاعة الإقدام على الزواج بما يتطلب شروحات مفصلة ؛ أنا رجل منطقي لا يمكنه المضي برعونة في هذا القرار المصيري الذي يضطر الناس عادة فيه لاتباع الطقوس والعادات التي تبدأ بتدابير الزواج بين الطرفين المقترحين عبر

وسيط، ويتم تمهيد لقائهما وفق العرف الياباني المسمى بـ"ميام". وإن وافق الطرفان يتم الاتفاق الرسمي وتبادل هدايا الخطوبة، يحمل بعدها جهاز العروس إلى بيت العريس. ثم موكب الزفاف فشهر العسل تليه زيارة العروس الاحتفالية لمنزل أهلها وفق ترتيبات لا تنتهي من الطقوس التي لا أطيقها. ولو رجع الأمر لي لتزوجت بحرية أكبر وطقوسٍ أقل تعقيداً.

ريفي أنا ذو طبع حاد وسلوك لا تشوبه شائبة. وإذا ما جاز لي أن أعرف عن نفسي بما يضاف لمظهري وسمعتي الجيدة، أجد الكثيرين لمساعدتي في انتقاء عروس مناسبة، لكني في الواقع من يرفض المساعدة. الجمال الخارجي ليس كافياً للتعرف على طبائع الشريك وشخصيته كما أن اختيار امرأة بناء على انطباع عرضي "نعم يناسبني هذا، إنها ذات مظهر جيد" فكرة غاية في الحمق بالنسبة لي. كان نهج إحضار فتاة صغيرة كنعومي لتكبر أمامي، أتزوجها فيما بعد، يكفيني أكثر من الارتباط بابنة رجل ثري أو بامرأة جميلة مثقفة. إن كسب صداقة فتاة ومتابعة تطورها يوماً فيوم في منزل مليء بالبهجة والمرح يضفي للحياة جاذبية وفتنة أكبر من إعداد أسرة لائقة بأساليب تقليدية. أمنيتي باختصار أن أؤسس ونعومي بيتاً كبيت الأطفال مريحاً وبسيطاً. بعيداً عن أجواء الأسر اليابانية الحديثة مرتبة الخزائن والوسائد والمباخر، أو بوجود أزواج وخدم منوطين بأعباء لا تنتهي، منغمسين بمدارات الأقرباء والجيران. كيف يمكن لموظف، مثلي، لا يملك قدراً كبيرا من المال أن يغرق بمجتمع جامد يعقِّدُ ما هو بسيط للغاية.

أطلقت خطوتي الأولى بعد شهرين من معرفتي بنعومي حيث كنت أزور المقهى دورياً وأحادثها كلما سنحت لي الفرصة. وهكذا بدأت ونعومي المولعة بالأفلام نخرج للمسارح في العطل ونتوقف

عند باعة الأطعمة الغربية أو الـ"النودلز". فتاةٌ تلتزم الصمت معظم الوقت حتى أنني لم أدرك هل هي سعيدة أو ضجرة رغم أنها لم ترفض دعوتي للخروج أبداً، فتاة تجيبني كل مرة باقتضاب "حسنٌ" وتمضي حيث أمضي.

ليس لدي أي فكرة عن الرجل الذي تظنني إياه، أو لم تلبي دعواتي. على الأغلب تلك الساذجة البريئة لم تنمو في داخلها أية شكوك أو حذر تجاه الرجل بعد. ربما تراني "جليس طفل" أو عمَّاً لطيفاً راقياً، وبدوري لم أتوقع شيئاً منها بعيداً عن هذه العلاقة، لا تزال تسحرني تلك اللحظات المنسابة كحلم أخاذ، كقصة خرافية، آه لو نعود شريكين بريئين كما كنا.

"هل يمكنك المشاهدة يا نعومي"، وكنا في الصفوف الأخيرة.

"لا أستطيع رؤية أي شيء" تجيب واقفة على رؤوس أصابعها تحاول أن تلتقط المشاهد عبر الرؤوس. "لن تشاهدي شيئاً هكذا" اصعدي فوق الدرابزين واستندي على كتفي". أرفعها وأجلسها على سياج عالٍ فتحدق مغتبطة بالشاشة برجلين متدليتين وبيد تمسك كتفي. "هلَ تستمتعين؟ تجيبني بنعم دون تعبير حقيقي ظاهر، لكني أدرك شغف ملامحها الصامتة، وأرمقُ اتساع حدقتيها الذكيتين".

"نعومي هل أنت جائعة؟" لا أريد شيئاً، وحين تجوع تختار طعاماً غربياً أو "النودلز".

(2)

"تشبهين ماري بيكفورد يا نعومي" قلت لها في إحدى المساءات في مطعم غربي الطراز بعد مشاهدتنا فيلم لماري بيكفورد.

"أوه" امتعضت ونظرت إلي متسائلة عن جملتي المباغتة!

"آلا تعتقدين هذا؟" وكنتُ متشبثاً برأيي.

"لا أعرف إن كنت أشبهها أو لا لكن الجميع يراني أوراسية" أجابتني بلا اكتراث.

"لا يفاجئني هذا، اسمك غريب كذلك، من منحك اسماً معقداً كنعومي؟

"لا أعرف"

"والدك، ربما، أو والدتك؟"

"لستُ متأكدة"

حسنٌ، ماذا يعمل والدك؟

"لا أب لي"

"و والدتك؟"

"والدتي..."

"أخوتك وأخواتك..؟"

أوه، كثر، أخ أكبر وأخت كبرى وصغرى..

مرة تلو المرة تحدثنا بهذا الموضوع، لكن كلما سألتها عن عائلتها تلوح عليها علامات الضيق مراوغة بالإجابة.

لطالما التقينا في المنتزه أو أمام معبد كانون. لم تخلف نعومي لها موعداً يوما، وكنت أحياناً أتأخر لسبب أو لآخر وأسرع معتقداً أنها غادرت، لكني أجدها واقفة دائماً بانتظاري.

"أعتذر نعومي، انتظرتني طويلاً؟"

"نعم" تجيب دونما امتعاض أو غضب صريح.

تأخرت في إحدى المرات وكانت تمطر بشدة. تأثرتُ حين رأيتها جاثية تحت إفريز ضريح قرب البحيرة بانتظاري.

تقابلني نعومي مرتدية كيمونو من الحرير مهترئاً من كثرة الاستخدام، قد يكون كيمونو أختها القديم، تحزم خصرها بحزام من الموسيلين الملون. أما شعرها فترفعه بطريقة تقليدية تناسب عمرها، وتغطي وجهها ببعض المساحيق الفاتحة. بينما تضعُ في قدميها الصغيرتين جوربين يابانيين مرقعين بلون أبيض، ومع هذا فإن مظهرها أنيق جذاب.

حين سألتها لماذا تصفف شعرها على الطريقة اليابانية في العطل؟ تجيب ببساطة: "لأنها تسريحة تشعرني أنني ببيتي". ولا تأتي بإجابة كاملة كعادتها.

أطلب منها على الدوام مرافقتها في الدرب لبيتها. حين يتأخر الوقت، لكنها ترفض كل مرة.

"لا بأس، المنزل قريب، بإمكاني العودة بمفردي. وتغادرني حين نصل لزاوية حديقة الملاهي هانا‌ياشيكي، ملوحة بيدها، راكضة

صوب أزقة سينزوكو. نسيت، لا أهمية للغوص في تفاصيل أحداث ماضية كهذه لكنها كانت محادثات حميمية متمهلة إلى حد ما.

في مساء دافئ نهاية نيسان والمطر يتساقط بلطف. الحركة قليلة في المقهى والمكان هادئ. جلستُ طويلاً أحتسي الشراب بما أوحى أنني سكير عتيق، لكني في الواقع نادراً ما أشرب الخمر. ولأمدّ زمن وجودي طلبت خمراً تحتسيه النساء عادة، وبدأت أرشفه ببطء. حينما وضعت نعومي طعامي تجرأت بفعل الكحول بسؤالها أن تجلس معي.

"ما الأمر؟" جلست مذعنة جواري وأشعلت عود ثقاب بينما كنت أخرجتُ سيجارة شيكيشيما.

"هل يمكننا التحدث بضع دقائق، لا يبدو أنك مشغولة كثيراً الليلة.

- من النادر أن يحدث ذلك.

- هل أنت مشغولة طوال الوقت؟

- من الصبح للمساء، لا أجد وقتاً للمطالعة.

- تحبين القراءة إذاً نعومي؟.

- نعم أحبها.

- ماذا تقرئين؟

- أتصفح جميع المجلات، أقرأ كل ما يُكتب.

- تأثرتُ حقاً، إن كنت ترغبين بالقراءة لهذه الدرجة ينبغي أن تلتحقي بمدرسة للفتيات.

قلت ذلك متقصداً ونظرت لوجهها. ربما آلمها ذلك فحملقت في الفراغ. لكن الحزن واليأس كانا جليين في عينيها.

- نعومي، هل تـودين الدراسـة حقـاً؟ إن كـان هـذا مـا ترغبيـه يمكنني مساعدتك. لكنها حافظت على صمتها، وبنغمـة أكثـر مرحـاً: "قولي لي الآن، ما نوع الدراسة التي تحبينها؟

- أريد أن أدرس الإنجليزية.

- الإنجليزية... وماذا أيضاً.

- الموسيقى.

- حسنٌ إذاً، يجب عليكِ أن تلتحقي بالمدرسة. وسأدفع الرسوم.

- لكنني تأخرت كثيراً، أنا في الخامسة عشرة.

- لا تأخير في الخامسة عشرة للفتيات بعكس الـصبية. إن أردت الإنجليزية والموسيقا فحسب، لا داع أن تـذهبي للمدرسـة، يمكننـا الاعتماد على معلم خاص. ما رأيك نعومي؟ هل أنتِ جادة بالتعلم؟

- بالطبع، أتفعل هذا لأجلي؟

- بالتأكيد، لكن عليك أن تغادري العمل هنا. هل يناسبك هذا؟ إن تركتِ هذه الوظيفة، فلا مـانع لـدي أن أعـتني بـكِ وأحمـل علـى عاتقي مسؤوليتك كاملة، وأنشئك كشابة مميزة.

أجابت دون تردد

- نعم، هذا جيد.

أجفلني ردها الواضح فسألتها:

- هل تعنين أنك ستغادرين عملك؟

- نعم.

- قد يكون الأمر مناسباً لك نعومي، لكن عليك مشورة والدتك وأخيكِ.

- لا أحتاج لأخذ رأيهما، لن يعترضا أبداً.

رغم جوابها هذا إلا أني كنت اعتقد أنها معنية بهم أكثر مما تبدو. لقد تظاهرت بأن لا شي مقلق على ما يبدو كي لا تبوح عن شؤون أسرتها الخاصة. وبدوري لم أتطفل أو أستطلع عن التفاصيل، لكن كان علي لتلبية رغباتها أن أناقش الأمر برمته مع والدتها وأخيها. ورغم طلبي المتكرر بمقابلتهما لم تتحمس وبفتور أنهت جدالنا بعناد غريب: "أنا سأخبرهم".

لا يوجد أي سبب لإثارة غضب نعومي للتقصي عن خلافاتها مع أسرتها. إنها الآن زوجتي، ولأجلها، لأجل اسم السيدة كاواي اتخذت قراري بعدم الخوض بمواضيع كهذه. لا بد أن تنجلي الأمور يوماً، ورغم هذا يمكن لأي أحد تخمين أي نمط من الأسر تلك التي ترسل ابنتها ذات الخمس عشرة سنة لتعمل نادلة في مقهى بعيداً عن بيتها الكائن في سينزوكو، كي تخفي فتاة مثلها مكان سكنها بشدة. ليس هذا فحسب فحينما استطعت مقابلة والدتها وأخيها أخيراً، كانا أبعد ما يكونان عن الاهتمام بعفة الفتاة وحشمتها. أخبرتهما عن وضع مشفقٍ لفتاة تعمل في مقهى وتحلم بالدراسة، وسألتهما أن يودِعاها لي دون أن يكون لدي الكثير لأقدمه لها. إن قامت نعومي بأعمال التنظيف والطهو ستحصل بالمقابل على فرصة التعلم في منزلي في وقت الفراغ. أعلمتهما بشفافية عن ظروفي كأعزب. وحين أنهيت عرضي أجابا بانحطاط: "عرضٌ ممتاز لها". تيقنت حينها بلا معنى مقابلتهما.

أعتقد أن الوجود مذنب في غياب مسؤولية الوالدين تجاه أطفالهما، أما بالنسبة لي فقضية نعومي مؤثرة ومثيرة للشفقة. فتاة في أسرة أكبر من أن تتحمل مسؤوليتها.

- "كنا على وشك أن نجعلها من فتيات "غيشا"[1]. لكنها لم توافق فاضطررنا لإرسالها للمقهى، لا يسعنا تركها لأهوائها.

كان من الواضح أنه عرض جيد للعائلة أن يحمل أحدهم عاتق تنشئة الفتاة. عرفتُ بعدها لماذا تحب نعومي حضور الأفلام بالعطل، إنها لا تطيق البقاء في المنزل.

مع ذلك، كان من حسن حظي وحظ نعومي انحدارها من عائلة كتلك سرعان ما تصل معها إلى تفاهم. بدأنا نبحث يومياً عن بيت للإيجار بعد أن تستأذن من ربِّ عملها، نحتاج بيتاً يلائم قدر الإمكان موقع مكتبي في أويماشي. كنا نلتقي باكراً أيام الآحاد في محظة شيمباشي، أما في بقية أيام الأسبوع ألقاها بعد انتهاء دوامي لنرود ضواحي كاماتا، اوموري، شيناغوان، ميغورو أما في المدينة فنبحث في المناطق المحيطة بتاكاناوا، تاماشي وميتا. أثناء العودة كنا نتناول العشاء معاً ثم نزور صالة السينما ونتمشى على طول غينزا إن سمح الوقت. تعود بعدها لبيتها في سينزوكو وأرجع لشقتي في شيباغوشي. أسبوعان ولم نعثر على ضالتنا، حيث أن البيوت المعروضة للإيجار نادرة في ذاك الوقت.

أناديها نعومي، وتخاطبني بالسيد كاواي، موظف وفتاة برداء متواضع وتسريحة يابانية، جنباً إلى جنب يتجولان في ضواحي أوموري في أحدِ مشرقٍ من آحاد آيار، ماذا سيظن بنا من يرانا معاً؟

---

(1) **الغيشا**: إمرأة يابانية مهمتها الترفيه عن الرجال وبخاصة في الحفلات.

هـل سيعتقدون أننـا سـيد وخادمـة، أخ وأختـه، زوجـاً وزوجـة، أم صديقين؟ بخلاف مـا سـبق كنـا شخـصين خجـولين نـسير بمـرح في نهـارات ربيعيـة متـأخرة. نطـاردُ العنـاوين ونحـدِّق بالمنـاظر حولنـا، بالأشـجار المزهـرة قـرب الـسياج وفي المنتزهـات أو علـى جـانبي الطرقات. كانت الأزهار المتناثرة تومىء بشغف نعـومي بـأنواع غربيـة منها بأسماء إنجليزية لم تكن مألوفة لي. من الواضح أنها تعرفت إليهـا بالمقهى حيث كان مسؤولة عن أصص الأزهار. خلـف البوابـة تتأهـب كل مرة بحماس لتتوقف خلف البيت الزجاجي لزراعة النباتات وتدمع بفرح، يا لها من أزهار، ما أجملها!

- ما هي أكثر الأزهار التي تحبينها نعومي؟

- أحب الزنابق

إن هوسها بالحدائق والحقـول الرحبـة مـا هـو إلا ردة فعـل تجـاه نشأتها بزقاق سينزوكو البائس. كلما مررنا بأزهار البنفـسج، والهنـدباء البرية، أو بزهـرة الربيـع أو اللـوتس المتنـاثرة علـى أطـراف الـسدود والدروب الريفية، تهـرع لقطفهـا وحزمهـا بباقـات كـبيرة حـتى نهايـة النهار.

- ذبلت الأزهار يا نعومي لم لا ترميها بعيداً؟

- تنتعش حين تضعها بالمـاء، احـتفظ بهـا علـى مكتبـك سـيد كاواي. وكانت كل مرة تغادر في يدي باقاتها حين نفترق.

رغم كل المحاولات إلا أن العثور على مـنزل جيـد للاسـتئجار لم يكن سهلاً. فاستأجرتُ منزلاً متواضعاً غربي الطراز بـالقرب مـن خـط الكهرباء المحلي، يبعد حوالي الأحد اثنتي أو ثلاثة عشر مجمعاً سكنياً عن محطة أوماري. حديث وبسيط أو ما يصفه الناس بالعصري بالرغم

من أن المصطلح هذا لم يكن شائعاً حينئذ: كان نصف البيت مغطى بسقف منحدر بألواح أردوازية حمراء. بينما جدرانه الخارجية البيضاء جعلته مشابهاً لعلبة الثقاب بنوافذَ زجاجية هنا وهناك. إضافة لفناء مسقوف صغير. المنزل يصلح كمرسم، أكثر من كونه مكاناً للسكن. لا عجب في هذا خاصة أن من شيده كان فناناً متزوجاً من إحدى موديلاته. توزعت الغرف بطريقة غير موائمة إطلاقاً، مرسم كبير في الطابق الأرضي، دهليز ضيق ومطبخ ولا شي آخر. في الطابق العلوي غرفتان على الطراز الياباني ست أقدام في تسعة وتسع أقدام في تسعة. بمساحة عليتين لا نفع لهما. وللوصول إليهما لا بد من ارتقاء درج خشبي. وبعد الصعود يجد المرء نفسه بمكان محاطاً بالدرابزين، كمقصورة في مسرح يمكن للجالس فيها مشاهدة المرسم كله.

أما نعومي فقد أغبطها المنزل منذ الوهلة الأولى:

- ياله من بيت عصري! هذا هو طراز المنزل الذي أرغب. ولأنه أعجبها قررت على الفور استئجاره.

لا شك أن التصميم العجيب منح المنزل دهشة الحكايا الخرافية بما يرضى الفضول الطفولي لنعومي بالرغم من الترتيب غير العملي للغرف. من المؤكد أن المنزل صمم لشخصين لا مباليين يريدان العيش بمرح وتجنب الوقوع بفخ المعيشة التقليدية. هذه بالضبط الصورة التي وضعها الفنان وعارضته في الاعتبار حينما شغلا المنزل. في الواقع كان الرواق واسعاً بما يكفي لتلبية حاجات شخصين معاً.

(3)

في نهاية أيار توليت رعاية نعومي بالكامل، وانتقلنا سوية إلى بيتنا الخيالي، أدركت بعدها أن المنزل ليس برديء كما تخيلت، فالغرف العلوية مشمسة بما يكفي، ومشرفة على البحر. أما الفناء الأمامي فيتسم بإطلالة جنوبية ومساحة مناسبة لمساكب الأزهار. أما القطارات العابرة للخط المحلي من وقت لآخر، ضجيج تقلل حدته حقول الأرز الممتدة بين المنزل وخط السكة الحديدية. وسرعان ما وجدت أنه المكان الأمثل للسكن، إذ كان هذا المنزل الغير مناسب لمعظم الأشخاص، بإيجار منخفض، عشرون ين شهرياً بدون دفعة مقدمة، عرضاً جذّاباً بالنسبة لي.

- ناديني من الآن فصاعداً جوجي، وليس سيد كاواي. طلبت منها ذلك في اليوم الذي انتقلنا فيه. "دعينا نتعايش كصديقين اتفقنا؟".

أخبرت عائلتي أنني استأجرت منزلاً بدل الشقة وأني استقدمت خادمة بعمر خمسة عشر عاماً، لكني لم أعلمهم أننا سنتعامل كأصدقاء. لا يأتي أقربائي من القرية هنا إلا نادراً وإن شعرتُ بضرورة إخبار أحدهم بالأمر سأفعل.

قضينا أوقاتاً مرحة أثناء شراء مفروشات المنزل الجديد الغريب وترتيبها في أنحاء غرفه. ولتعزيز ذوقها كنت أستشير نعومي بكل شيء اشتريه وأتبع أفكارها كلما أمكن ذلك. لم يكن هناك حاجة لجلب حاجات منزلية كالخزانات والنحاسيات في منزل كهذا. ولذلك كنا أحراراً في اختيار القطع وجلبها وتصميمها بالشكل الذي نريد تصميمه.

ابتعنا بعض الأقمشة الهندية المطبوعة زهيدة الثمن، قامت نعومي بقصها وحياكتها وتحويلها إلى ستائر. في متجر شيباغوتشي المختص بالمفروشات الغربية وجدنا مقعداً قديماً من خشب الروطان، أريكة، كرسي وطاولة، وزعناها كلَّها في أركان الرواق. علقنا على الجدران صوراً لماري بيكفورد ولعدة ممثلات أمريكيات آخريات. كنت أرغب بتأثيث غرف النوم بطراز غربي، لكن شراء سريرين سيكون مكلفاً في حين يمكنني الحصول على فرشٍ ياباني مجاني منْ بيتي في القرية.

حين وصل فرش الغرف، اختارت نعومي لحاف الخادمة، اللحاف ذو القطن القاسي المتصلب كفطيرة رقيقة جافة، المطرز برقش شرقي. شعرتُ بالشفقة نحوها، دعيني أبادله بلحافي!

لا إنه جيد، وألقته على جسدها مستلقية في الغرفة ذات الستة أقدام في تسعة.

نمتُ في الغرفة المجاورة كل منا يتحدث مع الآخر دون أن ينهض.

- هل استيقظت نعومي؟
- نعم، ما الوقت الآن؟
- السادسة والنصف، هل أطهو الرز لكِ هذا الصباح؟
- هلا فعلت، لقد أعددته أمس إنه دورك.
- حسنٌ، في هذا عناء، هل أعد الخبز؟
- نعم تستطيع، لكنك مخادع جوجي!

حين نريد تناول الأرز نطهوه بوعاء فخاري بحيث ننقله للمائدة دون عناء إفراغه بطبق معدني. وكنا نأكل بجانبه شيئاً من المعلبات المحفوظة. نتدبر أمرنا ببعض الأحيان بالخبز والحليب والمربى أو بقطعة من الفطائر الغربية. أما للعشاء فنتناول النودلز، وإن أردنا ترفيه أنفسنا نذهب لمطعم غربي.

تسألني غالباً: "جوجي"، "اطلب لي شريحة لحم اليوم".

بعد الفطور أغادر لعملي وتمضي نعومي صباحها تعتني بمساكب الأزهار. تغلق المنزل بعد الظهر وتلتحق بدروس الانجليزية والموسيقا. وفي بقية الأيام تذهب لـ"ميجورو" لتتعلم المحادثة والقراءة مع امرأة أميركية تدعى الآنسة هاريسون. أعتقد من الأفضل أن تتدرب مع متحدث انجليزي الجنسية، وكنت في البيت أساعدها في مراجعة نقاط ضعفها اللغوية. لم تكن لدي أدنى فكرة عما علي فعله تجاه الموسيقا حتى سمعنا عن امرأة خريجة حديثة من مدرسة الموسيقا في "أوينو". باتت نعومي تزورها لتتلقى درساً لمدة ساعة يومياً في منزلها الكائن في اساراجو في شيبا ورد لتتعلم البيانو وتتدرب على تقنيات الصوت. بدت نعومي تلميذة تتقد مرحاً ـ خاصة بعد أن تخلت عن التسريحة اليابانية وعقدت جديلتها بشريطة. بعد أن ارتدت تنورة الكشمير الزرقاء الداكنة، مع كومينو الحرير والجوربين السوداوين وانتعلت حذاءها البسيط. ها قد تحققت أحلام نعومي، بالكاد أصدق أن هذه الفتاة نشأت في سينزوكو وعملت نادلة يوماً ما.

ذكرتُ سابقاً أنني "سأحتفظ بها كطائر صغير". ومنذ ذلك الوقت تطورت شخصية نعومي وتبدل مزاجها بالتدريج، أضحت الآن عصفورة تشرق بالحيوية وبات الرواق الضخم قفصها المحبب.

ها هو أيار يمضي مشرقاً وحميمياً ليقتحم طقس صيفي مبكر المكان. يوماً بعد يوم الأزهار تنمو وتزهو. بعد عودتي من عملي ووصول نعومي من حصصها، يموج الضوء عبر الستائر الهندية ويرتطم بالجدران البيضاء وكأن النهار في أوجه. بكومينو الفلانيلا الناعم الصيفي منتعلة خُفين في قدميها الصغيرتين تمضي نعومي الوقت تغني الألحان التي تعلمتها، أحياناً تلاعبني لعبة المطاردة أو الغميضة. نتسابق في الرواق، تقفز على الطاولة، تختبئ خلف الأريكة وتوقع الكراسي، وحين لا تكتفي ترتقي الدرج وتعدو نزولاً كفأرة في مقصورة الدرج. مرة تقمصت دور الحصان وجِلتُ بها فوق ظهري بين الغرف:

"أسرع، أسرع" ولجامي منشفة عضضتُ عليه.

في أحد الأيام ونحن نمارس هذه اللعبة، انفجرت في نوبة ضحك، وارتقت الدرج بسرعة ففقدت توازنها، سقطت من الأعلى للأسفل وانفجرت بالبكاء. "هل يوجعك هذا؟ دعيني أرى" شهقة فشهقة رفعت كمها، لا بد أن مسماراً أو شيئاً حاداً خدش جلدها عند كوعها الأيمن وأدى لنزيف طفيف. "لا يستدعي هذا البكاء نعومي، سأضمدها" وضعت المرهم ومزقت منديلاً وضمدت جرحها. كانت تنشج كطفلة صغيرة بعينين دامعتين وأنف متقطر. التهب بعدها الجرح للأسف واستغرق خمسة إلى ستة أيام لشفائه. كنت أبدل ضمادة الجرح يومياً لتنتحب بدورها كل مرة.

هل وقعت في غرام نعومي حقاً؟ لستُ متأكداً. إلا أن نيتي لتنشئتها شابة ناجحة يجعل سعادتي أعمق، وأعتقد أنني راض بهذا الدور أكثر من أي شيء آخر.

في ذلك الصيف حين سافرت في إجازة لقريتي مغادراً نعومي لعائلتها في أساكوزا بعيداً عن منزل اوماري. كانت أيام القرية مملة بشكل لا يطاق ووجدت نفسي وحيداً. تساءلت بيني وبين نفسي كيف يمكن للحياة أن تكون غريبة لهذه الدرجة بدونها. أدركت حينها أنني أمرٌ بتجربة يجرفني فيها الحب. افتعلت عذراً لأمي لأعود مبكراً لطوكيو، وصلت بعد الساعة العاشرة مساء ورغم تأخر الوقت المتأخر سارعت لمنزل نعومي من محطة أوينو بسيارة أجرة.

"نعومي.. عدت، هيا لنذهب لأوماري، السيارة تنتظرنا عند زاوية الشارع".

- "سأكون جاهزة في غضون دقائق" انتظرتها عند الباب لتظهر أخيراً حاملة صرّة صغيرة. كانت ليلة شديدة الحرارة والرطوبة عقصت نعومي شعرها بشريطة قرنفلية. مرتدية كومينو الموسلين الأبيض المزخرف بعناقيد العنب واللافندر الأصفر وبدت أنحف بلا حزام. كنت قد أهديتها الموسلين في مهرجان بون، يبدو أنها طلبت من أحد الخياطين حياكته أثناء غيابي.

سألتها والسيارة تنطلق صوب الطريق العام مقرباً وجهي لوجهها: "أخبريني بما فعلته يوماً بيوم نعومي".

- "ذهبت للسينما يومياً".

- "لا أعتقد أنك شعرت بالوحدة، أليس كذلك؟".

- "ليس تماماً.." استطردت "عدت مبكراً جوجي!".

- "ضجرت من الريف ورجعت، لا مكان يثير اللهفة كطوكيو" تنفست بارتياح وحدقتُ عبر النافذة في الأضواء الزاهية الخاطفة في المدينة.

- "لكني أعتقد أن الريف صيفاً مكان ممتع!".

- "هذا يعتمد على المكان، عائلتي تسكن في منزل ريفي ناء عن الطريق، لا أماكن للترفيه والإطلالة باهتة. الذباب والبعوض يئز في وضح النهار كما أن الجو حارٌّ بشكل لا يُحتمل".

- "أوه يا عزيزي، لهذه الدرجة؟".

- "نعم".

- "أريد الذهاب للشاطئ" توسلت بشكل مفاجئ. بإصرار طفولي.

- "حسنٌ، قريباً سأرافقك لمكان معتدل الأجواء. ما رأيك ب كاماكورا؟ أو ربما هاكوني؟".

- "الذهاب للبحر أفضل من المضي لينبوع حار، أوه أريد الذهاب حقاً".

أعادني صوتها الساذج لنعومي التي أعرفها، لكن في العشرة أيام التي غبت عنها فيها، طالت أطرافها وأصبحت مشدودة أكثر ونضجت بشكل واضح. لم أستطع مقاومة اختلاس النظر لكتفيها الممتلئتين مروراً بكومينو الموسلين غير المحزم نزولاً لصدرها وهي تتنفس بعمق.

"تبدين جميلة بهذا الكومينو" بعد صمت طفيف سألتها: "من قام بحياكته لك؟".

"أمي".

"ما الذي قالته عن اختياري للموسلين؟".

"قالت أنه عصري وأنيق، ليس سيئاً".

"أقالت أمك هذا؟".

"نعم إنها لا تعني شيئاً" وبطرف عينيها أضافت: "الجميع يقول أنني تغيرت".

"تغيرتِ..؟ بأي معنى؟.

"أنني صرتُ عصرية جداً ".

"أعتقد أنهم محقون، أعتقد أنك كذلك".

"أتساءل لم يطلبون مني عقص شعري بالطريقة اليابانية، لا أريد هذا".

"وهذه الشريطة؟".

"ابتعتها بنفسي من متجر أمام معبد كانون، هل أعجبتك؟" واستدارت بحيث أرى الشريطة الوردية مع شعرها الجاف النظيف المهتاجُ مع النسيم.

"تصفيف شعرك هكذا جذاب أكثر من التسريحة اليابانية".

أشرقت على محياها ابتسامة خفيفة توافقني الرأي، صحبتها أنفاس أنفية مرتجلة جريئة، أعتقد أنها زادتها نباهة.

(4)

توسلت نعومي مراراً لاصطحابها لكاماكورا، ولم أستطع رفض طلبها فذهبنا بمطلع آب، بنيّة البقاء يومين لثلاثة أيام.

- لم علينا البقاء ليومين أو ثلاثة؟ سألتْ "لن تكون الإجازة ممتعة لو أمضينا أقل من أسبوع أو عشرة أيام" وأظهر وجهها الامتعاض حين غادرنا المنزل. عدت من القرية بحجة انشغالي ولا أريد المخاطرة بكشف حيلتي مراعاة لشعور والدتي. إن أوضحت لنعومي الأمر بهذه الطريقة فقد تشعر بالإهانة. بالمقابل قلت لها:

- حاولي الاكتفاء بيومين أو ثلاث هذا العام، السنة القادمة سنمضي وقتاً أطول بمكان آخر، اتفقنا!

- "لكن يومين أو ثلاثة فقط...؟

- لا تكفي أعرف، لكن إن أردت السباحة نمر بشاطئ أوماري أثناء عودتنا".

- "لا يمكنني السباحة في مكان قذر كهذا".

- لا تحكمي على أشياء لا تعرفينها، كوني فتاة طيبة وسأشتري لك ثياباً جديدة عوضاً عن ذلك، ألم تقولي أنك ترغبين بثياب غربية، سأجلبها لك، جعلها إغراء الملابس العصرية توافق في نهاية المطاف.

أقمنا في كاماكورا في مقصورة الموجة الذهبية في هاس، فندق بحري استثنائي لمن تستهويهم السباحة. أبتسم لذكره الآن. لم يك من داعٍ للاقتصاد، ما زلت أحتفظ برصيدي نصف السنوي.

أرتعد وأنا على وشك البدء برحلتي الأولى مع نعومي. أود أن أترك في نفسها انطباعاً مذهلاً قدر الإمكان في جناح من الدرجة الممتازة لن أهتم لتكلفته. في اليوم الذي صعدنا فيه مقصورة من الدرجة الثانية لقطار متوجه إلى يوكوسوكا، أصابتنا حالة من الجبن. كان القطار مكتظاً بنساء وفتيات متجهات إلى زوشي وكاماكورا جالسات في صفوف لامعة. كانت نعومي تقف بينهن وبدت لي فتاة بائسة. في جو صيفي حار كهذا لا تتباهى النسوة بثيابهن، لكني حين قارنتهن بنعومي، شعرت باختلاف واضح من حيث فخامة تتمتع بها نسوة ينحدرن من طبقات غنية. بالرغم أن نعومي تغيرت كثيراً ولم تعد تبدو بمظهر نادلة المقهى السابقة إلا أن هذا لم يحجب عنها وضاعة منشأها الأصلي. إن كنت قد لاحظت هذا لوهلة، فهي بالتأكيد عاشته مراراً. كانت النسوة حولنا يرتدين فساتين صيفية بسيطة لكن أصابعهن تتألق بالمجوهرات وأمتعتهن تدل على الثراء. كل ما فيهن يخبر عن حياتهن الإجتماعية المترفة في حين نعومي التي ترتدي الكومينو المزخرف عصري المظهر، لاشيء لها لتظهره سوى بشرتها المخملية، لا أنفك أتذكر كيف أخفت مظلة خفيفة في أكمامها. تلك المظلة الجديدة التي سيبدو للجميع دون شك، أنها من النوع الرخيص، حيث لا تساوي أكثر من سبعة إلى ثمانية ينات.

أمام خان متسوهاتشي التقطنا الصور وداخل فندق "كيهن". ذهلنا بالبوابات الفخمة ورحنا نعبر شارع هاس مرات عديدة قبل أن نجد أنفسنا في مقصورة الموجة الذهبية، في فندق بدرجة ثانية أو ثالثة على المستوى المحلي.

كان ضجيج الطلاب المقيمين في المكان كبيراً، بما لا يسمح بالاسترخاء داخل الفندق لذا قضينا وقتنا على الشاطئ، ابتهجت نعومي برؤية البحر ونسيت الاكتئاب الذي نال منها في القطار.

- لا بد أن أتعلم السباحة هذا الصيف.

قالتها متعلقة بذراعي وراحت تخبط بقدميها عباب الماء الضحل، أمسكتها بكلتا يدي وشرحت لها كيف تطفو على بطنها والطريقة التي عليها أن تحرك رجليها، وحالما أجدها تعلقت بالماء أفلتها لتشرب الماء المالح وهكذا حتى تعبت. مارسنا ركوب الأمواج ولعبنا بالرمل واستلقينا على الشاطئ. في المساء استأجرنا قارباً جدفته باتجاه الخليج. كانت تجلس بمؤخر المركب على الدفة متدثرة بمنشفة كبيرة تغطي ثياب السباحة، أو تستلقي مستندة برأسها على حافة القارب مواجهة الحافة تحدق بالسماء وتشدو أغنية القارب النابولية لمغنيتها المفضلة سانتا لوسيا، بصوتها الحاد:

- **dolce Napoli**
- **آه يا نابولي الجميلة**

O soul beato ....

آه يانبض الفؤاد

تردد صدى صوتها العالي عبر هدوء بحر المساء، وكنت أصغي منتشياً مجدفاً القارب بهدوء.

- ابتعدنا... أكثر... أكثر، صرخت، وكأنها تريد أن نبخر الأمواج إلى ما لا نهاية. غربت الشمس دون أن نلحظها، لتتسارع النجوم بالتألق. بدأت قامة نعومي الملتحفة بالمنشفة البيضاء بالتلاشي عبر الظلام المحتشد حولنا، إلا أن صوتها الساحر مازال يصدح بأغنية سانتا لوسيا مرة تلو المرة. ثم انتقلت لشدو أغنية لوريلي، زيغيونرليبن، وألحان ميغنون. أغنية فأغنية والقارب يبحر بهدوء نحو الأمام.

أعتقد أن كل شاب اختبر مثل هذه الأوقات في حياته، إلا أنها المرة الأولى بالنسبة لمهندس مختص بالمجال الكهربائي أقل من الآخرين، اهتماماً بالآداب والفنون ونادراً ما يقرأ رواية. تراه يفكر الآن ب رواية ناسيوم سوزوكي: "وسادة العشب" خاصة تلك العبارة التي تقول: "كما غاب غرقت السفينة، غرقت السفينة" القارب يتأرجح بنا، ونحن بعرض البحر نحدق عبر ضباب المساء تجاه وميض المصابيح على الشاطئ. راودتني نشوة غامرة وأردت أن أجدف بنعومي إلى عالم بعيد مجهول. أعتقد أنه من الرائع لريفي مثلي اختبار هذه المشاعر، ليجعل من إقامته القصيرة في كاماكورا، فترة جديرة بالاهتمام.

في الواقع وهبتني الأيام الثلاثة في كاماكورا ملاحظاتٍ جديدة عن جسد نعومي، فبالرغم من أني أعيش معها، إلا أن الفرصة لم تسنح لي سابقاً لملاحظة شكل جسدها العاري بوضوح، لكن حينما ظهرت نعومي على شاطئ يوغاهاما بثياب البحر، معتمرة قبعة خضراء داكنة. أبهجني اتساق أوصالها. نعم، أمتعني انسجام الكومينو مع جسدها، كنت كلما تأملت انحناءات جسمها، يخفق قلبي خارج صدري "نعومي"، نعومي، يا ماري بيكفوري، ما هذا الجسد البض الناعم! يا للساعدين المتناسقين، يا للساقيين المنسابتين باستقامة الصبا. لم يسعفني التفكير إلا بفيلم ماك سينيتي" السابحات الفاتنات" الذي حضرته يوماً.

من غير اللائق لكاتب عرض تفاصيل عن جسد امرأة تخصه. ولا يسرني بدوري التبجح بمواصفات الفتاة التي ستصبح ذات يوم زوجتي، أو نقل أوصاف جسدها لعدد كبير من الناس. لكني إن تجاهلت هذا الجانب، سيكون من الصعب علي إيصال حكايتي

بشكل دقيق، وسيضيع القصد من هذا التوصيف. يجدر بي ذكر أي جسد كانت تملكه نعومي، وهي واقفة على شاطئ كاماكورا في آب سنتها الخامسة عشرة. في ذاك الوقت كانت أقصر مني ببوصة واحدة. أرجو أن تحتفظوا بذاكرتكم بهذه المعلومة؛ فرغم أني ببنية جسمانية قوية، إلا أنني شاب قصير القامة، ولا يزيد طولي عن خمسة أقدام وبوصتين. لكن السمة الصادمة في جسد نعومي هي أن جذعها كان أقصر من ساقيها مما منحها قامة أطول مما تبدو، جذعها القصير هذا استدق تدريجياً إلى خصر نحيل مذهل، وانساب بعدها ليتضخم نزولاً لوركين مكتنزين أنثويين.

كنا قد تابعنا فيلما بعنوان "ابنة نيبتون" يدور حول حورية بحر من بطولة بطلة السباحة المشهورة آنيت كيلرمان: قلت لها: نعومي، قلدي لي "آنيتك كيلرمان".

وقفت وذراعاها مستقيمة فوق رأسها، واتخذت وضعية الاستعداد للغوص. ثم ضمت فخذيها وشدت ساقيها فاختفى الفراغ بينهما مشكلين مثلثاً طويلاً يمتد من وركيها حتى كاحليها.

كانت معجبة بساقيها: ببضعة خطوات تقدمت على الرمل، سألت سؤال العارفة بانسياب ساقيها الفاتن.

- "جوجي هل ساقيّ ملتويين؟".

سمة فاتنة تمتلكها نعومي هي الخط الواصل بين عنقها وكتفيها. وكان فرصة لمس كتفيها قد أتيحت لي مرات عديدة كلما احتاجتني لعقد أزرار ثوب السباحة.. أي فتاة بعمر نعومي بكتفين منحدرين ورقبة نحيفة ستبدو هزيلة، لكن نعومي لم تكن كذلك مطلقاً. إذ كانت بكتفين ممتلئين، وصدر واسع بما يوحي برئتين قويتين. كلما شددت

وثاق الثوب أخذت نعومي نفساً عميقاً محركة ذراعيها. فتموج عضلات ظهرها خانقة ثوب السباحة فيشد كتفيها متوعداً بالتمزق. كتفان قويان يضجان بالنضارة والجمال، لا تمتلك أيّ من فتيات الشاطئ هذا التناسق الأخاذ.

اهدئي، لا يمكنني تزريره. أمسكتُ طرف الثوب ودفعت أكتافها داخله كما لو أنني أحشو حقيبة بشيء أكبر من حجمها. جسد بمثل هذا البناء لا بد أن يكون رياضياً وهذا ما بدا حين واظبت نعومي بعد أيامنا الثلاثة في كاماكورا بالتدرب على شاطئ أموري يومياً. وأتقنت السباحة بنهاية الصيف كما تعلمت التجذيف وركوب المراكب الشراعية. كانت تعود للمنزل ممسكة بثيابها المبتلة، تصيح "أتضور جوعاً" وتلقي بجسدها على أحد المقاعد. وكثيرا ما كنا حينما يصيبنا الملل من طهو الطعام، نعكف على مطاعم غربية في طريق العودة من الشاطئ، فنلتهم بنهم لحم الضأن.

ذكريات لا تنتهي خلال ذلك الصيف ولن أتحدث عن الكثير منها باستثناء تطور لا يمكن تجاهله عن نعومي.

عادة بدأتُها حينما كانت نعومي تعود منهكة للبيت، متعبة من الحمامات العمومية، فتقف أمام حوض تنظيف الأواني في المطبخ تسكب الماء على نفسها بعصر اسفنجة التنظيف.

- نعومي، إن ذهبت لسريرك هكذا سيصبح جسدك لزجاً تعالي لحوض الاستحمام وأنا من سيغسل جسدك.

وافقتْ وأصبحت هذه عادة يومية طيلة الخريف. بعدها وضعتُ مغطس استحمام بطراز غربي بزاوية الرواق وأغلقته بساتر لأتمكن من غسل جسد نعومي طوال الشتاء.

(5)

لا بد أن كثيراً من القراء يعتقدون أن العلاقة بيني وبين نعومي هي أكثر من الصداقة، لكنها لم تكن كذلك، ربما حدث تطور كبير في طبيعة العلاقة بيننا، لكنها لازالت فتاة الخامسة عشرة ولا زلت الشاب "المهذب" كثير الوساوس الذي لا يملك أي تجربة مع المرأة. إضافة لمسؤوليتي الحفاظ على براءتها، لذلك لم أسمح لأي نزوة أن تتملكني خارج حدود الوعي.

بدأت فكرة أن نعومي هي الفتاة الوحيدة التي أتمنى الزواج بها تسيطر علي. لو أن هناك امرأة أخرى فما كنت لأتمكن من التخلي عن نعومي الآن. سببٌ أخر لتحاشي أي تصرف طائش يؤذيها.

في السادس والعشرين من نيسان من ربيع سنتها السادسة عشرة، دخلت علاقتي مع نعومي مرحلة جديدة. أتذكر التاريخ بالتحديد لأني ومنذ أن بدأت بغسل جسد نعومي، أدون كل تفصيل يخصها يلفت انتباهي. جسد ينضح بالأنوثة يوماً بعد يوم. كأم توثق تاريخ ضحكاتِ طفلها أو كلمته الأولى.

وإليكم ما كتبت يوم 21 أيلول لعام نعومي الخامس عشر:

في الساعة الثامنة مساء حممتها: ما يزال جلدها مدبوغاً بأشعة الشمس، لون بشرتها داكن جداً باستثناء الأجزاء التي غطاها ثوب السباحة، أنا أسمر أيضاً لكن نعومي لا تزال ببشرة أفتح، كان الفارق حاداً بين بشرتينا".

- تبدين مثل حمار وحشي "ضحكت".

بعد نحو شهر، في 17 تشرين 1 كتبت:

بدأت بشرتها تعود لحالتها الطبيعية واختفى تقشرها حتى أنها بدت أكثر نعومة وجمالا. كانت تراقب فقاعات الصابون تتلاشى وتنساب فوق ذراعيها، جميلة قلت لها، نعم بالطبع، ابتسمت: أقصد فقاعات الصابون.

في 5 تشرين 2

استخدمنا حوض الاستحمام الغربي لأول مرة الليلة، زلت قدم نعومي وانزلقت نعتها بـ الطفلة الكبيرة، فصرخت ضاحكة: أبي.

بعدها صرنا ننادي لبعضنا البعض "يا طفلة ويا أبي"، تنادني أبي إن أردات تملقي للحصول على شيء ما.

- نعومي تكبر ـ كان عنوان يومياتي. اشتريت آلة تصوير ورحت التقط الصور لوجهها الذي أصبح يشبه وجه ماري بيكفورد أكثر فأكثر. صور بزوايا إضاءة مختلفة أضفتها لمفكرتي يوماً بعد يوم.

أخذتني الكتابة بعيداً عن الموضوع، لكن وفقا لليوميات، نعومي وأنا بدأنا بعلاقة عميقة منذ 26 نيسانِ من سنة قدومنا لأوماري، كانت حالة تفاهم صامت بيننا لم يبد أي منا، مباردة تجاه الآخر ولم يبح أحدنا بكلمة حتى همست بأذني أخيراً:

- جوجي، لا تهجرني.
- أهجرك؟ لا تفكري بهذا مطلقاً، لا بد أنك تعرفين ما أكنه لك!
- نعم، أعرف.
- منذ متى تعرفين؟
- أخبرني، منذ متى بدأ شعورك؟

- ماذا ظننتِ بي حين أردت العناية بك؟ هل اعتقدت أنني أود الزواج بك آخر الأمر؟

- نعم هذا ما اعتقدته

- إذن وافقتِ لأنك ترغبين أن تكوني زوجتي؟

عانقتها بكل قوتي دون انتظار إجابتها. شكراً لك نعومي، شكرا لك، ممتن لأنك فهمتني، لم أتخيل يوماً أني سألتقي بامرأتي المثالية، أنا محظوظ جداً، أحبك كثيراً، أحبك أنت وحدك، سأهتم بك ولن أسيء معاملتك كما يفعل أزواج كثيرون. ادرسي وانضجي كامرأة كاملة، سأدعمك وسألبي كل ما تطلبين.

- نعم سأدرس، سأكون المرأة التي تريدها، أعدك.

اغرورقت عيناها بالدموع وبكيتُ بدوري ثم قضينا الليلة نتحادث في أمر مستقبلنا معاً.

بعد فترة قصيرة قضيت عطلت نهاية الأسبوع في الريف، أخبرت أمي بما أنويه تجاه نعومي التي كانت متحمسة بدورها لمعرفة ردة فعلهم، كما أنني كنت راغباً أن يضحي كل شيء واضحاً منذ البداية. علي أن أقنع أمي المسنة بزواجي من نعومي. أمي التي كانت تثق بي وتتفهمني دائما ردتْ باقتضاب: "إن كان هذا بالفعل ما ترغب به إذا عليك فعله. تزوجها "ولأنها تنحدر من أسرة كهذه، قد تواجه المتاعب بسببها، كن حذراً".

قررنا أن نتنظر من ستين إلى ثلاث قبل إعلان زواجنا، لكني أردت أن أسجل زواجنا بشكل رسمي. لذلك ذهبت إلى سينزوكو لأتفاوض مع أمها وأخيها. أبديا عدم الاكتراث كما حالهما كل مرة، تمت الأمور بسهولة. ربما يكونان متهاونين قليلاً لكنهما ليسا جشعين أو سيئين بالمطلق.

تطورت علاقتنا بسرعة لكن لم يعلم أحد بالتغيير الحاصل، كنا زوجين قانوناً وصديقين في الخارج.

- "نعومي: هلا بقينا أصدقاء".

- إذن ستنادني نعومي كالعادة صحيح؟

- بالطبع، هل ترغبين أن أناديكِ، زوجتي؟

- لا، لا أرغب بذلك.

- وهل سأنادى جوجي دائماً؟

- بالطبع، بماذا سأناديك بغيره؟

استلقت نعومي على الأريكة، مرَّرت زهرة بيدها على شفتيها، مدت ذراعيها هامسة "جوجي" وتركت الوردة تسقط واحتضنت رأسي.

غاليتي نعومي،

قلت لها لاهثاً ووجهي في العتمة المسيجة بكميها

لا أحبك فقط وإنما أعبدك، أنت كنزي، الماسة التي وجدتُ وصقلت. سأقوم بما بوسعي لتكوني أجمل وأجمل، سأهبك كل ما لدي.

- لا داع أبدا لهذا، دروس اللغة والموسيقى أكثر أهمية.

- نعم بالطبع، سأشتري لك بيانو، سأجعل منك تلك السيدة الراقية التي لن تشعر أنها تختلف حين تختلط بالغربيين.

لطالما حرصت على ذكر عبارات تشبهين الأجانب، مثل امرأة غربية إذ كانت تسعدها.

- آلا تعتقد أنني كامرأة غربية لو فعلت هذا، وبدأت تقلد أمام المرآة حركات وتعابير تعلمتها من شخصيات بعض الأفلام التي كنا

نتابعها معاً، متمكنة من تقليد خصوصية ومزاج الممثلات، ماري بيكفورد تضحك هكذا، بينا مينيشيلي تحرك عينيها هكذا، جير الدين فرار تصفف شعرها هكذا. ثم تفك شعرها وتمشطه من جديد...

فعلا، تقاطيع وجهك توحي بأنك امرأة غربية أكثر منهن جميعاً.

حقا، أين، أي جزء؟

أنفك وأسنانك،

أسناني؟

ونظرت لأسنانها في المرآة وكانت مستقيمة وبراقة. على الأقل لا تشبهين اليابانين في الشكل، ولا تغيِّرك الثياب أو الأزياء اليابانية فكيف لو ارتديتِ ثياباً حديثة الطراز؟

- أي طراز؟

- طراز تتحرك النساء به بحرية أكثر، لا تنفع معه هذه الثياب المشدودة.

- ماذا عن الكومينو الضيق مع نطاق عادي؟

- أي شيء طالما تبحثين عن زي ينسجم مع الياباني الأصيل، أتساءل إن كان هناك أي زي يجمع بين الياباني والصيني والغربي بآنٍ معاً.

- إن كان هناك أي من هذا، هلا ابتعته لي؟

- بالطبع سأحيطك بكل أنواع الثياب التي ترغبين، لتبدلي كل يوم، لن نحتاج أنماطاً باهظة الثمن، الموسلين والحرير، سيفيان بالغرض، المهم هو التصاميم المبتكرة.

نذهب للتسوق عادة بعد كل محادثة من هذا النوع للبحث عن الأقمشة والتصاميم، وكنا في كل أحد نمضي الوقت في ميتسوكوشي وشيروكيا لكننا غالباً لا نجد الأنماط التي نبغيها، إذا لا يرضي

كلانا التصميمات المألوفة المعروضة. وكان على ما يبدو أن التسوق في الأماكن المحلية لن يجدي نفعاً، لذلك زرنا أسواقاً تختص بالمنتجات الغربية التصميم، حتى أننا ذهبنا في نزهة ليوم كامل إلى يوكوهاما، حيث انتقلنا من واجهة لأخرى في الحي الصيني. متفحصين جميع المحلات المختصة بالبضائع الأجنبية، وحين يقع نظر أحدنا على قماش مميز، كنا نسارع لداخل المحل وتقوم نعومي بلفه حول جذعها. أمضينا أوقاتاً ممتعة نتنقل من واجهة لواجهة حتى ولو لم نشتر شيئاً.

موضة هذه الأيام كانت الكومينو المصنوع من الأورغندي الجورجيت والقطن والدانتيل، لكنني ونعومي كنا أول من استخدمنا هذه الأقمشة وكان ملمسها ملائماً لها، بعيدا عن الطراز التقليدي الذي كان يبدو عليها كأثواب النوم. أحيانا كانت تلف القماش حول جسدها وتثبته بدبابيس تتجول في المنزل بقماش شفاف وردي أو ليلكي فاتح أو أرجواني، تستعرض نفسها أمام المرايا بوضعيات مختلفة لألتقط لها الصور الفوتوغرافية. بدت كزهرة كبيرة في آنية.كنت أطلب منها كل مرة أن تجرب القماش بطرق مختلفة. "استلقِ.. سيري" فألتقط لها الصور محدقا بها طول الوقت.

تنامت مقتنياتها في الخزانة في غضون عام، حتى أن حجرتها لم تعد تتسع للمزيد، فعلقت بعضها وكومت الباقي جانباً في كل مكان. كان من الممكن جلب خزانة جديدة لكن هذا سيقتطع من ميزانية الأثواب، لا داع لأن نتعامل مع القماش بحذر فلديها الكثير منه الآن ومعظمه ليس باهظ الثمن. كان من الملائم أيضاً عرضها حولنا في المنزل بتصاميمها المختلفة، ملابس متناثرة بكل مكان على الأريكة في الزوايا وعلى الدرج. كنا نادرا ما نغسلها ورغم هذا كنت أراها زينة للصالة والتي باتت أشبه بخشبة المسرح.

كانت معظم التصميمات فاضحة ولا يمكن لها ارتداء نصفها خارج المنزل. ماعدا الكومينو الأثير الذي ترديه عندما نخرج معاً، كومينو الحرير المقلم المبطن بالقطن مع سترته البنية المشوبة بالحمرة، المماثل لسيور الجلد، وحزام السترة. ما سواهم من وشاح وبطانة الكومينو وحواف الأكمام وتقليمات الكومينو السفلية فموشومة كلها بالأزرق الفاتح. أما النطاق الرفيع فمصنوع من الحرير المبطن المنسدل برفق أعلى صدرها، أما منطقة العنق فقد اشترت شريطة تماثل النسيج الحريري..

كانت ترتدي هذه الثياب غالباً حينما نذهب للمسرح فيتطلع الجميع إليها في دهليز مسرح يوراكوزا أو المسرح الملكي، يتهامسون:

- من تكون، ربما ممثلة، أهي أوراسية؟

حينها أدرك أنني حققت حلم نعومي الخيالي بأن تبدو أجنبية المظهر. ما كانت لترتدي في الخارج ثيابا ذات تصميمات غير تقليدية رغم حبها لها، لذلك كنت أطلب منها أن ترتديها بالبيت. بالرغم أنها زوجتي إلا أنها دمية نادرة لا أسمح لها بارتداء ثيابا عادية في البيت. أغلى ثوب ارتدته داخل المنزل كان عبارة عن ثوب مخملي أسود بقطع ثلاث رأت إحداهن ترتديه في أحد الأفلام الأمريكية، بشعر معقوص تحت قلنسوة رياضية لتبدو مثيرة كقطة.

في كثير من الأحيان صيفا وشتاء "حيث كنا نستعمل الموقد للتدفئة" لم تكن ترتدي سوى وزرة فضفاضة أو ثوب سباحة، كانت تمتلك أزواجاً لا تحصى من النعال من بينها خف صيني مطرز تنتعله بلا جوارب. في الحقيقة لم تكن تلك الثياب سوى غلاف ينتقل منه جسدها لغيره، كوردة تغير آنيتها.

(6)

رغم اهتمامي بمظهرها إلا أنَّني لم أتوانى عن دعمها فكريا لتصبح شخصية معاصرة محترمة متعلمة ومثقفة. لا أعرف بالضبط ما أعنيه ب فكرة "محترمة"، لكن لا بد أنني فكرت حينها ببساطة أن تبدو فتاة عصرية متطورة أتباهى بها حين أقدمها لأصدقائي. لم أكن لأنتبه إن كان هذا يتماشى مع طريقتي في تدليلها، لكن حبي الكبير لها حال دون تفكير عقلاني في تنشئتها في ذلك الوقت.

- نظمي وقتك بين التعلم واللهو يا نعومي، اجتهدي لتحقيق ذاتك وسأشتري لك ما ترغبين به.

وكانت ترد بقولها:

- أعدك أنَّني سأصبح امرأة مثالية.

خصصت لها نصف ساعة كل يوم بعد العشاء لأراجع معها دروس القراءة والمحادثة الإنكليزية، إلا أن اللهو الدراسة يمتزجان معاً عند هذه الفتاة التي تجلس مسترخية على الأريكة بقميص نومها المخملي ليتدلى الخف من إصبع قدمها مثل دمية.

- ماذا تفعلين نعومي: ركزي معي في الدرس. تحني رأسها وتجاوب بنبرة طفولية متملقة:

- آسف أستاذ أو أرجوك اعذرني سيد كاواي. وسرعان ما تطبع قبلة على خدي. كيف لي أن أكون حازماً مع تلميذتي المعبودة هذه، وكيف لا يتحول الدرس للهو وينتهي بي الأمر لحصانها الكبير؟

لم أكن أعرف المستوى الذي وصلته نعومي في دروس الموسيقا، ولأي مدى تطورت موسيقياً، إلا أنها دأبت على دروس اللغة لعامين مع الآنسة هاريسون ولأني أتابعها يوما بيوم، بدا لي أنها تقدمت بشكل ملحوظ بعد أن أنهت كتاب القراءة الأول ونصف الثاني، وأنهت كتاب صدى المحادثة كله وكتاب القواعد الوسيط لكاندا نايبو. وهذا يوازي الصف الثالث بالمدارس الإعدادية. إلا أن مستواها كان متدنياً عن الصف الثاني وهذا ما أربكني وذهب بي للآنسة هاريسون.

- الأمر ليس كذلك، قالت لي العانس البدينة بابتسامة ندية فوق شفتيها، إنها فتاة ممتازة مجتهدة.

- نعم هي بالفعل، لكن لغتها ليس بجيدة كما ينبغي للترجمة وتطبيق القواعد...

قاطعتني وأجابت بلغة يابانية غريبة:

- يفكر اليابانيون دائما بالقواعد والترجمة وهذه فكرة خاطئة، على الطالب أن يتعلم القراءة والمحادثة أولاً ونعومي تجيد نطق اللغة بشكل ممتاز وستكون بلغة إنكليزية قوية في المستقبل القريب.

أعتقد أنها محقة، ولا أظن أن على نعومي أن تختزن قواعد النحو كلها، لكن بعد عامين من دراسة اللغة يبدو جلياً تقصيرها في معرفة قاعدة الماضي التام، أو تركيب جملة مبينة للمجهول أو استخدام الصيغة الشرطية. وهذا يبدو في ترجمتها من اليابانية للانكليزية. ورحت أتساءل عمَّا تعلمته خلال عامين من هذا كله.

تجاهلت المرأة نظرة امتعاضي ورددت بثقة:

- الآنسة نعومي ذكية

لا عجب في هذا الرأي خاصة أن المدرسين الأجانب منحازون لطلابهم الذين يميلون في سلوكهم نحو الجانب الغربي وهذا ما يفسر إشادة آنسة عانس كالآنسة هاريسون بنعومي.

كان نطق نعومي للكلمات ناعماً للغاية، وبفضل أسنانها المستقيمة ودروس الغناء، بات صوتها رائعاً ورقيقاً. لا شك أن صوتها أبهر الآنسة هاريسون وأحبتها بالفعل خاصة عندما لمحت صوراً لنعومي على مرآتها.

رغم استيائي من آراء الآنسة هاريسون وأساليبها التعليمية، لكني شعرت بالضعف مثل معظم المحليين حين يواجهون الغربيين، كما أن لغتها اليابانية الغريبة وثقتها الزائدة أفقدتني شجاعتي في التعبير عن وجهة نظري بوضوح حتى أنّني أوضحت لها قناعتي بإحباطٍ داخلي بصحة رأيها، لا باس بهذا طالما أنها معجبة بنعومي.

سألتني نعومي ذلك المساء وهي واثقة من وقوف المرأة جانبها:

- ماذا قالت لك الآنسة هاريسون جوجي؟

- قالت أنك تحرزين تقدماً، لكني أعتقد أنها مخطئة فالغربيون لا يفهمون الطالب الياباني ويعتقدون بما لا نعتقد به ناحية الترجمة والقواعد. انظري حين أسالك عن الترجمة يتبدى لي جهلك بالنص وبهذا المعدل لن يرقى مستواك للتطبيق العملي.

كانت هذه المرة الأولى التي أوجه فيها نقداً حقيقياً لنعومي، بعد أن استفزتني نظرتها المنتصرة، حتى أنني بت أشك، هل نعومي فعلاً ستصبح المرأة الذكية التي تحدثنا عنها؟ من الصعب توقع مستقبل لغوي باهر لها وهي جاهلة بأقل قواعد النحو. لماذا يدرس الطلبة الهندسة والجبر، لا شك أن الهدف زرع القدرة فيهم لاستخدام التفكير بدقة.

أعتقد أن المرأة اليابانية لتصل لمستوى الغربية، عليها أن تمتلك قدرة على الفكير والتحليل المنظم. وهذا ما أجبرني على زيادة الزمن الذي أمضيه معها في الدراسة من نصف ساعة لساعة ونصف. كان علي تعليمها الترجمة من اليابانية للإنكليزية وقواعد النحو الأساسية. ولم أعد أسمح لها بجو اللهو من جديد، بل أوبخها بعنف.

كانت ضعيفة الفهم، لذلك اعتمدت معها التلميحات البسيطة وتركتها تتابع ما أردته منها وحدها.

مثلاً أثناء تحويل جملة لصيغة المبني للمجهول كنت أطلب منها ترجمة التمرين ثم حله. وأنتظر صابراً حتى تنتهي من الإجابة وإن أخطأت، أدعوها لقراءة القاعدة مرة تلو المرة.

كانت نعومي كثيرا ما تعجز عن حل التمرين، وكنت أوبخها قائلاً:

- إن لم تتمكني من فهم درس بسيط كهذا، كيف يمكن أن تحرزي تقدماً يا نعومي؟ أصحح لك مرة تلو المرة، وما زلت لا تستوعبين، أين ذهنك؟ ألستِ ذكية كما قالت الآنسة هاريسون؟ لكنَّني لا أعتقد هذا مطلقاً. يتزايد انفعالي ويعلو صراخي عليها حتى تنتفخ اوداجها وتتجهم ثم تستغرق في النحيب.

لا يتحول الجو خانقاً لكلينا إلا حينما يبدأ موعد مراجعتها لدروسها، إذ نمضي الوقت، في العادة، زوجين سعيدين متحابين دون عراك. ذات يوم فقدت أعصابي وجلسنا متجهمين يحدق كلانا بالآخر بعيون يملؤها العداء. لا أنكر أنني كنت أشعر بالإحباط، وبدأت أتناسى رغبتي في جعلها امرأة متميزة وصرت أختلق سبباً لإزعاجها، وأنعتها بالغبية، لو كانت صبياً لضربتها، مع إنَّني فعلتها مرة وضربتها على جبهتها بأصابعي، لم ترد حينها وصمتت كالحجر

تحاول مغالبة دموعها المنسابة على خديها. في حدث مشابه تمسكت بعنادها مما دفعني لمغادرة المكان دون حل الأمر.

أفهمتها مراراً، ذات مساء، أن المضارع المستمر يجب أن يسبق بفعل الكينونة، لم تستوعب واستمرت في استخدامه دون الإضافة، صحت فيها: غبية، شارحاً لها الأشكال المختلفة لفعل "go" في صيغه الثلاثة وكالعادة ارتكبت أخطاء قاتلة في تركيب الصيغ. وكررت: يالك من غبية كم مرة علي أن أشرح لك؟ إن لم تحاولي الفهم سنعكف على هذا الدرس حتى لو قضينا الليلة بأكملها ندرس، وألقيت القلم الرصاص والدفتر بعنف إليها. شحب وجهها ونظرت إلي بشزر ضاغطة على شفتها، ثم قامت بتمزيق الدفتر وألقت بالأوراق على الأرض وركزت بعينيها المشتعلتين علي كما لو أنها تريد ثقب حفرة في وجهي.

- مالذي فعلته؟ أتشعرين بالتمرد علي؟ قلت لها محاولاً مواجهة نظرتها الثاقبة. من الذي يريد أن يتعلم، أنت أليس كذلك؟ سأذاكر دروسي بجد، سأصبح امرأة ذكية.. ماذا.. هل غيَّرت رأيك؟ لماذا تمزقين دفترك، اعتذري وإلا سأنهي علاقتي بك وسترحلين عن البيت الآن.

ظلت صامتة بعناد بعد أن شحب وجهها وتحول ملاءة بيضاء، ظَهرَ ظل انفراج باهت حول شفتيها كما لو أنها ستصرخ.

- لا بأس، لا تريدين الاعتذار؟ أخرجي الآن حالاً.

لم تتحرك، نهضت واقفاً جامعاً بعضاً من ملابسها، واضعاً إياها في صرة، ثم أحضرت حافظتي من الطابق الثاني وأخرجت منها ورقتين من فئة العشرة ينات قائلاً لها:

خذي أشيائك وعودي إلى أساكوسا الليلة، وهاك عشرين يناً. لا تكفي أعرف، سأنهي التفاصيل الأخرى في غضون أيام وأرسل لك أشياءك الباقية غداً. ألن تقولي شيئاً؟!

لا تزال نعومي طفلة، رغم نظرة التحدي الواضحة في عينيها، جفلت من صراخي وأحنت رأسها وانكمشت.

- أعرف أنك عنيدة، لكنني أعند منك، إن لم تعتذري فعودي لبيتك، قرري الآن.

هزَّت رأسها بالرفض.

- إذا لا تريدين العودة لبيتك؟

هزَّت راسها مرة أخرى.

- هل ستعتذرين؟

أومأت بالإيجاب.

- في هذه الحالة سأعفو عنك، دعيني أرى انحناءة اعتذار مقنعة.

استندت بيديها على الطاولة وقامت بانحناءة بسيطة بشيء من التجاهل مبتعدة بعينيها. بدت كأنها تسخر مني.

طبيعتها المتسمة بالغرور والعناد والتي لم أدرك أهي ناشئة معها أم بسبب تدليلي المفرط لها، زادت سوءاً بمرور الزمن. رغم أنَّني بمجمل الأوقات كنت أتغاضى عنها باعتبارها جاذبية طفولية، إلا أنني وجدت بعد نضوجها صعوبة في التحمل. أصبحت نعومي كثيرة المشاكسة والطلبات، لا تذعن للتوبيخ وتغضب من أي شيء يثيرها.

يفتنني نحيبها أحياناً لكنَّي أشعر برعدة غريبة تسري في أوصالي، حين توجه إلي نظراتها الحادة عبر عينين متوقدتين لامعتين مترعتين بالإغراء.

(7)

تصارعت في خافقي مشاعر الحب مع الإحباط، نعم لقد أسأت الاختيار، فنعومي لم تكن ذكية كما تأملت. اعترافي أو إنكاري لهذا الأمر لم يعد مجدياً، فقد أدركت تماماً أن تحويل نعومي لامرأة مثالية فيض وهم.

أدرك في أعماقي أن الاختيار الخاطئ يودي لنتيجة سيئة، كيف لفتاة من سينزوكي ما هي إلا نادلة بمقهى أن تنهل من علمٍ غير مناسب لها؟ ربما علي التخلي عن طموحاتي بشأن تعليمها، لكن في الوقت ذاته جذبني جسدها، نعم أقول جسدها وأعني ما أقول، بشرتها، أسنانها، شفتيها، شعرها، عينيها، جسدها كله.

أحبطني غبائها، وإمكانياتها الذهنية المحدودة، بشدةٍ. أخذ اليأس والحزن مناله مني، وبات جسدها يعزيني، رغم أن هذا أمر مؤسف، لكني بدأت أفقد رغبتي البريئة في تعليمها، مدركاً تماماً عجزي عن تقديم الأكثر.

تجري الأمور بما لا يشتهي المرء، لا بأس، فنعومي التي لطالما وددتها متكاملة، على المستويين التثقيفي والجمالي، فشلتْ إلا في أن تغدو امرأة بقدر هائل من الجمال فقط.

لاحظتْ نعومي التغيير الذي طرأ علي فقالت:

- لا تدعوني بالغبية يا جوجي، أثناء مراجعتنا لدروس اللغة.

- أعرفُ أن تأنيبكِ لن يغير إلا في زيادة عنادك. لذلك قررت تغيير أسلوبي معك.

- بتَّ تعرف أنني لن أنصاع إن زجرتني ياجوجي. أنت لا تعرف أنه بإمكاني القيام بحل التمارين جميعها، لكنَّني أردت استفزازك وتظاهرت بعدم الفهم.

كنت أعلم أن ما تقوله نابع بالمطلق من عجزها، رغم هذا ادعيت الدهشة:

- ماذا تقولين؟

- نعم، أي شخص يمكنه حل التمارين تلك، كم تبدو غريباً حين يجن جنونك.

- خدعتني إذاً.

- آلا تعتقد أنني أكثر ذكاء مما تظن؟

- حسنٌ، أنت فتاة ذكية، لا يمكن مجاراتك.

زاد هذا النقاش زهوها بنفسها فراحت تضحك.

لدي قصة أود قصها، وآمل من قرائي متابعتها بتأنٍ دون السخرية مني. في حصةٍ تاريخ بالمرحلة الإعدادية، درسنا حكاية أنطونيو وكيلوباترا. تعرفون أن أنطونيو حارب قوات أوغاستس فوق مياه النيل، وكانت كليوباترا تحارب بجيوشها معه بالمعركة تلك. إلا أنها سرعان ما أدارت دفة سفينتها ولاذت بالفرار حينما أدركت أن مسار الأحداث ليس لصالحها. فما كان من أنطونيو المحارب المغوار، إلا أن ينسحب من المعركة في لحظة حرجة ليقتفي أثر معشوقته قاسية القلب.

- هذا الرجل، يا طلاب

كما أشار مدرس التاريخ يومها...

- أعظم أحمق في التاريخ. فقد حياته في مطاردة امرأة. أنطونيو البطل الضرغام، من المؤسف أن يلقى نهاية على هذا النحو ويضحي أضحوكة العصور!

يومها كطلاب مراهقين، ضحكنا كثيراً على أسلوب المدرس الغريب. بالنسبة لي: جوهر القصة كامنٌ في عجزي عن فهم السبب، الذي لأجله، يقع رجل في غرام امرأة لا قلب لها! خاصة حينما عرفتُ أن يوليوس قيصر، من قبله، وُصم بالوقوع في حبائلها.

في كواليس الأحداث، إبان فترة توكوجاوا، أو حقبة نشوء وسقوط الدول، ثمة خدعاً لامرأة ما فاتنة. قد تكون كيلوباترا امرأة داهية، لكنها في الواقع ليست أكثر دهاء من انطونيو. ويكفي الرجل، أن يلتمس يقظته ليعرف إن كانت هذه المعشوقة صادقة مخلصة أم لا. لأن الرجل ضعيف القلب وحده، من يسلّم المرأة رضاه لخداعها. إن كانت هذه حال أنطونيو، فليس من شيء جدير بالإعجاب في بطولته مهما طغت. هذه معتقداتي الضمنية حينها، وقد أيدتُ مدرسي على رأيه بأنطونيو أنه "أضحوكة العصر وأكبر أحمق في التاريخ".

أجول بالمشهد كاملاً، أعتقد أنني لم أعد بوضع يؤهلني للسخرية من أبطال مثله، فأنا الآن أتفهم السبب الذي يجعل من روماني عظيم، أحمقَ، يقع في شرك امرأة فاتنة برضاه التام، بتُّ متعاطفاً معه.

لا تخدع المرأة الرجل. ما يحدث في الواقع، أن الرجل يبتهج بأسلوبها الأنثوي في سلب لبه.

كل سلوك تقوم به معشوقته، يصير لـه وقـعٌ خـاص. يـدرك حـين تدفن رأسها بكتفه ذارفة الدموع، أن مـا تنويـه فـيضٌ مـن كيـد. لكنـه يعتنق تجاهله، ويهمس لنفسه:

"امضِ فيما تنوين يا معبـودتي اللطيفـة، اجعلـيني كمـا تـشائين"، متابعاً المناورة معها، كأنما يريد زج بهجة النصر بقلب طفلة ضعيف، ليس لتضليله، وإنما لقناعة بأنها مهمـا فعلـت فهـو ولي الأمـر، قائـد المركب، وسيد الحالة العاطفية برمتها.

ألعبُ دور الأحمق مع نعومي. وأتظاهر بأن خداعها ينطلـي علـي. هي الأذكى! فليكن كما تظن، و لتغـرقني الـسعادة بقناعتـها الـسخيفة تلك. إن كانت نعومي لا تتمتع بذكاء خاص فلا يعني ألا أمنحها الثقة. تكمن مشكلة المرأة اليابانية، في نقطـة ضـعف كامنـة بافتقارهـا للثقـة بذاتها. ولهذا تبدو أقل مستوى من المرأة الغربية.

تقع الكثيرات بفخ عبارات التملق التافهـة، وتعتقـدن مـن خلالهـا أنهن جميلات بالفعل. لا تدركن أن مقاييس الجمال العصرية من ذكاء وسرعة بديهة أهم بكثير من مقاييس الجمال الجسدية.

لا أريد أن أتسبب بإحباط مزاعم نعومي عن ذكائها، ولأنهـا متحفـزة لأن تُخدع، أناورها وأعزز ثقتها بنفسها. فتابعتُ ممارسة هـذه الخطـة في ألعاب الشطرنج والورق، كلما انتصرت علي، تموج جذلى:

- إنني أفضل منك في اللعب جوجي، وتتحداني بازدراء:

- تعال! سألحق بك هزيمة أشد قسوة.

- تعرفين أني لا أخسر مباراة لو أن غيرك من يلعب معي، لكـن لأنك طفلة لست جاداً باللعب.

- لا تبرر خسارتك، سأؤجل الإصغاء لخطبتك الرائعة بعد فوزك.

وألعب بشكل سيء متعمداً، مانحاً إياها المجال، مثل كل مرة لتهزمني.

- ما رأيك الآن وأنت تُهزم على يد طفلة..؟ لا أمل لك جوجي، رجل ناضج في الحادية والثلاثين، تهزمه ابنة الثمانية عشرة!!

أستذكر هذا وأنظر إلى هزيمتي التي باتت عادة سيئة، لا يمكن التخلص منها. بدا الأمر جلّياً حين بدأنا المقامرة، فتهاجم نعومي بتركيز وقوة تفقداني التوازن والمبادرة. تعرضتُ لخسائر مالية كبيرة، إذ كانت نعومي من تحدد قيمة الرهان، وتجمع ما تريد من أموالي.

- أرغب بشراء كيمونو يبلغ ثمنه ثلاثون يناً، هلم لنقامر.

لم تتوانَ نعومي عن توظيف حيلها لتبديد تركيزي واقتناص الفوز عبر ثوبها الفضفاض الذي سرعان ما يكشف أجزاء من جسدها البض. كلما جاورها الحظ السيء تتراخى على مقعدها، تفك أزراره كاشفة عن ساقيها. إذا ما فشلت حيلتها، ترمي بقامتها في حضني ملاطفة خدي، ملامسة شفاهي. لتضحي مقاومتي ضئيلة أمام هذه الحركات الأنثوية، خاصة حينما تهاجم برفق، بحركة قاضية أخيرة، فتظلم الأشياء حولي، يدوخ رأسي وأتوقف عن اللعب.

- هذا ليس عدلاً نعومي.

- بل عدل، يمكنني استخدام الحيل جميعها!

كلما انصرف انتباهي أكثر عن اللعبة، صار كل شيء أمامي ضبابياً.

- هذه ليست طريقة للعب الورق، نعومي.

- لم لا، تستخدم النساء الحيل لتهزم الرجال، كنت أرقب أختي الكبيرة تهزمهم بأسلوبها هذا.

أعتقد أن هذا بالضبط ما حدث مع أنطونيو، سلبت كيلوباترا مقاومته، ووقع بالشرك. من الممتع أن يمنح الرجل الثقة لامرأة يحبها، لكن مع الزمن، ستفقده ثقته بنفسه، ليودي به الأمر لسلسة من المآسي لا يمكن اجتنابها.

(8)

في مساء حار من أوائل أيلول في خريف نعومي الثامن عشر، عدت باكراً للبيت لقلة العمل. أدهشني وجود شاب لم أره من قبل، يتحدث مع زوجتي في الحديقة.

بدا في عمرها أو أكبر بعام، يرتدي كومينو أبيض وقبعة من القش مزينة بشريطة زاهية على نمط "اليانكي" الأميركي. كان ينقر بعصاه، أثناء حديثه معها، على مقدمة خفه الخشبي , وسيم الملامح كثيف الحاجبين بوجه مكتظ بالبثور. أما نعومي فكانت تجثو عند قدميه، خلف حوض الزهور، فلم ألمح سوى جزءٍ من وجهها وشعرها.

- أراك فيما بعد. انحنى لنعومي حينما رآني، ورفع قبعته لي مغادراً بخطى سريعة نحو البوابة.

همت نعومي بالوقوف:

- إلى اللقاء. ليرد دون أن يلتفت إليها خافضاً قبعته كي لا أتعرف على وجهه:

- إلى اللقاء.

- من ذلك الشاب؟ تملكني فضول غريب يتجاوز شعوري بالغيرة.

- إنه صديقي هامادا.

- منذ متى تعرفينه؟

- من فترة طويلة، يتلقى معي دروساً في الأصوات، صحيح أن البثور تكسو وجهه، لكنه مبدع بالغناء، غنينا معاً لحناً رباعياً في حفلنا الموسيقي الأخير.

أثار تعليقها غير المبرر شكوكي، حدقت في عينيها فبدت طبيعية جداً.

- هل يأتي هنا عادة؟

- لا، هذه المرة الأولى، كان في الجوار وعرّج علي. تم افتتاح نادٍ للرقص، وهو يعرضُ علي الاشتراك فيه.

رغم الحيرة التي راودتني، إلا أنني اقتنعت بكلامها، ربما فعلاً هذا غرض الشاب من المجيء، وفي النهاية هما معاً في الحديقة بزمن يتوقعان فيه مجيئي، وهذا كاف لتبديد شكوكي كلِّها.

- هل ستسمح لي بالاشتراك؟

- أفكر بالأمر.

- أرجوك وافق، انضم أنت أيضاً، حينها نذهب معاً. قالت بلطف.

- هل يمكنني الانضمام؟

- يمكن للجميع، المدربة روسية، تعرفت الآنسة سوجيزاكي عليها في إيساراجو، وافتتحت النادي لمساعدتها بعد فرارها من سيبيريا بلا أي مال. وبزيادة عدد الطلاب يتحسن وضع النادي. أرجوك اسمح لي بالانضمام.

- حسنٌ، لكن لا أعرف إن كنت أستطيع تعلم الرقص الغربي.

- ستتعلم بسرعة، تستطيع بالطبع.

- لا أعرف شيئاً عن الموسيقى.

- ستتعود عليها أثناء تعلمك الرقص، ليس بالأمر الصعب.

- عليك أن تنضم للنادي يا جوجي، لا يمكن أن أذهب وحدي. كما أن الجلوس بالبيت لوقت طويل ممل، نخرج معاً ونمضي أوقات رائعة.

هل بدأت نعومي تمل الحياة التي نحياها..؟ ثلاثة أعوام مرت على إقامتنا بمفردنا في قصر الحكايات الخيالية في أوموري باستثناء إجازات الصيف. تجنبنا الاتصال بالعالم الخارجي، ومهما كان ما نفعله للتسلية وتمضية الوقت، لا بد أنها ستمل في نهاية المطاف. هذا جزء من طبيعتها، تنهمك تماماً في أي نشاط جديد، وسرعان ما يتلاشى ذاك الاهتمام مع الزمن. من لعب الورق، للشطرنج، للاهتمام بأحواض الزهور.. كل هذا ليس إلا تسلية مؤقتة قد لا ترضي فتاة ملولة كنعومي.

- حياة مملة، آلا يوجد شيء جديد لأقوم به؟ تستلقي على الأريكة وتتشاءب، حانية يدها بالرواية التي أمسكتها للتو.

الرقص ربما ليس بفكرة سيئة، فنعومي لم تعد الفتاة التي عرفتها منذ سنوات ثلاث، وبإمكاني الآن تقديمها للمجتمع الراقي، لتجاري السيدات الأخريات. راودني شعور الزهو والافتخار لِما جال برأسي من هذه الأفكار.

لكوني ريفياً، فأنا أجيد التعامل الاجتماعي، بتُّ خجولاً أنسحب من أية لقاءات جماعية. لكن لا يزال للمجتمع الراقي جاذبية وسحر خاص. تزوجتُ نعومي لأجعل منها السيدة المتحضرة الجميلة التي سيثني عليها من يراها قائلاً: "زوجتك جميلة للغاية". طموح سيذهب برغبتي في إطلاقها من قفص الطائر هذا.

أخبرتني نعومي أن مدرّسة الرقص روسية؛ تدعى الكونتيسة ألكسندرا شلمسكايا، التي اختفى زوجها الكونت وولداها، خلال الحرب، بينما نجحت بصعوبة بالوصول لليابان. لذلك قررت تدريس الرقص بعد استقرارها كمورد للرزق. أما الآنسة سوجيزاكي، مدرسة الموسيقى، فقامت بتأسيس النادي لمساعدة الكونتيسة. بينما كان هامادا، صديق نعومي، الطالب في جامعة كيو، سكرتيراً للنادي.

في الطابق الثاني من محل يوشيمورا، المختص ببيع الآلات الموسيقية الغربية، الواقع عند منحدر هيجيري في ميتا. تأتي الكونتيسة يومي الأثنين والجمعة أسبوعياً لتعلم المتدربين على الرقص، ويمكن للمتدرب اختيار الفترة المناسبة له بين الرابعة والسابعة مساء. أما رسم الاشتراك فيبلغ عشرين يناً في الشهر يُدفع مقدماً. يتعين عليّ ونعومي دفع 40 يناً. فكرت كم من السخف دفع مبلغ كبير كهذا. لكن نعومي أصرت أن الرقص الغربي مَثله كمثل الياباني دليل على الترف، يستحق أن يُدفع لأجله ثمنٌ مرتفعٌ. كما أعلمتني أنه لم يكن عليّ تلقي دروساً لفترة طويلة. شهر واحد كاف لمن يمتلك الموهبة. وثلاثة أشهر بوسعها أن تعلم الرقص لقليلي الخبرة، حينها لن تكون الدروس مكلفة كما ظننت.

- علينا مساعدة الكونتسية شلمسكايا، يا جوجي، قالت نعومي

- المرأة المسكينة، تخيل مدى المعاناة التي تعيشها بعد أن آلت لهذه الحال. قال لي هامادا أنها راقصة محترفة وبإمكانها تدريس الرقص المسرحي وهذا نادر هنا.

راحت نعومي تشيد بحرارة بالكونتيسة التي لم ترها مسبقاً، وتتحدث عن الرقص، كأنها تعلم كل شيء عنه، وهكذا انضممنا معاً للنادي.

قابلتُ نعومي في أول يوم لنا في الخامسة مساء عند محطة تاماشي. وصحبتني لمحل الآلات الموسيقية، متجر ضيقٌ يقع في منتصف المنحدر تتوزع في داخله آلات موسيقية متنوعة، البيانو، الأورغن، الصاكي وغيرها. يبدو أن دروس الرقص قد بدأت بالفعل، فها هي موسيقى الفونوغراف ترافقها الخطوات الراقصة، تصدح من الطابق الثاني، بينما راح خمسة إلى ستة شباب، يظهر أنهم من جامعة كيو يحدقون بنا بطريقة غير مريحة. ثم صاح أحدهم: "نعومي"، حاملاً آلة تشبه الغيتار الياباني، تسمى آلة المندولين، عازفاً على أوتارها.

- أهلاً ماشان، كيف حالك؟ هل سترقص؟

- عشرون يناً بالشهر، باهظٌ بالنسبة للمبتدئين أمثالي. مقطباً وهو يضع المندولين على الرف.

- ما العمل إذاً، فأنت مجرد مبتدئ!

- ستتعلمون جميعكم أصول الرقص، وستعلمونني، لماذا علي إنفاق هذا المبلغ الكبير؟

- يالك من ماكر! أين هاماد، هل هو بالأعلى؟

- نعم اصعدي إليه.

بدا المكان وكأنه مجمّعٌ للطلاب المقيمين في الجوار، انتابني شعور أن نعومي ترددت عليه كثيراً، فقد كان جميع الموجودين يعرفونها.

- من أولئك نعومي؟

- إنهم أعضاء نادي مندولين بجامعة كيو، ليسوا بمهذبين ولا بسيئين بذات الوقت.

- أهم أصدقاؤك؟

- لا، ليسوا أصدقاء بمعنى الصداقة، تعرفت عليهم هنا، حين مررت لأشتري بعض الأشياء.

- هل أعضاء نادي الرقص سيكونون بهذا المستوى أيضاً؟

- لا أظن، ربما سيكونون أكبر سناً.

وصلنا قاعة التمرين بمساحتها الرحبة عند نهاية الممر في الطابق الثاني. سرعان ما لمحنا أشخاصاً يراوحون الخطى مكررين: "one، two، three". بينما كان هامادا ينثر مسحوقًا على الأرضية ليجعلها أكثر انزلاقاً على ما أظن.

كان الجو رطباً حاراً، تسللت الشمس عبر النوافذ الغربية المفتوحة. أحاطت خيوطاً أرجوانية قامة امرأة وسط المكان. إنها السيدة شلمسكايا بقميص من قماش الجورجيت وتنورة صوف زرقاء قاتمة. امرأة ذات ولدين، لا بد أنها بلغت الخامسة أو السادسة والثلاثين من عمرها، لكنها بدت في الثلاثين فقط. اتسمت ملامحها بالجلال والوقار والثقة، كما وشتْ بشرتها الفاتحة الصافية بجلال ومنبت أرستقراطي. بينما دلت ملابسها ومجوهرات صدرها وأصابعها على ذوق رفيع وغنى. كان من الصعب علي التصديق أنها تعيش في ضائقة مادية.

أخذت تحدق في أقدام الطلاب، وهي تمسك بسوط قصير بيدها وتكرر: "one-two-three" وتصبح "tree" بلهجتها لتتردد بهدوء واتزان.كانت تعامل الطلاب كأنها ضابطة تدرب الجنود. مشهد راح بي لمسرح التنين الذهبي في أساكوسا، حيث توجه جيش من النساء للجبهة، على خشبته، ضمن عمل أوبرالي.

مـن بـين المتـدربين شـابٌ لا أعتقـد أنـه جـامعي، وفتـاة بثيـاب متواضعة، تؤدي الرقص بحماس مع رجل بثياب يابانية، أظن أنها من أسرة محترمة بما يشير إليه شكلها وجديتها وما تتركه من انطبـاع جيـد في النفوس.

بمجرد أن يتوه طالب بخطـوة خاطئـة، تـصيح بحـدة لا، وتتجـه نحوه لتعلمه طريقة أدائها. وإذا ما أخطـأ مـن جديـد، تـصيح بـصوت عال عليه وتضرب بسوطها على الأرض وتصيب بمعظم الأحيان قـدم أحد الطلاب. ولا تفرق بين الجنسين في هذا.

- إنها مدربة في منتهى الحماس، وهذه الطريقة المثلى في التعليم.

- نعم بالفعل، لا يرقى أي مدرب ياباني لمستوى هذا التدريب. فالغربيون أشد براعة وأكثر نشاطاً، انظر إليها ستتابع العمـل لـساعات دون اسـتراحة حـتى في مثـل هـذا الطقـس الحـار، عرضـتُ عليهـا المثلجات لكنها رفضت أثناء الدروس.

- آلا تشعر بالإرهاق؟ عجيب حقاً.

- الغربيون يتمتعون بأجساد قوية، لكني أشعر بالحزن لأجلـها، اضطرت للقيام بهذا النوع من العمل بعد أن كانت زوجة الكونت!

هذا ما تحاورت به امرأتان جالستان على أريكة في حجرة مقابلـة، مراقبتـان مـا يجـري خـلال الـدرس. إحـداهما سـيدة في الخامـسة والعشرين من عمرها، بدت بوجهها المستدير، وعينيها الجـاحظتين، وفمها الواسع، وشفتيها الرقيقتين كسمكة صـينية ذهبيـة. أمـا شـعرها المصفف من الأمام للخلف بطريقة تشبه جسد حيوان الشيهم فقد كـان معقوصاً عند مؤخرة عنقها بدبوس ضخم أبيض من صـدفة الـسلحفاة. بينما لفت حزامها على الطريقـة المـصرية لينتـهي بمـشبك مـن حجـر

اليشب الكريم. أما المرأة الأخرى فبدت في أربعينات عمرها، بعد أن أظهر تراكم المساحيق المتلطخة بالعرق بشرتها المتشققة بشكل أعمق. شعرها أحمر ولا أعرف إن كان مصبوغاً أو طبيعي الحُمرة، لكنه أجعد وأشعث. بدت في هيئة ممرضة بملابسها المبهجة، وقامتها النحيفة الطويلة.

كان البعض ينتظر دوره، وقد غلبهم الخجل، بينما بدأ آخرون يرقصون في ثنائيات عند أطراف الحجرة. اندفع هامادا، سكرتير النادي، لتغيير نغمات موسيقى الرقص من المسجل، ثم قدم نفسه كشريك لأولئك الراقصين. تساءلت كثيراً عن نوعية الرجال الذين قدموا ليتعلموا الرقص وجلت بعيني بينهم، هامادا كان الأكثر أناقة، إذ بدو بحللهم الزرقاء المفتقرة للذوق والمكونة من قطع ثلاث، كعمال معدمين، كانوا بمجملهم أصغر سناً مني. عدا رجلٍ لاحت في وجهه سنواته الثلاثين، يرتدي معطفاً ويضع نظارة بزجاج سميك وإطارات مذهبة فوق عينيه، بينما أطال شاربيه على النمط التقليدي. هذا الرجل الثلاثيني نال من التوبيخ وفرقعة السوط الكثير، وكانت تصيح به الكونتيسة مرة تلوة المرة: "سيء" كان أبطأ المتعلمين. مالذي أتى برجل في هذه السن ليتلقى دروساً في الرقص؟ لكن لم التساؤل فهو قريب من عمري! رغم أنها المرة الأولى لي في مثل هذه الأماكن، ورغم أن نعومي شريكتي بالرقص، إلا أنّني متأكد أني سأغرق بحمام من العرق البارد حين أتلمس تحديق النسوة وتعليقاتهن وتوبيخ الكونتيسة، وغلبني الرعب من لحظة قدوم دورنا للرقص.

- أهلاً وسهلاً قالها هامادا لنا وهو يجفف جبهته المتعرقة بعد رقصتين أو ثلاث.

- فرصة طيبة أن ألتقيك ثانية. ثم وجه حديثه لنعومي:

- أشكر مجيئك في مثل هذا الجو الحار، هل أستطيع استخدام مروحتك، ليس من السهل القيام بدور المساعد. أخرجت نعومي المروحة من نطاقها وأعطتها له قائلة:

- لكنك بمستوى ممتاز لتختارك مساعداً لها، منذ متى بدأت التدريب؟

- منذ نحو ستة أشهر، أنت سريعة الاستيعاب وسوف تتعلمين بسرعة.

سألته بدوري:

- من هؤلاء الشباب؟

- معظمهم موظفو شركة البترول الشرقية. تم إعلامهم بافتتاح النادي من قبل أحد أقارب الآنسة سوجيزاكي، وهو عضو في مجلس إدارة الشركة.

توليفة غريبة، عاملو بترول ورقص.. فسألته:

- و الرجل ذو الشارب، أهو موظف معهم؟

- لا، إنه طبيب.

- نعم، مستشار صحي، وهو يوقن أن الرقص أفضل التمارين للجسم وهذا ما جعله يلتحق بالنادي.

- حقاً، تدخلت نعومي، هل الرقص رياضة جيدة يا هامادا؟

- بالتأكيد، حين تتصببين عرقاً ويبتل قميصك حتى بالشتاء، فهذا دليل على فعاليته، خاصة بطريقة السيدة شلمسكايا.

- هل تتكلم السيدة اليابانية؟

- لا أبداً، تستخدم الانكليزية.

- آه، الانكليزية، لا أجيد التحدث بها، من الأفضل أن.....

- لا تقلقي، فجميعنا في قارب واحد، حتى السيدة شلمسكايا نفسها تتحدث بلغة ركيكة، والرقص عموماً لا يتطلب كلاماً أكثر من: "one, two, three" ثم تقلدين الحركات.

وأتى صوت من عمق الحجرة: إنها السيدة التي تشبه السمكة الصينية:

- الآنسة نعومي، متى وصلتِ؟

- أهلا آنسة سوجيزاكي. أمسكت نعومي بيدي وقادتني نحو الأريكة التي تجلس عليها مدرسة الموسيقى وقالت:

- آنسة سوجيزاكي، أقدم لك السيد كاواي جوجي.

نهضت الآنسة سوجيزاكي وانحنت ثم قالت:

- كيف حالك، سعيدة بالتعرف إليك. أشكر حضورك اليوم، أحضري ذاك الكرسي، يا آنسة نعومي. التفتت إلي من جديد وقالت:

- تفضل بالجلوس، سيأتي دورك سريعاً، ولا نريدك أن تشعر بالضجر، تفضل!.

لا أتذكر بماذا أجبتها، لا بد أنني دمدمت ببعض الكلمات، فانا لا أجيد التعامل مع النساء بشكل عام، فكيف لو أنهن يستخدمن معي مثل هذه الطريقة الرسمية المتكلفة، كنت محرجاً لأني لم أعرف بالضبط، مدى اطلاع الآنسة على علاقتنا.

أشارت الآنسة سوجيزاكي للسيدة ذات الشعر الأحمر المجعد جوارها قائلة:

- هل لي أن أعرِّفك بالسيدة جيمس براون من يوكوهاما! هذا السيد كاواي جوجي، ويعمل في إحدى الشركات الكهربائية في أويماشي.

آها، إذاً المرأة زوجة لأجنبي، تأملتها بدقة، فبدت لي خليلة لرجل أجنبي أكثر من كونها زوجة، انحنيت لها انحناءة رسمية.

- هل هي المرة الأولى التي تأتي فيها إلى هنا..؟

لم تعجبني عبارة "The first time" التي نطقتها بلهجة سريعة، مدللة!

قلت لها بتململ:

- عفواً؟

تولت الآنسة سوجيزاكي الرد عني قائلة:

- نعم إنها المرة الأولى، فهو مبتدئ.

- آه، رغم أن تعلم الرجل للرقص أكثر صعوبة من تعلم المرأة، لكن بمجرد أن تبدأ، ستجد التعلم أسرع. ألا تعرف!

كان نطقها للحروف عجيباً، ولا يفوتها إهمال نطق حرف أو أكثر في الكلمة الواحدة. وهذه هي حالها مع اللغة اليابانية، راحت تواصل الحديث معي بعبارة لازمة كل مرة: "ألا تعرف!". مرة حدثتني عن السيدة شلمسكايا، ومرة عن الرقص، عن اللغات الأجنبية، والموسيقى ـ سوناتا بيتهوفن، السيمفونية الثالثة، والتسجيلات الأهم بين الشركات...

لم أستطع مجاراتها في الحديث، فتوجهت بكلامها نحو مدرسة الموسيقى وأخبرتني أنها تتلقى دروسا في العزف عند الآنسة سوجيزاكي.

أصابني اكتئاب وأنا محشور بين هاتين السيدتين، خاصة أنني لم أعرف كيف أنتهز الفرصة للفرار من مجالستهما، وبقيت أصغي لهما نادباً حظي العاثر.

مع انتهاء تدريب الطبيب ذو الشارب والبقية من عمال الشركة، صحبتنا الآنسة سوجيزاكي، وقدمتنا للسيدة شلمسكايا بلغة إنكليزية سلسة. وكان من منطق الأصول الغربية بأن السيدات أولاً، أن تكون تعومي أول من تُقدم إليها. وهنا راقبتُ بفضول ردة فعل نعومي، وهي في مواجهة امرأة غربية لأول مرة في حياتها. مدت السيدة شلمسكايا يدها، وبكلمتين لا أكثر مع ابتسامة جلية فوق وجهها جعلتْ وجه نعومي يتضرج أرجوانياً، فصافحتها دون أن تنظر أو تنطق بحرف واحد. في الواقع، لم أكن أحسن حالاً، فأنا بدوري ارتبكت أمام وجه الكونتيسة المهيب. فلمستُ الماسات المحاطة بأصابعها، صامتاً، دون أن أرفع بصري.

(9)

يتجه ذوقي إلى كل ما هو عصري وأنيق، رغم أني قد لا أمتلك حساً رفيعاً، إلا أنني حاولت محاكاة النمط الغربي في كل شيء. ولو كنتُ أملك المال بما يكفي احتياجاتي، لسافرت للخارج، وتزوجت امرأة غربية. لكن لوهلة حين فكرت بعمق وجدت أن افتقاري للثقة بمظهري، قد يحول دون ذلك. كيف لا وطولي لا يبلغ سوى خمسة أقدام، بينما بشرتي داكنة وأسناني بارزة. إضافة إلى أنَّني كنت أشمئز من نفسي لعدم اتقاني للغات، للحد الذي جعلني أفقد الأمل في الالتقاء بامرأة غربية أو التواصل معها. ولتعويض ذلك حرصت على مشاهدة عروض الأوبرا الغربية، والتحديق بوجوه ممثلات السينما، واقتناص تفاصيل جمالهن، ليترسب هذا كله في ذهني، كالأحلام.

أعتقد أن قلقاً كثيراً، سيراودني لو أني تزوجت من امرأة غربية ذات جسد باهر، لذا توصلت لقناعة أن على الياباني أن يتزوج يابانية. ونعومي، في الواقع، هي الأقرب لتلبية هاجسي، ومن ستشعرني بالرضا.

لكن هذا كله لم يحرمني الشعور المفعم بالسرور والزهو، حين بتُّ على اتصال وثيق مع سيدة غربية. هاهي دروس الرقص تحقق لي نشوة غريبة. ولو نَحيتُ مصافحة الآنسة هاريسون العجوز، ستكون المرة الأولى التي أصافح بها يداً بضة قوية ممتلئة كيد السيدة شلمسكايا.

كانت يدا نعومي رائعتين أيضاً، لها أصابع طويلة ونحيلة، لكن أصابع الكونتيسة لا تعطي الانطباع بالضعف والنحافة، رغم طولها وطراوتها، أما خواتمها الضخمة التي تبرق كالعيون الأخاذة، قد تبدو مبهرجة بيد امرأة يابانية، إلا أنها جللت أصابع الكونتيسة بجاذبية وتألق، بذوق رفيع وحياة رغدة. أما ما جعلها تتفوق على نعومي كلية، فهو بياض بشرتها الناصع، الذي شف عن عروقها الأرجوانية، كخيوط رقيقة على الرخام.

- إنك تتمتعين بيدين بضتين كيدي امرأة غربية يا نعومي.

لطالما أطريت على يديها بتلك العبارة، لكن للأسف يبدو الفرق واضحاً الآن. يدا نعومي شاحبتان جداً بالمقارنة مع يدي الكونتيسة الروسية التي بدت أظافرها متماثلة الطول كالمحار، مطلية بالوردي الوهاج، ومشذبة على نحو بديع.

تعد الكونتيسة قصيرة بالنسبة للغربيات إلا أنها كانت أطول مني بما يعادل البوصة. حين رقصنا معاً كان رأسي على خط متساو مع صدرها البارز. بذلت قصارى جهدي آلا يحتك وجهي ببشرتها الناعمة الصافية، اكتفيت بالتحديق بها، بينما تلف ذراعها حول ظهري شارحة لي الخطوات الأولى للرقص. ها هي الكونتيسة قريبة مني جداً، ولا يفصل بين صدرها وبيني سوى قميص رقيق، شعرت كما لو أني أمارس شيئاً محرماً. وخشيت أن تكون رائحة أنفاسي كريهة، أو أن تسبب يدي الزلقتين بعض الضيق لها.

انزلقت خصلة من شعرها، فجأة، فوق كتفي بما أشعل ارتباكي، فلم أتمكن من كبح جماح الرعشات الباردة، التي سرت في أوصالي كلها.

لجسد الكونتيسة رائحة معينة، صحيح أن الطلاب في نادي المندولين يقولون أن لإبطيها رائحة غير مستحبة، ومن المرجح أنها تستخدم العطور لإخفائها، لكني وجدت المزيج بين رائحتها وعطرها، جذاباً للغاية، ومضى الخيال بي بعيداً إلى جزرها المجهولة، لحدائقها المزهرة، الفاتنة، المثيرة.

لم يفتر حماسي لدروس الرقص طوال شهرين، بالطبع لم يكن ذلك لأجل نعومي، أعترف أن الرقص مع الكونتيسة وهي تطوقني لساعة كاملة أدخلني لمباهج النشوة التامة، كأني أحتسي كأساً فاخراً من الخمر.

- تبدي حماساً لم أتوقعه يا جوجي، ظننتك ستضجر سريعاً. ألم تقل أنه ليس باستطاعتك الرقص؟

كان ضميري يؤنبني، حين يثار الموضوع مع نعومي، وكنت أرد عليها:

- ظننت أني عاجز عن تعلم الرقص، لكني وجدته فيما بعد رائعاً، وكما وصفه الطبيب، فهو رياضة ممتازة.

تضحك دون أن تكشف ما أضمر:

- أرأيت يجب ألا تسمح لظنونك أن تضللك، قبل أن تجرب.

في شتاء ذلك العام، كان علينا التوجه لمقهى ألدورادو في حي جينزا، وهو من صالات الرقص القليلة المتواجدة في طوكيو، تلك الفترة. يضم المقهى أفضل صالة للرقص، تماثل تلك الصالات المتواجدة في فندقي أمبريال وكاجتسين، إلا أنه أقل تشدداً في ملابس وسلوك رواده، نظراً لأن الأجانب يشرفون على معظم أعماله. كانت نعومي من أصرت على ارتياده، بعد أن سمعت عنه من صديقة لها، لكني لم أكن متأكداً أنني أمتلك الجرأة للرقص بمكان عام.

- أنت لا تطاق يا جوجي، عليك ممارسة الرقص بين الناس خارج حلقات الدروس، هيا لا تكن جباناً.

- لا علاقة للجسارة بالأمر، يجب أن أكون مجيداً للرقص أولاً.

- ليكن ما تشاء، سأدعو هامادا أو ماشان ليرقص أحدهما معي.

- ماشان؟ صاحب المندولين؟

- نعم، هو لم يتلق أي درس في الرقص، لكنه سيرقص معي. أعتقد أنه أكثر جسارة منك. أرجوك سأرقص معك أنت. هيا إنك فتى طيب، هيا جوجي!

حسم الأمر بشأن الذهاب، إلا انه لم يكن كذلك بالنسبة لما سترتديه نعومي. فعامت في البيت قبل أيام من موعد ذهابنا، فوضى عارمة من الأقمشة والأثواب المتناثرة بكل مكان.

- لستُ متأكدة، هل هذا جميل؟ وراحت تدور حول المرايا.

- لا لا يعجبني! أوه! خلعتْ ثوباً وارتدت آخر وآخر، ثم لم يعجبها شيء في النهاية.

- اشتر لي ثوباً جديداً جوجي. أريد مظهراً يخطف الأبصار، أرجوك ابتع لي ثوباً جديداً، أرجوك، أرجوك!!

أنا الذي دأبتُ على الإنفاق بحساب، وحرصت على وضع ميزانية للمصروف، وادخار الباقي في المصرف. كما أنّني لم أتوان عن الاحتفاظ بسمعتي كموظف مثالي حتى زاد راتبي نحو أربعمئة ين في الشهر، بما فيها المكافآت نصف السنوية لكن رغم هذا لم يعد المال يكفي لمطالب نعومي الكثيرة، خاصة أن نفقات معيشتنا وصلت إلى مئتين ينٍ على الأقل في الشهر، وقد تصل للثلاثمئة ين. إضافة

للإيجار الذي زاد بمعدل خمسة عشر يناً خلال أربع سنوات، فوصل إلى الخمسة والثلاثين يناً. هذا عدا عن مصاريف الماء، الغاز، الكهرباء، التدفئة، الوقود، غسل وكي الثياب، بحيث يتبقى من الراتب مابين مائتي ين، إلى مائتين وأربعين يناً معظمها يُنفق على الطعام.

كانت نعومي تكتفي بطبق لحم بسيط، أما الآن وقد باتت خبيرة في أصناف الطعام، لم تعد ترغب بشراء الخضار وطهوها، بل تعودت على طلب وجبات الطعام الجاهزة الشهية من المطاعم القريبة.

أرغب بتناول طعام فاخر.

رغم تفضيلها للطعام الغربي إلا أن هذا لم يمنعها من اشتهاء التقليدي:

لنجرب الحساء الياباني في مطعم....

لنطلب طعاماً من مطعم.....

لطالما تناولت الغداء بمفردها، أثناء وجودي في المكتب لأجد بعودتي كل مساء، صحوناً خشبية من مطاعم يابانية، أو أوان غربية متراكمة في المطبخ.

- أنتِ تعلمين أن الطعام الجاهز، يكلف الكثير يا نعومي، ألا تعتقدين أن هذا الطعام كثير بالنسبة لامرأة بمفردها؟

- أفعل هذا لأني وحيدة، الطهو يرهقني جوجي!

لم يكن يعنيها توفير المال. وكانت الفواتير التي تأتيني من بائعي الدجاج واللحمة والفاكهة. من المطاعم اليابانية والغربية ومحلات الأسماك والمعجنات.... تثير فيَّ الدهشة، ما هذه الشراهة؟.

تأتي فواتير الغسل والكي في المرتبة الثانية بعد الأكل، لا تقوم نعومي بغسل جورب لها. ترسل كل شيء لمحل الغسيل. وكانت كلما شكوت تبذيرها، تقول لي:

- لستُ خادمتك، وإذا ما قمت بأعمال الغسيل، ستتهدل أصابعي ولن تساعدني في العزف على البيانو، ألستُ كنزك كما تقول لي!

نعومي التي كانت تهتم بشؤون المنزل وتطهو الطعام، توقفت عن هذا بعد أقل من عام منذ قدومها إلي. صارت الفوضى في المنزل عارمة، وازداد المكان اتساخاً، وتراكمت الثياب القذرة والأطباق والأواني والأكواب بما تحويه من بقاياها. غطت الأتربة الأرض والمقاعد والطاولات، وفقدت الستائر الهندية النقوش رونقها. اختفى سحر بيت الحكايات الخيالية بالكامل، وحل محله الهواء الفاسد.

- اخرجي للحديقة، نعومي، سأنظف المنزل بنفسي. لكنَّني لم أتقن العمل وبدلاً من ذلك انتشرت الأتربة بكل مكان. استأجرت خادمات عديدات، إلا أن وجودهن تعارض مع الحياة المرحة التي كنت أحياها مع نعومي، كما أنهن هربن الواحدة تلو الأخرى، من هول الفوضى، ومن كسل نعومي وأسلوبها القيادي.

لم يعد باستطاعتي توفير يمن واحد، إذ تقوم نعومي بتفصيل كيمونو جديد كل شهر، إن كان شفيفاً من الحرير أو الموسلين، تضيف البطانة ليصل بتكلفة إضافية تبلغ خمسين أو ستين يناً، وهذا لا يعني أنه قد يعجبها بعد تفصيله، فقد يكون مصيره في الدرج مهملاً. أما الأحذية فكانت من مظاهر تبذيرها. أخفاف لا تعد من القش والخشب، بكعب عال أو عادي، تبتاعه بسعر يتراوح بين ينين وثمانية للزوج، كل عشرة أيام.

- تنفقين الكثير على الأحذية، ألا تؤدي الأخفاف الغرض ذاته؟

- أنا فتاة مدنية يا جوجي،

قالتها وكأنما تريد تذكيري بأصولي الريفية،

- فأنا أنتقي ثيابي وما أنتعله بشكل جيد!

كانت مصاريفها تصل لخمسة وعشرين ينا، تتعلق بتذاكر الحفلات الموسيقية، والترام، وشراء الكتب والمجلات والروايات. كما كانت هناك مدفوعات لدروس اللغة الانجليزية والموسيقى.

لا يمكن لراتب شهري يبلغ أربعمائة ين تلبية كل هذه النفقات. وبدلاً من الادخار، صرتُ أسحب من رصيدي التوفيري. ينفد المال سريعاً، هكذا بسنوات أربع استنزفت مدخراتي ولم يتبق شيء في حسابي المصرفي.

طبيعتي الخجولة، كانت تمنعني من الاقتراض من الآخرين، وكنت أقاسي الكثير في نهاية كل شهر، كي أتمكن من دفع الفواتير.

- سأجد نفسي في نهاية الأمر مديناً يا نعومي، حاولي الاقتصاد قليلاً.

- من قال أنه يتعين عليك السداد شهرياً، اطلب منهم أن يمهلوك لستة أشهر، أنت متزمت وجبان يا جوجي!

وهكذا تأجلت الفواتير الشهرية حتى حصولي على مكافأتي نصف السنوية، أما الباقي فيتم دفعه نقداً.

لا أبالغ حين أقول أن كل ما أجنيه يذهب لنعومي، في محاولة جعلها أكثر جمالاً وحرية وتطوراً، أما مطالبي الشخصية فهي قليلة بشكل عام، كما أني قلصت التزاماتي الاجتماعية ونفقاتي لأدنى حد،

حتى أني كنت أطهو الأرز لنفسي في محاولة للتوفير. صحيح أنني أشكو وأتذمر بين فينة وأخرى، لكني السبب في تبذيرها كله.

- عليك أن تكون بثياب أكثر أناقة يا جوجي، لا أستطيع مرافقتك وأنا بكامل أناقتي وأنت تبدو على هذا الوضع!

لا معنى للحياة، إن لم أرافقها للخروج، لذلك كنت مضطراً لشراء بعض الملابس الأنيقة لنفسي، وهكذا وجدتُني مضطراً لمشاركتها التبذير.

أواجه مصاعب مالية كبيرة، أُضيف إليها مدفوعات نادي الرقص، أما إن ابتعت ثياباً جديدة لنعومي الآن، فسأقع بضائقة مالية حقيقية.

- سأواجه عجزاً في سداد الفواتير، تفهمين، أليس كذلك؟

- ماذا لو واجهت عجزاً، ستجد مخرجاً!

- كيف سأجد؟ ليس هناك أي طريقة للحل.

- لماذا نتلقى دروساً في الرقص إذاً، سأتوقف عن الخروج اعتباراً من يوم غد.

حدقت فيَّ، بعيون دامعة مؤنبة، وأصابتها حالة من الصمت وذهبت للفراش.

- هل أنت غاضبة مني نعومي؟ انظري إلي، وأدرتها بهدوء نحوي وكانت تتظاهر بالنوم. واجهني جسدها الغض طائعاً ونظرت إلي وأغمضت عينيها.

- أما زلتِ غاضبة؟ لم ترد.

- لا تغضبي، سأقول لك شيئاً. بقيت صامتة.

- انظري إلي.

حركت رموشها، فتألقت عيناها مثل لؤلؤتين داخل صدفة، وحدقت بوجهي.

- سأبتاع لك شيئاً، اتفقنا؟

- ألن تواجه عجزاً؟

- لا يهم، سأجد حلاً.

- ماذا ستفعل؟

- سأطلب من أهلي أن يرسلوا المال.

- هل سيفعلون؟

- سيرسلونه، أمي تتفهم حجم النفقات التي يحتاجها زوجان يؤثثان بيتهما.

- أليس من الخطأ أن تطلب من أهلك مالاً؟ بدت مهتمة وقلقة، رغم أنَّني أشعر أن هذا بالضبط ما كانت تنتظر مني أن أقوم به.

- لم أفعله من قبل لأنه يتعارض مع مبادئي العصامية، لكنَّني لا أقاوم رؤيتك وأنت تبكين.

خفق صدرها بتنهيدة كموجة البحر، وقالت بابتسامة خجولة:

- هل بكيتُ حقاً..؟

- نعم اغرورقت عيناك بالدموع، ستبقين فتاتي المدللة يا طفلتي الكبيرة.

لفت ذراعيها حول عنقي:

- أبي العزيز.. يا أبي!

وراحت تقبلني فوق جبهتي وأنفي ورموشي وخلف أذني، كما يفعل موظف البريد فارزاً الرسائل.

أحسست بتلك القبلات وكأنها بتلات من الكاميليا الندية الرقيقة تنهال فوق وجهي، وتخيلت رأسي غارقاً في شذاها اللذيذ.

- نعومي، هل فقدت عقلك!

- نعم، فقدته. أنت رقيق جداً الليلة، نعم فقدت عقلي، هل يضايقك أن أفعل!

- يضايقني أبداً، أنا سعيد، بل في غاية البهجة، أنا الآخر أفقد عقلي معك، سأضحي بكل شيء لأجلك نعومي... ماذا... أتبكين من جديد!!

- أشكرك يا أبي، ممتنة لما تفعله من أجلي، أتريد أن أتوقف عن البكاء؟ امسح لي دموعي إذاً. أخرجتُ منديلاً من ثنايا الكيمونو ووضعته بيدي. قبل أن أجفف عينيها فاضتا من جديد. باللعينين الصافيتين البراقتين. كم أتمنى لو أني أبلور هذي الدموع وأحتفظ بها للأبد. جففتُ خديها وحول عينيها، حرصت ألا ألمس الدموع المحتشدة بالمقلتين والتي باتت تتخذ أشكالا محدبة ومقعرة، حتى تفيض وتسيل مخلفة خطوطاً من الضوء.

في اليوم التالي، توجهت نعومي إلى ميتسوكوشي بمائتي ين بحوزتها، بينما كنت أكتب لأمي رسالتي: ".... زادت الأسعار كثيراً خلال العامين الماضيين، ورغم أننا اقتصاديان، إلا أن نفقاتنا تشكل ضغوطاً علينا، الحياة المدنية ليست سهلة...".

يبدو أنني أصبحت مستهتراً للدرجة، التي بتُّ أجيد فيها الكذب على أمي، أمي التي لم تفوتها الكذبة فحسب، بل رافقها التعاطف مع نعومي بحوالة سرعان ما أرسلتها تزيد بمبلغها عمَّا طلبت بمئة ين، وتوصية بشراء كيمونو جديد لزوجتي.

(10)

في أحد أيام السبت نظم مقهى الأدورادو، حفلاً راقصاً، تقرر أن يبدأ السابعة والنصف مساء. كانت الخامسة حين عدت من عملي، ورأيت نعومي منهمكة في وضع المساحيق، بعد خروجها من الحمام.

- أنا جاهزة جوجي، وأشارت للكيمونو الجديد الذي حصلت عليه من متسوكوشي. كان الكومينو مبطناً بالقطن، حريرياً بلونٍ أحمر داكن، تموج فوقه أغصان تزهو بأزهار صفراء. أما النطاق فقد نُسجت عليه مراكب قديمة طافية فوق الأمواج، بخيوط فضية.

قالت لي وهي تدعك المسحوق بيديها وتمسح به كتفيها ومؤخرة عنقها:

- ممتاز اختياري للكومينو، أليس كذلك؟

أعتقد أن النسيج الرقيق لا يليق بكتفيها الممتلئتين وفخذيها الكبيرين وصدرها البارز فالثياب المصنوعة من الموسلين أو الحرير العادي، تضفي عليها الإثارة لكن بابتذال. خاصة حين ارتدت فوقه النسيج ذو النقوش البارزة، بدت كامرأة في مطعم يوكاهاما تخدم البحارة الأجانب.

لم أشأ أن أطفئ فرحتها ورضاها عن مظهرها، لكنَّني ارتبكت حينما استحضرتُ من سيحدق بي بالقطار أو في صالة الرقص، مع امرأة ترتدي مثل هذه الملابس المبهرجة.

- والآن جوجي، عليك ارتداء حلتك الزرقاء. وكانت قد نظفتها بالفرشاة، وقامت بكيها.

- أفضل البنية.

- لا تعرف أي شيء جوجي، رمقتني بنظرة غاضبة، عليك ارتداء حلة زرقاء أو سوداء للسهرات، بياقة فاخرة، هكذا هي آداب الحفلات المسائية، تذكر هذا!

- هل هذه هي الآداب!

- نعم، كيف لك الادعاء بأنك رجل أنيق، وأنت لا تعرف هذه التفاصيل؟ حلتك ليست برونق الجديدة، لكنها مكوية وشكلها مقبول، عليك ارتداؤها الليلة. لا بد لك من شراء سترة جديدة للسهرة، وإلا فلن أرقص معك!

كان علي وضع ربطة عنق زرقاء أو سوداء، وأن أعقدها على شكل الفراشة. وأن أنتعل حذاء من الجلد الطبيعي أسود اللون. جوارب الحرير هي الأفضل، بشرط أن تكون سوداء اللون.

اهتمت نعومي بكل التفاصيل المتعلقة بثيابي، ومرَّ زمن طويل قبل أن نغادر للحفل. حتى أنَّنا وصلنا متأخرين عن السابعة والنصف، وكان الرقص قد بدأ بالفعل حيث تناهت لأسماعنا ألحان فرقة الجاز الصاخبة.

عُلِّقت عند المدخل لافتة مكتوب عليها بالانكليزية: "حفل راقص خاص، السيدات مجاناً، والرجال ثلاثة ينات" وكان نادل يقوم بتحصيل رسم الدخول. اجتمع حوالي عشرين شخصاً يرقصون بثنائيات داخل الصالة، بما جعل المكان الضيق مكتظاً، في حين رُتبت الطاولات صفين على جانبي المقهى، يجلس عليها مجموعات عديدة من الرجال والنساء. حين دخلت نعومي، لفتت الأنظار بثيابها المبهرجة، وبات الحاضرون يرمقونها بنظرات غريبة يختلط فيها العداء بالازدراء. كما شعرت أنهم يسخرون مني، أنا المهرج الذي يصحبها!

علا صوت الموسيقى وتردد صداها صاخباً، وكان الراقصون يدورون في حلقة كبيرة مبتهجين. نظرت لنفسي للحظة، وتذكرت بشرتي الداكنة وأسناني البارزة وحلتي الزرقاء الباهتة ذات العامين. احمر وجهي وارتفعت حرارتي وبدأتُ بالارتعاش. "كيف لي أن آتي هنا! إنها المرة الأخيرة".

- لنذهب عند الطاولات، جوجي، لا فائدة من وقوفنا هنا. كانت نعومي مرتبكة هي الأخرى.

- لا أظن أنه من اللائق أن نعبر هذا الجمع!

- لا يهم.

- ماذا لو اصطدمنا بأحد!

- كن حذراً، انظر لذاك الرجل، لقد عبر بين الجميع، لنمضِ!

سرتُ خلفها، ولم يكن الوصول لنهاية الصالة بمهمة سهلة، حيث أن الأرض زلقة والجميع يرقصون بصخب، حتى أنني كدت أسقط أكثر من مرة.

- هناك مكان خاو، لنجلس، قالتها بجرأة أكثر مني. ومرَّت عبر المحتشدين المحدقين بنا، لتصل لطاولة بنهاية القاعة. جلسنا وبدت خامدة الشغف للرقص. بان ارتباكها أكثر حين سحلت مرآتها وتنحسست وجهها، وبنظرة للأرض قالت لي:

- ربطة عنقك منحرفة لليسار.

- أين هامادا، ألم يأت نعومي؟

- لا تقل لي نعومي بل الآنسة نعومي!

-

- هامادا هنا وكذلك ماشان.

- أين؟

- هناك، أخفضت نبرة صوتها، وقالت مؤنبة،

- من غير اللائق الإشارة باليد، هاهو ماشان قادم مع فتاة بثوب قرنفلي.

اقترب ماشان منا مع شريكته ذات الثوب القرنفلي، وكانت ذات قامة ممشوقة، بذراعين طويلتين عاريتين، وشعر أسود كثيف مقصوص لكتفيها، عفوي التجعيد مزين بشريطة حول جبهتها ورأسها. كانت للفتاة عينان واسعتان وخدان أحمران وشفتان غليظتان، إلا أن وجهها المدور وأنفها الدقيق، منحاها الشكل الياباني الكامل. من الواضح أن هذه المرأة لا يعجبها شكلها الياباني، فقد بيضت كل جزء ظاهر من بشرتها، وبدت وكأنها خارجة من كيس الدقيق. كما تناثرت ظلال خضراء وزرقاء حول عينيها، بشكل حولها مع تلك الشريطة إلى مسخ.

- نعومي، ثم صححت، آنسة نعومي!

- أهي فتاة؟

- نعم، لكنها تبدو كعاهرة!

- هل تعرفينها؟

- لا، لكني سمعت عنها من ماشان.

تضع الشريطة لتخفي حاجبيها، هما مرتفعان بشكل غير طبيعي، دقق في الحاجبين الظاهرين، إنهما مزيفان.

- وجهها ليس بشعاً، لا تحتاج لكل تلك الألوان فوقه.

- إنها حمقاء، وهي ليست بتلك الجاذبية، أهذا هو مفهومك عن الجمال. قالتها بطريقتها المغرورة التي عهدتها، وبدا أن ارتباكها بدأ يزول.

- ليست جميلة، لكن أنفها وجسمها ليسا سيئين، لو أنها اكتفت بمساحيق أقل لبدت جذابة.

- جذابة..! لا تكن سخيفاً، تحاول تقليد الغربيين، ولا تشبههم ولا تشبه أي أحد على الإطلاق، إنها مثيرة للشفقة، تبدو كقردة.

- لكن الفتاة التي يراقصها هامان، تبدو مألوفة!

- إنها هارونو كيراكو، ممثلة من مسرح أمبريال.

- يعرفها هامادا إذاً؟

- نعم هو راقص ماهر، ويعرف الكثير من المشاهير.

كان واضحاً أن هامادا بحلته البنية، الراقص الأكثر مهارة في الصالة، وبدأ مع شريكته، التي ترتدي الكومينو الأسود فائق الجمال بخيوطه المذهبة، طريقة خاصة بالرقص بدت فاضحة جداً، كانت كيراكو تنثني ببنيتها الرقيقة وأصابعها النحيفة كالعاج، فيحتضنها هامادا بقوة، ليلوح أكثر أماكن جسدها فتنة على خشبة المسرح.

ثم يقرب أنفه من خصلات شعرها، كأنه يتشممه. بينما تضغط هي بجبهتها على خده، فترقص العيون الأربع والرأسان بتلاصق مستمر، حتى لو تباعد الجسدان.

- أتعرف هذا النوع من الرقص جوجي؟

- لا، لكنه لا يبدو برقص محترم!

- إنه مبتذل جداً، أضافت بامتعاض: يسمى رقص الخدود، وهو ممنوع الممارسة في الأماكن العامة، وفي أمريكا يطلبون مغادرة راقصيه المكان. يحاول هامادا لفت النظر إليه بهذه الرقصة!

- لكن المرأة تجيده كذلك!

- ماذا تنتظر من ممثلة! عليهم منع دخول الممثلات هنا، قد ترفض النساء المحترمات المشاركة بالرقص إن استمر هذا المشهد!

- لا يرتدي سوى قلة من الرجال حللاً زرقاء، انظري إلى هامادا مثلاً، أعجب من إصرارك على هذه الحلة!

لاحظت هذا منذ البداية، فلا يوجد سوى رجلين أو ثلاثة يرتدون الأزرق الداكن، بينما لا يرتدي أحد السترة السوداء، وآخرون يرتدون حللاً حديثة الطراز بألوان غير تقليدية. أين نعومي الآن من هذا، وهي التي تزعم أنها تعرف كل شيء عن الآداب؟

- نعم، لكن هامادا مخطئ، عليه ارتداء الأزرق!

- انظري ذاك الرجل الغربي، إنه بثياب بسيطة، لا يهتمون بالمظهر لتلك الدرجة!

- لا، ليس صحيحاً، يرتدي الرجل الغربي كذلك لأنه يعرف أن اليابانيين غير ملمين بأصول اللباس الغربي، أما عن هامادا، فهو راقص ماهر ملفت للأنظار، أياً كان ما يرتديه! أما إن ارتديتَ مثله سيبدو مظهراً غريباً.

- توقفت الفرقة عن العزف وتوقفت معها حركة الراقصين وسط التصفيق، بينما طالب بعضهم باستمرار العزف عبر الصفير، ودق الأرض بالأقدام، لكن دون جدوى، فعاد الرجال خلف شريكاتهم إلى الطاولات.

رافق هامادا وماشان شريكاتهما كلاً لطاولتها، وانحنيا لهما باحترام وأقبلا نحونا.

قال هامادا:

- مساء الخير، تأخرتما!

أما ماشان فقال بأسلوبه الخشن:

- ألن ترقصا؟ ثم حدق بثياب نعومي المبهرجة مضيفاً:

- هلا ترقصين معي الرقصة التالية!

- لا، أنت لا تجيد الرقص.

- صحيح أنا لم أدفع لقاء الدروس، لكنّني أعرف الرقص طبيعياً.

- أف، لا تكن واثقاً جداً، لم تترك هذا الانطباع حين راقصت تلك الفتاة ذات الرداء القرنفلي.

بدا غريباً أن تتحدث نعومي بهذا الأسلوب الجاف مع الفتى، حتى أنه قال في حيرة، يحك رأسه محدقاً بشريكته الجالسة:

- ظننت أنني بارع، لكني لم أبارها، خاصة أنني لم أرتدي الذي ترتديه.

- إنها قردة، هذه هي حالها.

- قردة!! ليكن، قردة.

- ماشان، أنت من أحضرها، تبدو يابانية صريحة بهذا الوجه، مفزعة بتلك الألوان عليه.

- تقصدين أن جهدها ضائع في أن تقلد الغربيين؟

- نعم، قردة تستحق الرثاء، يبدو بعض النساء غربيّة المظهر حتى إن ارتدت الملابس اليابانية، تعرف هذا.

- مثلك؟

- طبعاً، قالتها بضحكتها المألوفة، أنا أبدو أوروآسيوية أكثر منها بكثير.

- كوماجي.. داعياً ماشان باسم أسرته ملتفتاً إلي: هل التقيت بالسيد كاواي من قبل؟

- لا لم ألتق به، لكنّني أعرف وجهه. ورمقني بنظرة ساخرة. اسمح لي أن أقدم نفسي، أنا كوماجي سيتارو.

- اسم حقيقي، كوماجي سيتارو، معروف ب ماشان، حسناً قدم نفسك بشكل أفضل!

- يكفي ما عرَّفت به عن نفسي، إسأل الآنسة نعومي عن تفاصيل أكثر لو أردت.

- تفاصيل.. مثل ماذا؟ شعرت بعدم ارتياح وأنا محاط بهم جميعاً. إلا أن نعومي واصلت العبث واللهو، فما كان مني سوى الابتسام!

- سيد هامادا، سيد كوماجي، هلا انضممتما إلينا؟ أشعر بالعطش جوجي، اطلب لنا شيئاً نشربه.. هل تريد عصير ليمون، هامادا؟

- أي شيء.

- و أنت يا ماشان؟

- إن كنتم من سيدفع، أريد الويسكي مع الصودا.

- أمر مقزز، لا أحب السكيرين، يصيبني من رائحتهم، الغثيان.

- لكنه جانب مثير في الرجل؟

- من قال..؟ تلك القردة؟

- آه، إنك تغلبينني، أستسلم.

ضحكت نعومي بصوت عالٍ كأنها نسيت الناس حولها:

- جوجي، إطلب النادل، كوب واحد ويسكي بالصودا، وثلاثة من عصير الليمون، لا، لا، ألغ الليمون، أفضّل فواكه مشكلة.

أدهشني معرفة نعومي بهذا النوع الجديد من المشروب المشكّل، لا بد أنه يحتوي الخمر، صحيح..؟

- لا جوجي، أنت لا تعرف شيئاً، وقالت مخاطبة هامادا وماشان.. أصغيا إلي، هذا الرجل ساذج! وربتت على كتفي وتابعت:

- الشيء المثير للضحك، أنني جئت لأرقص معه، وهو مصاب بالدوار منذ اللحظة الأولى، وكاد يسقط على الأرض منذ دقيقة..!

قال هامادا مدافعا عني،

- الأرضية زلقة جداً، ومن الطبيعي أن يشعر بالرهبة بالبداية. ثم يتعود على المكان وكأنه في بيته.

- إذاً، ماذا عني! إنها المرة الأولى لي، وأشعر أنني في بيتي.

- أنتِ مختلفة يا نعومي، أنت بجرأة أكبر. أعتقد أنك عبقرية اجتماعياً.

- وأنت عبقري هامادا.

- أنا؟

- طبعاً، ها أنت تقيم علاقة مع هارونو كيراكو، دون أن ندري!

لوى كوماجي شفته السفلى، وقال:

- هل تلاعبت بمشاعر كيراكو يا هامادا؟

- أنا.. لا أتلاعب بعواطف أحد.

- أرى وجهك وقد احمَّر وأنت تدافع عن نفسك، ادعو كيراكو لتنضم إلينا. قالت نعومي.

- لسانك سليط نعومي، لتسخري منها، هل هذا ما تنوينه؟

- لا عليك، لن أسخر منها، نادها لتأتي.

أضاف ماشان:

- هل أدعو القردة أيضاً؟

- نعم، نعم، نادها، دعنا نجلس جميعنا معاً.

- حسن، لكن الموسيقى بدأت، سأراقصك ثم أدعوها.

- رغم أني لا أريد أن أراقصك ماشان، لكن يبدو أنه لا مفر من ذلك.

- مغرورة، أنت مجرد مبتدئة!

- سأذهب الآن جوجي، راقبني، سأرقص معك الرقصة التالية.

لا يمكن وصف تعابير الامتعاض على وجهي، لكن نعومي نهضت وأخذت ذراع كوماجي وانضمت لمجموعات الراقصين.

قال هامادا وهو يستل برنامج الرقص من جيبه:

- إنها الرقصة السابعة، تسمى فوكس تروت.

لم يجد ما يحادثني به فنهض وقال بصوت متردد:

- أعذرني، وعدت كيراكو بهذه الرقصة.

- تفضل، لا تقلق بشأني.

وصل النادل بأكوابه الأربعة، ولم يكن هناك ما أفعله سوى التحديق بهم وبساحة الرقص. كنت بكل الأحوال مرتاحاً بوحدتي في المكان، أكثر من مشاركتي إياهم الرقص، وأحسست بالحرية. كان جسد نعومي يتمايل بين الراقصين، ورحت أتابعه بشغف. ماجت أكمامها الملونة مع دوران قدميها بخفيهما وجوربيهما الأبيضين، أما الطرف الأمامي للكومينو فارتفع مرفرفاً مع كل خطوة كجناح الفراشة. كانت أصابعها البضة تمسك بكتف كوماجي، بذات الطريقة التي تمسك بها فتاة الغيشا ريشة العزف. حدقتُ بنطاقها المزركش حول خصرها الدقيق، بمؤخرة عنقها، بوجهها، بشعرها. لم تعد ثيابها المبهرجة تسبب لي القلق، بل على العكس بدت ملابساً يابانية جذابة غالية الثمن، ربما بسبب الفستان الفرنفلي والأثواب الشاذة التي ترتديها النساء الأخريات حولها.

توقف العزف من جديد خاتماً الرقصات، عادت نعومي للطاولة وبدأ تحتسي كوب الفاكهة وقالت:

- أشعر بالحر، ما رأيك جوجي؟ هل تابعت رقصتي؟

- نعم، لا أصدق أن هذه هي المرة الأولى التي فيها ترقصين!

- حقاً، سأرافقك في الرقصة التالية، ستكون رقصة الخطوة الواحدة، إنها سهلة، اتفقنا؟

- أين هامادا وماشان؟

- قادمان، سيحضران كيراكو والقردة، ربما عليك أن تطلب كوبين آخرين من الفواكه المشكّلة.

- الفتاة ذات الرداء القرنفلي، رقصت مع الرجل الغربي منذ قليل.

تجرعت نعومي المشروب في محاولة ترطيب فمها الجاف وقالت:

- كم هو أمر مثير للسخرية، ذهب إليها الرجل دون أن يعرِّفها عن نفسه لدعوتها للرقص، لا بد أنه يعتبرها عاهرة.

- ألم يكن باستطاعتها الرفض؟

- هنا موضع العار، أنها لم تستطع الرفض لأنه غربي، يا لها من حمقاء.

- لا يجب أن تنعتيها بهذه الصفات، هذا يسبب لي الضيق.

- لا مشكلة في هذا، يجب على أحدنا أن ينبه هذه المرأة إلى تصرفاتها الخاطئة، وإلا ستثير لنا المتاعب. ماشان يوافقني في هذا، وقال بأنه سيحذرها.

- من الأفضل أن ينبهها رجل لذلك، ولكن...

- اصمت... أتى هامادا مع كيراتو، عليك الوقوف حين تقبل عليك امرأة.

- لنتعارف، أقدم لكما الآنسة هارونو كيراكو.

في لحظاتٍ كهذه كنتُ أعتبر شكل نعومي مقياساً للجمال، لكن حين تقدمت كيراكو برشاقة، وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة هادئة، تغلبت بحيويتها وطفولتها على فارق العمر بينها وبين نعومي الذي يقارب العامين، وتفوقت ملابسها المذهلة على ثياب نعومي.

قالت بلطف خافضة عينيها البراقتين متوقدتا الذكاء:

- كيف حالكما؟

لا بد أن خشونة نعومي فاقت كل الحدود قبل حضور كيراكو، حديثها المتكبر البذيء افتقر لأي رقة أنثوية، كانت باختصار كحيوان بري، بالمقارنة مع كيراكو بلهجتها المؤدبة وأسلوبها سواء في الكلمات، أو في نظرات العينين أو في إشارات اليدين. كانت كل لحظة تترك انطباعاً أنها قطعة نادرة صقلها الفن الراقي.

جلستْ كيراكو أمام الطاولة، وتناولت كوب العصير فبدت يدها حتى الرسغ رقيقة للغاية، ورغم أنها ليست أكثر نعومة من يدي نعومي. لا أعرف، في الواقع، كم مرة تنقلت حدقتي بين أيديهما. إلا أن وجهيهما كانا مختلفين بالمطلق. فإن كانت نعومي بوجه ماري بيكفورد، فتاة اليانكي الأمريكي، إلا أن كيراكو تتمتع بجمال إيطالي أو فرنسي أخاذ على نحو غريب. ولو اعتبرتهما زهرتين، فإن نعومي زهرة برية، في حين الأخرى وردة منزلية غضة. كانت كيراكو دمية متقنة الصنع، كيف يمكن رسم أنفٍ مثل هذا الأنف الدقيق، أو وضع صفين من اللؤلؤ في فم شديد الاحمرار كهذا الفم الجميل..!

شعرتُ بضآلتي، ولا بد أن نعومي أصابها الشعور ذاته بدورها، فتوقفت عن طريقتها المتعجرفة بالكلام وصمتت نهائياً، يبدو أنها شعرت كم كانت مخطئة حين طلبت من هامادا إحضار كيراكو.. إلا أنها استعادت وقاحتها أخيراً، وقالت:

- هاما سان، قل شيئاً، بدلاً من الجلوس صامتاً، متى التقيتِ يا آنسة كيراكو هاما سان؟

ردت كيراكو بعينين صافيتن لامعتين:

- تعرفت عليه مؤخراً.

قالت نعومي بلهجة أكثر تهذيباً، متأثرة بأسلوب كيراكو في الحديث:

- تابعتُ رقصك، أنت تجيدين الرقص، لا بد أنك مارست الكثير من التدريب على الرقص.

- أشكرك، أرقص منذ مدة طويلة، لكني لا أعتقد أنَّني أجيد الرقص كما أرغب.

- لا تقولي هذا.. ما رأيك هاما سان؟

- بالتأكيد تجيد الرقص، لقد تعلمت أصول الرقص في مدرسة الممثلات.

أغمضت كيراكو عينيها خجلاً، وقالت:

- هل تعتقد ذلك!

- أنت ممتازة فعلاً، كنتِ وهاماسان، الأفضل بين الراقصين.

- أنا؟

انضم كوماجي، يسحل شريكته ذات القرنفلي خلفه:

- هل هي مسابقة رقص؟ أنا الأفضل طبعاً!

ابنة رجل أعمال من أوياما، يدعى إينو كيكوكو، هكذا قدم ماشان شريكته، عمرها حوالي الخامسة والعشرين. عرفت فيما بعد أنها تزوجت وفشل زواجها بسبب ولوعها بالرقص.

قد تكون المرأة متعمدةً كشف ذراعيها وكتفيها، إلا أن هذه الثياب جعلتها تبدو بدينة أكثر من مثيرة. في الحقيقة، لم تتماش الثياب الغربية مع ملامح وجهها، فجعلتها تبدو كدمية غربية برأس دمية من كيوتو. رغم محاولتها الحثيثة لخلق هذا الانسجام، إلا أن ذلك زاد من إفساد مظهرها العام. حاجباها المزيفين المرسومين بشكل واضح، ظلال العينين الخضراء والزرقاء، أحمر الشفاه، خطوط تحديهما وظلال تحديد الأنف، كل هذا كان مصطنعاً بطريقة فاضحة.

- هل تحب القرود يا ماشان؟ قالت نعومة مباغتة..

- القرود؟ سؤال غريب أجاب ماشان مقهقهاً.

- لدي قردان في البيت، سأهديك واحداً.

- ألديك قردان حقاً؟ قالت كيكوكو بجدية.

- أتحبين القرود يا آنسة كيكوكو؟ قالت نعومي بسرعة، وقد التمعت عيناها.

- نعم أحب كل أنواع الحيوانات الكلاب والقطط وال.....

- القرود.

- نعم والقرود.

الحوار الهزلي جعل كوماجي يشيح بوجهه، بينما أخفى هامادا ضحكته بمنديل على فمه، في حين امتعضت كيراكو مدركة فحوى الحديث. إلا أن كيكوكو لم تدرك أنها موضوع السخرية. واتجهت مع كوماجي للساحة، فور بدء الرقصة الثامنة.

- أف، يا لها من غبيـة، لا بـد أنهـا صـماء، ألا تعتقـدين هـذا يا آنسة كيراكو؟

- آه يا إلهي...

- ألا تبدو كقردة، تعمدت الحديث عن القرود إلا أنها لم تفهم؟

- آه..

- لم تفهم ما أعنيه رغم استغراق الكل في الضحك، إنها بلهاء!

نظرت كيراكو نظرة ذهول واحتقار لنعومي، لكنها لم تقل أكثر من كلمتي: "آه يا إلهي".

(11)

- هيا جوجي، سارقص معك رقصة الخطوة الواحدة، أخيراً ستحصلَ على شرف مراقصة نعومي!

كنت مرتبكاً، لكنَّني سعيد بذات الوقت. إنها فرصة الآن لتطبيق ما تعلمته. أردت من الجميع أن ينظرون إلي ويتهامسون: "لا بد أنه زوج هذه المرأة" أردت من الجميع أن يتعرفوا على جميلتي، على كنزي. جعلتني هذه الفكرة أتلمس الرضا، شعرت تلك اللحظة أنني عوضت كل التضحيات والمصاعب التي واجهتها بسبب نعومي.

أمسكت بيد نعومي وبدأتُ رقصة الخطوة الواحدة، لكن ماذا حدث؟ سرعان ما تملكني الانفعال والإثارة، وبدأت أفقد الإحساس بما يدور حولي، تسارعت ضربات قلبي، غاب بصري، صمتت الموسيقى وتخبطت خطواتي. الأمر مختلف كثيراً عن ساعات الرقص في النادي. لم أعرف ماذا علي فعله، لا يمكن أن أتراجع الآن، وسط هذا البحر المكتظ بالبشر.

همست نعومي:

- لماذا ترتجف يا جوجي، انتبه، لا تستدر بسرعة، بهدوء، أقول لك بهدوء!

زاد توبيجها انفعالي، خاصة أن الأرضية الزلقة الملمعة خصيصاً للحفل، لا تماثل أرضية نادي الرقص، وكلما فاتني هذا انزلقت حالاً.

- لا ترفع كتفك، اخفضه، أخفضه، لماذا تلتصق بي.. آه ها أنت ترفع كتفك من جديد؟

بدا الأمر لي كأني أرقص لتوبخني، كنت في حالة لا أستطيع أن أصغي لتعليماتها.

حتى صرخت غاضبة.

- يكفي جوجي.

بدأ الراقصون يطالبون بالمزيد من الموسيقى بينما انسحبت نعومي إلى مقعدها:

- لن أرقص معك بعد الآن، عليك التدرب في البيت يا جوجي.

اجتمع الجميع حول الطاولة عائدين من الرقص، وأصابني الإحباط فلم أقو على الرد على تعنيف نعومي وسخريتها وما زاد ألمي كلام كوماجي:

- كيف لشريك جبانٍ يصغي لكل هذا التأنيب إجادة الرقص معك، كفي عن الحديث بهذه الطريقة، اذهبي وارقصي معه من جديد. أسدِ له معروفاً.

أضاف هامادا:

- ليس بهذه السوء يا نعومي، هو أفضل من الكثيرين أليس كذلك آنسة كيراكو؟ هلا شاركتِ السيد كاواي رقصة "فوكس تروت" التالية؟

أومأت كيراكو بسحرها وقالت:

- نعم، يسرني ذلك.

فقلت دون تردد:

- لا لا أستطيع. لن أقدر.

- بالطبع تقدر، أليس كذلك آنسة كيراكو، أضاف هامادا.

- نعم.. فعلا يسرني مشاركتك.

- لا لا، بعد أن يتحسن حالي.

تدخلت نعومي بشدة وكأنني أرفض شرفاً لا أستحقه:

- عليك أن تقبل عرضها بالرقص. هيا انهض، بدأت الرقصة وذلك سيساعدك على مشاهدة أسلوب غيري في الرقص.

تقدم شاب غربي نحو نعومي وطلب منها بلغته الانكليزية مشاركته بالرقص، كان أجنبياً نحيفاً، يضع مسحوقاً أبيض على وجهه الأنيق. إنه ذات الرجل الذي رقص مع كيكوكو. كان يتحدث بسرعة مبتسماً منحياً متملقاً، وكل ما التقطته من كلماته: "أرجوكِ" التي قالها بلا حياء.

بدت نعومي حائرة، خجلى، أرادت الرفض لكن نظرته الغربية وعجزها عن سرعة الرد بالرفض بالانكليزية، إضافة لابتسامته اللحوحة. حسناً؟

- نعم....

- هاهي تنكمش أمام هذا الغربي، ألم تكن كلها ثقة منذ قليل؟ قال كوماجي ساخراً.

- الغربيون شديدو الإلحاح، أفقدني صوابي حين دعاني للرقص.. أضافت كيكوكو.

لم تكن تثيرني أي امرأة بعد أن التقيت نعومي، حتى ولو قابلتُ امرأة جميلة، كنت أكتفي بنظرة عابرة دون الرغبة بلمسها. أستثني الكونتيسة شلمسكايا، رغم أنّني لا أوصّف رغبتي بالتواجد معها بالرغبة الجنسية أبداً، إنها نشوة سامية وحالمة. ظننت أنها تتفوق عليهن جميعاً هنا حتى على كيراكو الممثلة في مسرح الأمبريال، لا أحد يضاهي السيدة شلمسكايا.

لكنني حين رقصتُ مع كيراكو، فاجأتني بخفتها. جسدها ناعم كالقطن، يداها ملساويتان كنبات غض. تواءمت بسرعة مع حركتي غير الاحترافية في الرقص كحصان أصيل يجاري خيَّاله. غمرتني البهجة سريعاً، وبدأت قدماي تتحركان بثقة وخفة وسلاسة. "إنه لأمر مدهش، يا لها من متعة!".

همست كيراكو بأذني بصوت رقيق خافت وناعم:

- إنك ممتاز، من السهل الرقص معك.

- الأمر يرجع لمهارتك، ليس لأنّني ممتاز.

- آه، لا....

و بعد لحظة:

- الفرقة جيدة هذه الليلة، لا يكون الرقص ممتعاً إلا إن كانت الموسيقى جيدة.

اقتربتْ بشفتيها أسفل صدغي، كما فعلت منذ قليل مع هامادا، أعتقد أنها معتادة على ذلك. ثم لمست خصلة من شعرها خدي، عرفتُ، عبر همساتها الرقيقة، أنّني بين ذراعي امرأة غاية في الأنوثة، شعرت بأن يداً حنونة، تضمد جراح الأشواك العميقة في جسدي، بعد القسوة التي تمارسها نعومي الجامحة، بحقي.

عادت نعومي للطاولة، وعلامات الإحباط على وجهها:

- لم أستطع رفض طلبه للرقص، علينا التعاطف مع الأجانب، فهم لا أصدقاء لهم.

دقت الساعة الحادية عشرة والنصف بنهاية رقصة الفالس، وكانت الرقصة السادسة عشرة. اقترحت نعومي العودة للبيت إذا ما تأخر الوقت بالسيارة، لكنَّني أصررت على اصطحابها إلى شيمباشي حيث لحقنا القطار الأخير في الوقت المناسب. ورافقنا كلٌّ من الامرأتين وكوماجي وهامادا في شارع جينزا، كانت الموسيقى لاتزال تصدح في آذان الجميع، وإن بدأ أحدنا الغناء ردد خلفه الباقون بمهارة وذاكرة قوية وأصوات مرحة شابة، لم أكن أتملكها.

- لا لا لا لا دندنت نعومي وقالت:

- ما هي أغنيتك الأثيرة يا هامادا؟ أغنيتي هي كارافان.

- كارافان، أغنية رائعة!

- لكنَّني أفضل "همس" من السهل الرقص على نغماتها. قالت كيراكو.

- ما رأيكم بأغنية "السيدة الفراشة" إنها المفضلة لدي... وراح هامادا يدندن الأغنية.

عند مدخل بوابة التذاكر افترقنا، وهبَّت على الرصيف الذي وقفنا عليه أنا ونعومي، ريح شديدة في تلك الليلة الشتوية. لا أعرف لماذا بعد كل هذا المرح، غمرت الوحشة فؤادي!

- قضينا وقتاً ممتعاً، علينا معاودة الكرة.

لم تـعِ نعـومي مـا كنـت أعيـشه داخلـي تلـك اللحظـة وأحبطـت محاولاتها لبدء محادثة بجوابي الجاف:

- نعم.

رقص.. أهذا ما يسمونه الـرقص! خـدعتُ أمـي، وتـشاجرتُ مـع زوجتي، وأرهقت نفسي بالصراخ والضحك لأجل حفل راقص أحمق كهذا! من تافهين، لاعقي الأحذية، مغرورين ومدعين كهؤلاء!!

لماذا ذهبتُ إذاً؟ كي أستعرض نعومي أمـامهم.. نعـم.. إنـني تافـه مثلهم، ماذا عن كنزك العظيم، نعومي! هل أعرب العالم عـن دهـشته لمرآها.. أنت لست سوى أعمى لا يتحسس خطر الثعابين! كم ستكون قيمة كنزك، وأنت تعرضه أمام الناس؟

عن أي كنز تتحدث؟ أمعن التفكير! ألم تكـن الفتـاة الأكثـر تفاهـة وغروراً بين الجميع؟ الأكثر عدوانيـة؟ شـديدة التفـاخر؟ ذات اللـسان السليط، تلك الـتي نعتـت كيكوكـو بالعـاهرة لأنهـا راقـصت الرجـل الغربي، لتراقصه هي فيما بعد، ببساطة..! مـاذا عـن لهجتـها، لغتـها الفظة..؟ حتى تلك الفتاة التي نعتتها بـ"القردة" كانت أكثر تهذيباً منها! أفكار سيئة غزت قلبي، لا أدري أكانت أسفاً أم يأساً، لكنـها رافقـتني طوال تلك الليلة.

جلستُ قبالتها في القطار، أردتُ تفحصها عـن قـرب، "نعـومي". لماذا أعشقها لهذا الحد المضني؟ أنفها، عيناها، ياللعجب لا أرى أي شيء مثير للإعجاب للدرجة التي كنت أراها فيهـا. آه، وجههـا الـذي اعتدت أن أراه غاية في الجاذبية، لم يعد كذلك الآن.

أين نعومي من تلك الصورة الباهتة الـتي فتنـتني حـين التقيتـها في مقهى "ديموند" كانت أكثر جاذبية، بريئـة خجولـة وحزينـة، لا علاقـة

لوجهها بوجه هذه المرأة الفظة. لقد تحولت نعومي مع الزمن لامرأة بغيضة لا تطاق. جالسة الآن أمامي وملامحها المتعجرفة تريد الصراخ: "أنا ذكية" "لا امرأة بمثل أناقتي وذكائي"، "أنا الأجمل على الإطلاق"!

لا أحد سواي يدرك من هي نعومي. إنها لا تقدر على نطق جملة واحدة بالانكليزية، ولا تستطيع التفرقة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول.

ألقت برأسها إلى الخلف فبانت الظلمة بتجويفي أنفها، أنفها هذا الغربي المظهر، أعرف جيداً، هذه الكتلة اللحمية الملتصقة بوجهها، لطالما داعبته ومسحته ودعكته بأنفي. هل هو حقاً أنف كريه مقزز كما أراه الآن؟ لا أدري لم راودني شعور بغثيان المشبع والمكتفي، حين تصورت نفسي مستلقياً قبالة هذا الأنف الليلة!

أهو غضب الأم؟ خدعتُ أمي، وطبيعي أن أشعر بهذا السوء كله.

لا بد أن القراء الآن يتوقعون أنني بدأت أفقد اهتمامي بنعومي، واعتقدت بذلك لفترة من الوقت، لأنه شعور مستجد علي، لكنه للأسف، لم يطل كثيراً، بمجرد أصبحنا وحدنا بالبيت، حتى عادت لنعومي فتنتها ورقتها، وعاودني النهم لها من جديد.

اعتدنا بعدها الذهاب لصالات الرقص، وفي كل مرة أقف مواجهة عقد النقص التي تعاني منها نعومي، ويمتلكني ذات الإحساس بالتعاسة في طريق العودة، ولكن سرعان ما يتبخر شعوري هذا خلال الليل مرة تلو المرة..!

(12)

هدوء آسر كان يعرّش كل ليلة على جدران بيتنا في أموري، إلا أن حفلات الرقص جاءت بضجيج الأصدقاء وزياراتهم المتكررة، بما أذهب بالسكون بعيداً.

كانت نعومي تعشق الرفقة، وكان أصدقاؤها، وخاصة هامادا وكوماجي، يحضرون في المساء، يستمعون للموسيقى الصاخبة ويرقصون بصخب في الرواق، ليغادروا المكان بحلول العشاء. لكن نعومي، بدأت، بعد فترة، بإجبارهم على البقاء والعشاء معنا، وبدأت سلسلة الطلبات من الطعام الغربي من مطعم "بيت أموري".

ذات ليلة رطبة من منتصف حزيران، كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة، والأمطار في بداية موسمها، تضرب النوافذ بشدة. تردد هامادا وكوماجي بعد جلسة صاخبة وأحاديث لا تنتهي، بالمغادرة. فأصرّت نعومي فجأة:

- أمكثا هنا الليلة، لا يمكن أن تخرجا في مثل هذا الجو الماطر. تستطيع البقاء ماشان صحيح؟

- نعم بالطبع، لكن إن قرر هامادا المغادرة، سأرافقه.

- هل بإمكانك قضاء الليلة هنا هامادا، لا داعٍ للخجل، نفتقر في البيت لأغطية تكفينا جميعاً، لكن المكان يتسع لنا، سنسهر لساعة متأخرة، ما قولك؟

كان علي أن أشارك نعومي في دعوتهما للبقاء:

- حبذا لو تبقيان، المطر غزير في الخارج.

- نعم، نعم، ردت نعومي بحماس، بإمكاننا الذهاب إلى "كاجتسوين".

تقرر بقاؤهما معنا، لكن كان علينا البحث عن حل لمسألة البعوض. فسألت نعومي:

- لا يوجد سوى ناموسية واحدة، ما الحل؟

- سننام كلنا تحتها!

ردت نعومي بمرح، كطفلة في مخيم مدرسي. ربما كان النوم في مجموعة، حدثاً مثيراً في حكاية خيالية بالنسبة إليها.

فاجأتني الفكرة التي لم تعجبني، كنت أتوقع أن نبقي الناموسية لهما، ونكتفي برش مبيدٍ في حجرتنا. كيف لنا أن ننام في حجرة واحدة وتحت ناموسية واحدة! لكنَّني لم أشأ أن أبدوا مثيراً للمشاكل إن جادلت بالأمر، كالعادة هي من قررت كل شيء.

- هلمو لمساعدتي أنتم الثلاثة لإحضار ما ننام فوقه. بدأت بإصدار الأوامر.

تساءلتُ عن الطريقة التي سنرتب فيها الفرش، فالناموسية ليست واسعة بما يكفي لتظللنا جميعاً تحتها، وكان الحل الوحيد أن يتجاور ثلاثة منا، بينما ينام الرابع بمفرده في الزاوية.

- أنا من سينام بمفرده، أشارت نعومي.

قال كوماجي بعد أن ألقى نظرة على الناموسية المعلقة:

- لن يكون النوم مريحاً، سنتخبط مثل خنازير في حظيرة.

- ماذا لو تخبطنا قليلاً، لا رفاهية طوال الوقت، هذا ما عليك توقعه!

- حتى ولو كنت بضيافة أصدقاء؟

- حتى ولو... لن ننام الليلة بكل الأحوال!

- لكنَّني سأنام وأشخر، وقفز كوماجي فوق الفراش مرتدياً الكومينو، فاهتز المنزل معه.

- لن أدعك تنام، أتسمعني هامادا، كلما غفا اقرصه.

- من بإمكانه النوم بمثل هذا الجو الرطب؟ قال هامادا ملقياً بسرواله وقميصه الداخلي على يمين كوماجي الذي رفع ركبتيه وأظهر بطنه المقعر مدى نحافته، بينما أكد صوت مروحة بيده عدم ارتياحه.

- كما أنَّني لن أستطيع النوم في حجرة واحدة وفتاة ترقد فيها. تابع هامادا.

- لكنَّني صبي، ألم تتعتني بالصبي يا هامادا مرة، وأنني لا أبدو لك كفتاة!

بدا بياض ظهر نعومي للحظة في الظلمة وراء الناموسية وهي تخلع ثيابها وترتدي قميص النوم.

- نعم قلت ذلك، ولكن...

- إذا جاورتك بالنوم، هل سأبدو لك كفتاة؟

- نعم أعتقد ذلك..

- و أنت يا ماشان؟

- لا أعتقد، فأنا لا أفكر فيكِ كفتاة.

- ماذا إذاً؟

- لنقل أنّني أراك فقمة!

- موافقة، لكن قل لي: أيهما أفضل الفقمة أم القرد؟

- لا أحبهما كليهما.

استلقيت على يسار كوماجي أصغي لأحاديثهم، وشغلني المكان الذي ستنام فيه نعومي تحت الناموسية، أين سيكون رأسها؟ نحو هامادا أم نحوي؟ ألقت بوسادتها بمكان لا يظهر اتجاه جسدها، وأعتقد أنها فعلت ذلك متعمدة لتختار بين المكانين.

- هل أطفئ الأنوار، وقفت في منتصف الناموسية بقميص نومها القرنفلي.

- حبذا لو تفعلين، أجاب كوماجي.

- حسنٌ.

صاح كوماجي:

- آه. آه.

و كانت نعومي قد وقفت على صدره لتطفئ النور.

تغلغل الظلام في المكان، إلا أن الضوء المتسلل من النافذة وشى بالوجوه والملابس. قفزت نعومي لتصل فراشها، فانفتح قميص نومها من الأسفل، مسرباً رائحة جسدها لأنفي. جلست على وسادتها وباعدت بين ركبتيها، ووجهت الحديث لكوماجي:

- ما رأيك بسيجارة؟ استدر نحوي، أجبني!

- لن تدعيني أنام نعومي!

- استدر فوراً وإلا أزعجتك أكثر.

- توقفي نعومي، عليكِ أن تعامليني باحترام أكبر، لا يجب عليكِ أن تقفي فوقي، هذا كثير. ضحكت نعومي، وأعتقد أنها كانت تضغط بأصابع قدمها على رأسه.

استدار كوماجي نحوها أخيراً.

- أستسلم نعومي.

- ها أنت مستيقظ إذاً يا كوماجي، رد هامادا.

- آلا ترى أنَّها تعذبني.

- استدر بدورك وإلا سأعذبك أنت أيضاً.

أخرج كوماجي من جيبه علبة ثقاب، وأشعل عوداً أضاء المكان.

- استدر أنت أيضاً يا جوجي! قالت نعومي

- آه، ماذا؟

- هل نمت؟

- أظن أنَّني غفوت.

- محاولة جيدة أن تتظاهر بالنوم، هل أنت متوتر؟

أصابت نعومي بذلك، فقد شعرتُ بوجهي يشتعل فأجبتها، أنا بخير.

- إننا نلهو، استرخِ ونم إن كنت متعباً، أو ماذا لو شاركتنا، لا تلعب دور المشاهد فقط.

قال كوماجي مشعلاً لفافة التبغ، بنفس عميق:

- أعتقد انه يرغب بالتعذيب.

- لا عليكَ كوماجي، فأنا أقوم بهذه المهمة طوال الوقت.

- إنه رجل محظوظ، قالها هامادا، واعتبرت كلامه إطراءً لي.

- جوجي، أُعذِّبك إن أردت.

- لا لا، لدي من التعذيب منك ما يكفي.

- إذاً استدر نحوي، لا تكن مغايراً لكليهما.

استدرت واضعاً ذقني فوق الوسادة، كانت نعومي جالسة بركبتين مرفوعتين، وقد وصلت إحدى قدميها أمام أنف هامادا والثانية بالقرب من وجهي. أما رأس كوماجي فكان بين ساقيها.

- ما رأيك بهذه الوضعية، جوجي؟

- لا أحب ذلك، أنت فقمة بالفعل!

- نعم أنا فقمة على الثلج، وأنتم الثلاثة ذكور الفقمة.

كان شعر نعومي الطويل منسدلاً فوق وجهها الأبيض، بينما كشفت فتحات قميصها عن ثدييها، ذراعيها وربلتي ساقيها. وكانت هذه الوضعية إحدى الطرق التي تعودت على إغوائي بها، لأتحول بمواجهتها فريسة سهلة. ولحظتُ عبر الظلام الظفر الذي كانت تزهو به.

- لا تكذب جوجي، تخبرني أنك لا تسيطر على نفسك أمام قميص نومي، وتبدو صارماً الآن بوجود الآخرين، اعترف بهذا!

- لا تكوني سخيفة.

- لماذا تتكلم معي بهذه الطريقة، سأجعلك تستسلم.

تدخل كوماجي:

- أنتِ تتجاوزين الحدود نعومي، أجلي ذلك لليلة الغد.

- عليكِ معاملة الجميع بمساواة الليلة، أجلي ما تحاولين فعلـه. قال هامادا.

- أنا أعدل بينكم، لذلك وزعت بينكما قدمي.

- وماذا عني؟ سأل كوماجي

- أنت الأوفر حظاً والأقرب، أليست رأسك ملتصقة هنا!

- آه إنه شرف عظيم.

- لن تبقي هكذا طول الليل، ألن تستلقي؟ قال هامادا.

- حسنٌ، أين أضع رأسي يا هاما سان، نحوك أو نحو جوجي؟

- ليس مهماً، أجاب كوماجي

- نعم ليس مهماً بالنسبة لك، فأنت في الوسـط، أمـا أنـا فيـثير الأمر مشكلة لي. أجاب هامادا

- حقاً، إذاً سأنام ورأسي نحوك.

- هنا تكمن المشكلة، إن كنت برأسك نحـوي، أو نحـو الـسيد كاواي كلا الأمرين يسبب لي القلق والتوتر.

- لا بد أنها كثيرة الحركة، فمن سيكون قرب قدميها سـيتعرض للركل طوال الليل. علق كوماجي. أهي كثيرة الحركة سيد كاواي؟

- نعم كثيراً.

- هامادا، سمعتُ أنك لعقت قدم أحد الصديقات وهي نائمـة؟ سأل كوماجي.

- ما المشكلة في لعق القدم؟ علقت نعومي، جوجي يفعل ذلك بقدمي طوال الوقت، يقول أن قدمي أحب إليه من وجهي.

- ألا يعتبر هذا التفضيل نوعاً من الانحراف الجنسي؟

- ما أقوله حقيقي، تفضل قدمي جوجي، صحيح؟

و راحت نعومي تقرّب قدميها نحوي ونحو هامادا،

- حتى أكون عادلة.

و تابعت تلك الفقمة الشرسة بالدوران بجسمها كبوصلة، تلقي بوسادتها كل مرة باتجاه وترفع قدميها تركل الناموسية حتى تهدلت ودخل البعوض.

- اللعنة لقد تسربت مليون بعوضة، قالها كوماجي جالساً بشكل مفاجئ.

تحركت الناموسية ووقعت فوقنا، واستمرت نعومي بالحركة تحتها بشراسة أكبر من ذي قبل. وكان الأفق قد لاح بأشعة الشمس حين انتهينا من تعليقها وتثبيتها من جديد.

غفوتُ، رغم هطول المطر وعويل الريح، وشخير كوماجي الذي سرعان ما أيقظني. عادة ما تكون صباحات بيتنا عابقة بالشذا العالق ببشرة نعومي وثيابها، وهذا ما تلاشى ذاك الصباح مع وجود رجلين في الرواق، فصارت رائحة المكان خانقة. كانت ذراع كوماجي تحتكُّ بي كلما تقلَّب في نومه، أما نعومي فوضعت إحدى قدميها على وسادتها قرب رأسي، بينما وضعت القدم الأخرى تحت فراشي. اتجهت برأسها نحو هامادا، وألقت بذراعيها جوارها. هاهي فتاتي المدللة، ترقد بسلام بعد أن استنزفت في اللهو، طاقتها أمس.

- نعومي.

تحسستُ قدمها المرتاحة قربي، آه، قدم ناعمة بيضاء، إنها لي، دأبت على غسلها منذ كانت فتية، آه يا لبشرتها الغضة. لا يبدو أن قدمها قد نمت منذ سنتها الخامسة عشرة، هاهو إصبعها الكبير كما كان وكذلك طول الإصبع الصغير. استدارة الكاحل ذاتها وامتلاء المشط. آه ما أجمل هذه القدم، وما كان مني إلا أن لثمتها بهدوء.

غفوتُ من جديد، وصحوت على موجات من القهقهة، وتحسست ورقة مبرومة بأنفي وضعتها نعومي.

- كم الساعة الآن؟

- العاشرة والنصف، لكن بإمكاننا البقاء حتى الظهر دون النهوض من الفراش.

توقف المطر خارجاً، وصفت صفحة السماء، ولم تتوقف في أنفي رائحة العرق والرطوبة الخانقة.

(13)

كثيراً ما تراود صورة نعومي مخيلتي وأنا في المكتب، ولكن ليس بالمقدار الذي يؤثر على أدائي بالعمل. فحياتي المقسمة بين البيت والمكتب كانت متوازنة، وأعتقد أن زملائي لا يزالون يعتبرونني الـ"جنتلمان".

ذات مساء ماطر كئيب، أقيم حفل توديع، في سايوكن، في تسوكيجن لزميلٍ مهندسٍ يدعى ناميكاو نُقل لفرع للشركة في أقاصي البحار. ذهبتُ للحفل مجاملاً كالعادة. اجتمعتُ وزملائي بعد العشاء بحجرة التدخين، نحتسي المشروبات ومضى الوقت، فنهضتُ واقفاً إذ كان علي المغادرة. فأوقفني زميل يدعى "س" وقال مقطباً حاجبيه نصف مخمورٍ:

- تعال كاواي، اجلس جانبي، لم العجلة، أين ستغدو في جو ماطر كهذا؟ قال عابساً في ظل استغرابي من دعوته!

- لا، ليس الأمر كذلك!

قال "ه".

- للمنزل ستذهب، صحيح؟

- نعم، فأنا أقيم في أوموري، والطرقات في الجو الماطر متعثرة إليها، أستميحكم عذراً، إن لم أنصرف باكراً لن أعثر على عربة ما تقلني.

ضحك "ت "و قال ساخراً:

- أصغ كاواي، لقد خرج القطّ من الجعبة.

- ماذا؟

لم أفهم ما يعنيه، لكنني ارتعدت.

قال "ك" وقد مال برأسه متأثراً:

- جنتلمان، لطالما ظننتك كذلك.

ثم همس "س" كي لا يسمعه أحد:

- من تلك الفاتنة التي تخرج معها، أليس عليك أن تقدمها لنا؟

- أرجوك، إنها ليست من ذاك النوع من النساء.

- سمعت أنها ممثلة في مسرح الأمبريال، وإشاعة تفضي إلى أنها ممثلة سينمائية، اعترف أهي أوراسية، أين تقيم؟ هيا لن تتحرر منا حتى تشي لنا بكل شيء عنها.

كان يستجوبني باهتمام دون أن يراعي الضيق الذي اعتراني.

- ما هي حقيقة الأمر؟ اهي ترافقك للرقص فقط، هيا قل!

كم وددتُ الصراخ في وجهه، ونعته بالأحمق لكنّني صمتت. كيف يعرفون قصتي هنا؟ أدهشني غياب صورة زواجنا عن الحديث وكأن نعومي امرأة عاهرة. أوه كيف يجرأون بالتحدث عن رجل وزوجته بهذه الطريقة؟

واصل "ه" طلبه بلا توانٍ:

- هيا كاواي، أخبرنا.

التفت إلى "ك"،

- قل له من سمع عنها!

- طالبٌ بجامعة كيو.

- من يكون؟ أعد لنا ما قاله.

- إنه احد أقربائي المهووسين بالرقص، وفي المراقص تعرف إليها.

سأل "ت":

- ما اسمها؟

- اسمها، دعني أتذكر، اسم غريب، نعومي، أجل إنه نعومي.

- أوراسية إذاً، أعتقد لو انها اوراسية لما كانت ممثلة، آه.. نعومي؟

- يقولون إنها امرأة سهلة المنال، تمارس الحب بسرعة ومن دون مقابل مع بعض طلاب الجامعة.

غاصت عيناي في وجهي، وتجمدت شفاهي. فصاح "س" بمرح:

- رائع، هل مارس قريبك الحب معها؟

- لا أعرف، لكنه أخبرني أن صديقين من أصدقائه أو ثلاثة قد فعلوا.

- توقفوا! انظروا إلى وجه كاواي، لقد اضطرب، كفوا عن ذلك. ونظروا جميعهم إلي وضحكوا لعبارة "ت".

- دعوه يتضايق، ياله من أناني، يحتكر امرأة بمثل ذاك الجمال لنفسه!

- ماذا حدث يا كاواي، ألا تتمتع بروح رياضية، من الطبيعي أن يواجه أحدنا المشاكل بيوم ما... وضحكوا جميعاً.

بدأ ما يقولونه يتوارى عن مسمعي، فيما عدا ضحكاتهم الساخرة.

كل ما كنتُ أفكر فيه تلك اللحظة، هو كيفية الانسحاب من الموقف. هل أضحك؟ هل أصرخ، ربما إن قلت الحقيقة سيزيد الأمر سوءاً!

لا أعرف كيف هربت من قاعة التدخين. كنتُ مصاباً بالدوار ولم أشعر بقدمي حتى صفعني المطر البارد خارجاً. ركضت تجاه حي جينزا، ولا أدري لم كنتُ أشعر أن أحداً يتبعني.

كان دماغي معطلاً، انحدرتُ عند المنعطف الأول بعد "أورايشو" وسارت بي قدماي تجاه "شيمباشي ". صفحات المياه على الرصيف عكست أضواء الشارع، بدت أقدام المارة تتحرك بفوضى فوقه، كما لحظت فتاة غيشا بثوبها الصوفي تقف تحت مظلتها، جوار العربات والسيارات.

نعومي ؛ سهلة المنال، تمارس الحب مع الطلاب مجاناً!... أوه يا إلهي! هل تفعل حقاً؟ آه كيف لم أنحُ لمثل هذا التفكير، وأنا أرقب تصرفاتها الطائشة؟ الغريب ألا يتملكني القلق نتيجة سلوكها الغريب! إنهم أصدقاؤها، وهي طفلة حيوية، نشطة. لذلك رغم توجسي البسيط، إلا أنني كنت أشعر بالطمأنينة كلما نعتوها بالصبي، أو حين تلهو معهم ببراءة ومرح. ربما لديها دافع خفي، ولن تتمكن من الاختباء بسلوكها عن أعين الجميع، بالتأكيد إنَّها.....، أوه لا ينبغي أن أقول هذا!

ربما لا تكون الرواية صحيحة. نعومي مندفعة لكنها بطبع نبيل، أعرف أنها تحمل لي الامتنان لما فعلته لأجلها مذ كانت في الخامسة عشرة.

أنظر لعينيها المغرورقين بالدموع، اللتين ستقابلني بهما حين أواجهها، ستقول أنها لم تخني. لن أشك بكلماتها على الأغلب. سأبرر لها شكوكي بالطبع. كيف قام بعض الأوغاد بتأليف القصة بدافع السخرية مني.

أوه لا، صديقان أو ثلاثة! مـن هـم؟ هامـادا، كومـاجي؟ لكنـهما صديقان. لو كان في الأمر شيء من الحقيقة، لكانـا تعاركـا للحـصول عليها! لكن العكس ما يحدث، فهما منسجمان مرحـان حـين يلتقيـان في بيتي. أتكون نعومي من تناور بينهما؟ ليس من المهم مناورتهـا مـن عدمها..! بل الأخطر أن تكون انحدرت لهذا الدرك! إن كانـت حقـاً، قد تورطت بعلاقة مع كليهما، فيالهـا مـن ممثلـة بارعـة، ويـا للـدور الصفيق الذي أتقنته في حفل النوم مؤخراً!

لا أدري كيف اجتزتُ جسر شيمباشـي، عـبر طريـق شيباجوشـي الملطخ بالوحل، ومتى وصلت لجسر كانا سـوجي، حاصـرني المطـر من الجهات جميعها، وعجزت مظلتي عن استيعاب كمية الميـاه الـتي فاضت فوق معطفي الواقي من المطر. مشهد المطر الغزيز يتكرر للمرة الثالثة الآن بعد ليلة حفل النوم، ويوم وقع قلـبي في حـبّ نعـومي في مقهى دياموند ذات ربيع.

هل من الممكن أن أتوقـع في بـيتي حفـل نـوم آخـر هـذه الليلـة؟ سيجلس هامادا وكوماجي، على المقعد ونعومي تتربع بينـهما، تـسرد أحاديثها السخيفة. تجسد المشهد أمامي فاسقاً وبدأت تنهشني الظنون.

نعومي، نعومي. لماذا غادرتها الليلة؟ أين هي؟ ليست معـي الآن، هنا جوهر الأمر. سأهدأ حين أراها، سيُخمد صـوتها الـشجي وعيناهـا البريئتان هواجسي. لكن ماذا لو أرادت حفل نوم مماثل لاحقـاً؟ كيـف سأتدبر الأمر مع أولئك الحثالة. كيـف سـأتدبر موضـوع مراقبتـها، إن قاومت رغبتي أو تمردت! سأخبرها أن زملائي يتحدثون بأشـياء مهينـة عنها. وأنها يجب أن تراقب ما تفعله درءاً للمزيد من الأقاويـل. أعتقـد أنها ستذعن حفاظاً على سمعتها. لكن ماذا لـو لم تبـال؟ ومـاذا لـو أن رواية "ك" صحيحة عنها، لو أنها فعلاً امرأة سهلة المنالَ و.....!

أغمضت على السيناريو الأخير، وهدأت من روعي قدر الإمكان. هل تخدعني حقاً؟ إن تأكدت من خيانتها، فهل سأصفح عنها؟ لا أستطيع، في الواقع، متابعة العيش دونها ولو ليوم واحد. علي ألا أنتقدها لسوء ما قامت به، فأنا المشارك بجنوحها. إن واجهتها بالدليل، هل سيوقف هذا أخطاءها؟ ربما تعبِّر عن أسفها وتعترف بذنبها، لكنها عنيدة ولن تستسلم.

أكثر ما يثير بي الذعر، إن نَحتْ خلافاتنا باتجاه الانفصال، وأتى اليوم الذي ستقول فيه:

"أنا راحلة" هل سأقدر على مجاراتها بـ: "ارحلي".

أعرف أن نعومي ضعيفة، من ناحية العيش دوني، لن تجد سوى بيت أهلها القذر في سينزوكي، لتعيش بقلة فيه، ما لم تصبح عاهرة. ربما لو لم تتعود على حياة البذخ والدلال التي عاشتها معي، لكان الأمر مختلفاً. قد يعرض عليها أحد الطلبة من أصدقائها الإقامة معه، لكن كيف لطالب أن يلبي الاحتياجات التي وفرتها بسخاء لها؟ أعتقد أنه خيار جيد أنني قمتُ بكل هذا من أجلها. تذكرتُ الموقف حين طلبتُ منها الرحيل بعد تمزيق كراستها، لو أنها تركتني يومها، كانت ستهوي لأعماق المجتمع المنحطة، إلى القاع من جديد. أعتقد أن امرأة بعامها التاسع عشر ناضجة مدركة لطبيعة المجتمع والمخاطر حولها، لن تتخذ قراراً بالرحيل وستعرف أن مناورتها بالتهديد به، لن تخدعني.

حين وصلتُ لمحطة قطار أوموري، استجمعتُ قواي، وتمسكتُ بيقيني أن نعومي هي قدري، ولن نفترق مهما حدث.

وصلت للبيت، الهدوء يغلف المكان ولا قنديل في البيت ينشر الضوء. بددت عتمة الرواق أفكاري التشاؤمية. إنها بمفردها. يا للطمأنينة!

دخلتُ الرواق، كان يغصُّ بالفوضى والعتمة، لكن ليس هناك ما يشير إلى أن أحداً من أصدقائها دخل هنا. ناديت:

- نعومي، لقد عدت.

لم ترد.

صعدت الحجرة، وجدتها غافية منكمشة بجسدها تحت الأغطية وبيدها رواية، وهذه عادتها حين تشعر بالملل ليلاً أو نهاراً.

حدقت بوجهها البريء، هل تخدعني، هل تفعل هذه الفتاة التي تتنفس بهدوء أمامي الآن؟

جلست جوارها بحرصٍ ألا أوقظها، أحدِّق كاتماً أنفاسي بهذا الملاك النائم. أتذكر حكاية الثعلبة التي خدعت شاباً متحولة لأميرة، ولم تكشف عن زيف هويتها إلا بعد أن زفت إليه. إنها ليست سوى أساطير الطفولة، لماذا علي تذكرها الآن!

أزحتُ الغطاء عن نعومي، وسحلته حتى فخذيها. رفعتْ يدها واستقر كوعها كغصن مائل على ثديها العاري، بينما مدت ذراعها الأخرى صوب ركبتي. بدا وكأن رأسها سينزلق عن الوسادة بعد أن مالت به. كتابٌ مفتوح بالقرب من وجهها، إنه رواية للكاتب أريشيكا تاكيو بعنوان سلالة كين، كاتبٌ تعتبره نعومي من أعظم الروائيين المعاصرين. في الحقيقة سرعان ما انتقلت عيناي لثديها، الذي يجاري البياض الناصع لأوراق الكتاب الغربي. آه هذه البشرة الشفافة حين تغفو، وكأن الشحم يذوب في الليل من تحتها، الليل الذي بات مرتبطاً ببياض لا مثيل له. تحركَ ثديها بحيوية تحت ظلال المصباح الخافت، بدا وكأنه مستلقٍ عميقاً في مياه صافية. وجهها الساكن كالموتِ مذهل بدوره أثناء نومها. لطالما أخبرتها أنها تبدو شخصاً

مختلفاً وهي نائمة. حتى لو كانت ثعلبة في حقيقتها، لتركتها تخدعني بسحرها الغافي هذا!

ثلاثون دقيقة مرَّت وأنا أحدق بالجسد النائم، بيدها التي توشك أن تتفتح كزهرة، رأيت بوضوح نبض رسغها. قطبتْ بمسحة حزينة واضطرب تنفسها قليلاً وفتحت عينيها وقالت بصوت خافت:

- متى عدت؟

- الآن منذ دقائق.

- لِمَ لمْ توقظني؟

- ناديتك فلم تستيقظي، فجلست جوارك.

- تراقبني وأنا نائمة؟

- نعم.

- يالك من غريب! ضحكت كطفلة، مللتُ وحدي، ولم يأتِ أحد، هل ستنام؟

- أظن ذلك.

- غلبني النوم فغفوت هنا، قرصني البعوض، يحكني جسمي، اهرشني هنا.

حككتُ لها ذراعيها وظهرها.

- هل لك أن تحضر قميص نومي وتلبسني إياه؟

طوقتها وهي مستلقية ثم أنهضتها، فككتُ نطاق الكومينو وألبستها القميص، وعادت لتستلقي بهدوء.

- ضع الناموسية يا أبي، وتعال استلقِ جانبي.

- تكمن المشكلة في أن الناس لم تتفهم بعد حقيقة الرقص. فإذا رقص رجل وامرأة ولفّ كل منهما ذراعه حول الآخر؟، تكثر الأقاويل عنهما والإشاعات. وشاركتْ بهذه النظرة الخاطئة المقالات بصحف رجعية متخلفة تهجي الرقص، وتصمه بأنه مفسد. لقد تعودنا على مثل هذه الأقاويل.

هذا ما علَّقت به نعومي، حين واجهتها بما سمعته عنها.

- لم أكن بمفردي أبداً مع رجل يا جوجي، أنت تعرف هذا!

كانت محقة، فقد رقصنا معاً ولهونا داخل البيت جميعنا. لم تكن تستقبل ضيفاً في غيابي أبداً. ولطالما اعتذرت من ضيوف، حين تكون بمفردها ليرحلوا باحترام.

- قد أكون أنانية يا جوجي، وبإمكاني خداعك إن أردت، لكنَّني لا أخفي عنك شيئاً ولن أفعل أبداً.

- أعرف، إن ما يثير ضيقي هو هذه الأقاويل عنك.

- ماذا سنفعل للرد عليهم؟ هل نتخلى عن الرقص؟

- لا، لا أقصد، لكن كوني حريصة كي لا يساء فهمك.

- لا يهمني ما يظنه الناس بي يا جوجي، لا يحبونني لأني فظة، وسليطة اللسان طالما أنت تفهمني، فلا تعنيني اتهاماتهم.

حرصت في حديثها الطويل فوق فراش تلك الليلة، أن تخبرني لماذا تفضل مرافقة الرجال، وأنها تجدهم أكثر صراحة وأسهل في التعامل من النساء، ولا يمكن أن تكنَ لهم أية مشاعر رومانسية. ما أثار عجبي، لماذا لم تتفوه باسم صديقيها المقربين، هامادا وكوماجي. أتتقصد عدم ذكرهما؟ كنتُ أخطط مباغتاً إياها. مترقباً ردة فعلها حين ألقي اسميهما في وجهها فجأة، لكن الفرصة لم تسنح لي.

كررت بكلمات معسولة أنها ممتنة لما قدمتُه لها، أنها تدين لي بتنشئتها، وأني لها الأب والزوج الذي تحبه. بدأت بنحيب جعلني بنهايته أمسح دموعها، وبدأت كعادتها تمطرني بوابل القبلات.

لم أصدق، في الواقع، معظم ما قالته. بالرغم من الظنون التي اعترت قلبي، شكوكٌ ستمنحني فرصة اليقظة في مراقبتها فيما بعد. إلا أن همسات نحيبها، ودموعها المنهمرة فوق وجهي حين قبلتني، بدا أن ما تقوله حقيقياً بكله.

بدأت الأمور تتغير تدريجياً. بتنا ننصرف عن صالات الرقص بوقت مبكر. لم يعد الزائرون يثقلون علينا. صرتُ كلما عدت من عملي كل مساء أجدها تصغي للموسيقى، منشغلة برواية ما، أو بحياكة، أو بالاهتمام بالزهور في حديقة المنزل.

- هل أمضيتِ النهار بمفردك؟

- نعم، لم يأتِ لزيارتي أحد.

- هل شعرتِ بالوحدة؟

- لماذا قد أشعر بالوحدة وأنا أعرف منذ البداية أن هذا ما سيكون عليه حالي وأنت خارجاً! أحبُّ، أحياناً، أن أمضي الوقت مع

الأصدقاء نتسلى معاً، لكن طبيعتي انعزالية منذ صغري، لم يكن لدي الكثير من الأصدقاء، وألعب وحدي معظم الوقت.

- نعم، انتبهت لهذا في مقهى دياموند، كنتِ تبدين كئيبة.

- صحيح أنني مشاغبة ظاهرياً، إلا أنني كئيبة من الداخل، أتحب هذا جوجي!

- ما أحبه ألا تكوني مكتئبة أبداً.

- لكن هذا أفضل من المشاكسة التي كنتُ عليها!

- لا أدري حقاً، أيهما أفضل.

- الآن أفضل، صحيح؟

هرعتْ نحوي فجأة، لفت ذراعيها حول رقبتي وقبلتني بعنف.

يبدو أن التغيير ينحو في مساره الحقيقي، بدا ذلك حين كنت أدعوها للذهاب لصالات الرقص،

- لم نرقص منذ مدة طويلة، لنذهب للرقص!

غالباً ما ترفض، قائلة:

- لا رغبة لدي بالرقص الليلة. لنذهب إلى السينما.

عادت بنا الأيام، لتلك الفترة النقية البريئة التي تقاسمناها أول زواجنا. نذهب كل ليلة لأساكوسا، نعرج على السينما وننهي الرحلة بعشاء في أحد المطاعم، لنتشارك خلاله الذكريات بحنين جارف.

- كنتِ صغيرة جداً حين جلستِ فوق سور مسرح أمبريال، تتكئين على كتفي.

- أتذكر أول مرة جئت فيها للمقهى، وحدقت بفضول بي. كنت متوترة جداً. بالمناسبة، لم تعد تغسل جسدي كما كنت تفعل من قبل!

- أفكر في الأمر!

- ماذا تقصد..؟ أعتقد أن قامتي كبرت فلم تعد مهتماً بغسلها.

- لا، لكنَّني، في الحقيقة، كنتُ أمنع نفسي.

- سأعود طفلة، لتحمِّمني جوجي!

قمتُ بنقل حوض الاستحمام للرواق من جديد، وبدأتُ أحمم نعومي في ذاك الموسم الحار. كنتُ أنعتها بالطفلة الكبيرة، لكن الآن، يا للجسد المكتمل النضوج. أساعدها بالاستلقاء في الحوض، فيتناثر بغزارة شعرها، كأمطار المساء. بات لحمها مستديراً عند المفاصل، وكتفاها أكثر امتلاء، أما ثدياها ووركاها فقد ازدادا ارتفاعاً ومرونة. وطالت ساقاها أكثر من ذي قبل.

- نما جسدي يا جوجي، صحيح؟

- نعم، بتٌّ تطاولين قامتي.

- سأسبقك بالطول، يا عزيزي، كما أنَّني أزن الآن مائة وسبعة عشر رطلاً.

- أوه، أزن أنا مائة وثلاثين.

- هل حقاً أنت أثقل مني..؟ تبدو مثل القريدس الصغير.

- بالطبع أثقل منك، للرجال هياكل أثقل.

- إذاً، هذا الهيكل يمكنه حملي والطواف بي بالمنزل، كما كان يفعل من قبل!

- كنتِ خفيفة الوزن حينها، مئة رطل كما أذكر!

- إذاً ستعجز عن هذا الآن!

- هل تعتقدين، لا تكوني سخيفة، اركبي فوق ظهري وسترين.

ركبت فوق ظهري بأرطالها المائة والسبعة عشر، ووضعت المنشفة على فمي كلجام، وبدأت الصياح:

- يا لك من حصان هزيل.. هيا هيا انهض.

أرهقني وزنها وكلماتها المستفزة، لكني حاولت ألا أنهار تحتها. درتُ بها الحجرة مرات عديدة، حتى تعبت تماماً وتوقفت.

- لنذهب إلى كاماكورا، جوجي. مرَّ زمن طويل، ولم نزرها سوى مرة واحدة، أرغب حقاً بالذهاب.

كنا في أوائل شهر آب:

- معك حق.

- لنذهب إلى مكاننا الساحر، لنقض الصيف في كاماكورا.

سررتُ بكلماتها وهي تصفُ تلك الأيام بشهر العسل، الذهاب إلى كاماكورا ؛ يا لها من فكرة مدهشة!

- لنذهب!

انطلقنا إلى كاماكورا في أوائل الشهر ذاته، بعد حصولي على إجازة لمدة عشرة أيام من عملي. خططتُ للإقامة في خان أقل فخامة من جناح جولدن ويف الذي نزلنا به من قبل. إلا أن نعومي وباستشارة من الآنسة سوجيزاكي، أخبرتني أنه من الأفضل استئجار مكان منفرد، طلباً للخصوصية والتكلفة الأقل.

- قريب الآنسة سوجيزاكي، وهو مديرٌ في شركة أورينتال للبترول. استأجر كوخاً ملحقاً بمشتل شوكوسو، على أطراف الطريق المؤدي لفيلا الإمبراطور اعتباراً من شارع هيس. الكوخ الذي استأجره المدير لثلاثة أشهر ولم يستخدمه سوى شهري حزيران وتموز، خاو الآن.. أعتقد سيكون مسروراً، بعد أن شعر بالملل من الإقامة في كاماكورا، لو استأجرناه لشهر آب. إنه صديق الآنسة سوجيزاكي، لن يهتم للمال، دعنا نستأجره، جوجي، ونقيم فيه حتى نهاية الشهر.

- لكن إجازتي قصيرة، ولا يمكن تمديدها.

- لا باس، بإمكانك الذهاب لعملك من كاماكورا بالقطار!

- لنلقِ نظرة عليه، ثم تقررين بعد ذلك.

- سأذهب غداً، هل سنقيم به لو أعجبني، جوجي؟

- لكن علينا أن نتفق بشأن الإيجار قبل كل شيء.

- أعرف كيف تفكر، سأطلب من الآنسة سوجيزاكي أن تقبل بعض المال مقدماً، وسيترتب علينا دفعُ مائة ين أو مائة وخمسين يناً.

نظمت نعومي الإجراءات كلها بزمن قياسي، واتفقت مع الآنسة سوجيزاكي، ودفعت لها مائة ين لقاء الإيجار لشهر آب كله.

كان الكوخ، الذي بدد هواجسي منه، مبنى من طابق واحد، منفصل عن البيت الأساسي، يضم حجرتين بمساحة إثني عشر قدماً في إثني عشر، وتسعة بتسعة على التوالي. يمتد بينهما بهو وحمام ومطبخ. وللكوخ ممر يفضي للحديقة والشارع، بعكس اتجاه بيت أسرة المشتل، بما يمنحه مزيداً من الخصوصية.

مكانٌ بطراز ياباني تقليدي، وفرشٍ جديد. لا يمكن وصف الشعور بالتجدد الذي عشته حين جلستُ بساقٍ فوق ساق أمام الموقد.

- ما أروعه، أشعر وكأنّني في بيتي.

- أترى ما أجمله! أيهما أحببته أكثر، هذا الكوخ أو بيتنا في أوموري؟

- أعتقد أن هذا المكان يمنحني راحة أكبر، ليتني أقيم هنا أبداً.

- أرأيت، قالت برضا تام عن اختيارها، قلت لك!

في عصر اليوم الثالث لإقامتنا، ذهبنا للشاطئ وسبحنا نحو الساعة، لنستلقي بعدها على الرمل.

- آنسة نعومي!

إنه كوماجي، وقد بدا مغادراً الماء تواً، بثوب سباحة التصق بصدره، ومياه مالحة تسيل فوق رجليه المشعرتين.

- ماشان، متى جئت؟

- اليوم. ملتفتاً نحو الماء:

- يا رفاق.

رد أحدهم لايزال في الماء:

- نعم.

- من أولئك السابحون؟

- هامادا، سيكي، وناكامورا. أتينا هنا نحن الأربعة معاً.

- ياللإثارة، أين تقيمون.. في أي فندق؟

- فندق! لا يمكننا التمتع بهذا الترف، جئنا لقضاء يوم واحد في هذا الجو الرطب الحار.

خرج هامادا من الماء قادماً إلينا:

- مرحباً، مرَّ وقت طويل لم نلتق. أعتذر على عدم الاتصال. كأنك انقطعت عن الرقص سيد كاواي؟

- ليس الأمر كذلك، نعومي التي ملَّت من الرقص.

- للأسف حقاً , منذ متى تقيمان هنا؟

- منذ ثلاثة أيام، استأجرنا كوخاً في مشتلٍ قرب شارع هيس.

- إنه كوخ مدهش، قالت نعومي، سنقيم فيه طوال الشهر، والفضل يعود للآنسة سوجيزاكي.

- تقام في كاماكورا حفلات للرقص، نعومي، ستقام الليلة حفلة راقصة في فندق كيهين، سأذهب إذا ما عثرت على شريكة.

- لا أرغب بالذهاب، أكره الرقص بالجو الحار، ربما فيما بعد.

- ربما أنت على حق، واستدار براسه لماشان: ماذا سنفعل الآن، هل نعود للماء؟

- لا أريد، أنهكتني السباحة. بكل الأحوال تأخرنا، وسيحل الظلام عند عودتنا لطوكيو.

سألت نعومي:

- أين ستذهب الآن يا هامادا؟ أيوجد أي وجهة مثيرة للاهتمام؟

- لا أبداً، إنها فيلا للعم سيكي في أوجيجاياتسو، سيعدون لنا العشاء اليوم، إلا أن التعامل رسمي جداً، حتى أننا لن نشاركهم الطعام.

- هل الجو رسمي لهذه الدرجة!

- نعم، كثيراً. الخادمة تبالغ في انحنائها، ولن نستطيع ابتلاع لقمة من طعامها. قد نأكل حين نصل لطوكيو.

قالها كوماجي بدون أي حركة، جالساً على الشاطئ بيده حفنة رمال، أفلتها لتنساب فوق ساقيه.

- تفضلوا لتناول العشاء معنا! كان علي أن أتدخل بدعوتهم وأنهي حرجهم ذاك، خاصة بعد صمت طويل طالهم هم الثلاثة.

(15)

هاهم أصدقاء نعومي يقتحمون مكان إقامتنا من جديد. تناولنا معاً وجبة عشاء دسمة، وجلسنا نتبادل أطراف الحديث حول المائدة المنخفضة في الغرفة الكبيرة، حتى الساعة العاشرة مساء. بالرغم أنني لم أشعر بالراحة إزاء هذه المجموعة، التي انضم إليها سيكي وناكامورا، لكنَّني سرعان ما بدأتُ أستمتع بتصرفاتهم الشبابية الجريئة. كما أعجبتُ بأناقة نعومي وفتنتها حين حرصتْ على إكرام ضيوفنا بشكلٍ لائق ولبق.

أخبرتها ونحن في طريق العودة، بعد إيصالهم لمحطة القطار.

- من المبهج أن نستضيف أصدقائك بين فترة وأخرى، أمضينا وقتاً ممتعاً معاً.

كانت يدي تشابك يدها تحت سقف من النجوم الصافية، بينما تهب النسمات البحرية بهدوء:

- هل استمتعت معهم حقاً، ربما تحتاج لمزيد من الوقت، لتعرف أنهم ليسوا سيئين.

- بالطبع، ليسوا سيئين.

- ألا يزعجك لو أنهم كرروا زياراتهم؟ يملك سيكي فيلا قريبة من هنا، ربما يصطحبهم للمكان مرة ثانية.

- هذا ما أخشاه، لكنهم لن يقوموا بالزيارة من جديد.. هل سيفعلون؟

- الأمر سيكون مزعجاً، لو ترددوا مرات عديدة. علينا ألا نبالغ بضيافتهم، ودعوتهم لمشاركتنا الطعام.

- لكنه تصرف غير لائق، أن ندعوهم للانصراف.

- بالطبع، علينا طلب الانصراف منهم، إذا ما أطالوا فترة الزيارة.

- سنتعرض لانتقادات كوماجي لو فعلنا!

- لا عليك، إنهم المخطئون حين يفرضون علينا استقبالهم، ويتطفلون على المكان الذي قطعنا إليه كل هذه المسافة، للحصول على المتعة والخصوصية.

وصلنا لظلال أشجار صنوبر تكتظ بالعتمة. توقفت نعومي فجأة وقالت:

- جوجي!

كانت دعوة رقيقة، من صوتها الخافت العذب، احتضنتها بذراعي دون أن أنبس بكلمة، ارتشفتُ تلك الشفتين المكتنزتين بقوة وشهوة، كأنني أنهل من ماء البحر.

انقضت إجازة الأيام العشرة بسرعة، وكان علي الالتحاق بعملي، بدأتُ كما خططنا، أستقل القطار يومياً من كاماكورا للشركة. أما الزوار الذين كنا نخشى تكرار زياراتهم، فقد اكتفوا بعدها بزيارة واحدة فقط. جرت العادة أن أرجع كل مساء في السابعة مساء، لأتناول العشاء مع نعومي. إلا أن أعمالاً إضافية مباغتة، فرضت تأخيري في المكتب حتى التاسعة لأيام ستة تالية، ولم يعد بإمكاني الوصول للكوخ إلا بعد الحادية عشرة.

أنهيت، في أحد الأيام، عملي مبكراً، كان اليوم الرابع كما أذكر، وانصرفت حوالي الثامنة، مستقلاً الترام إلى يوكوهاما، ومن بعدها انتقلت للقطار البخاري لأصل كاماكورا قبل العاشرة. كنت أتوق للوصول للبيت، والتلذذ بوجه نعومي الذي افتقدته بسبب غيابي لأيام حتى ساعاتٍ متأخرة. استأجرت ريكشا من أمام المحطة وسابقتْ بي الطريق للكوخ. رافق هذا العائد من عمله المضني نسيمُ الليل البارد المنعش، أما المطر الخفيف الهاطل عند الغسق فنشر أريجاً لطيفاً، تصاعد من أوراق الصنوبر الإبرية وأغصان أشجاره الندية. بينما تبعثرت بركٌ هنا وهناك تلمع عبر الظلام فوق الطريق. أما الدرب الرملي فكان رطباً ساكناً، تطؤه الأقدام بسلاسة وكأنها تعدو فوق المخمل. تناهى إلى مسمعي أصواتٌ حادة تسللت من خلف سور فيلا، في أطراف الطريق، لمحتُ عبر الظلام أشخاص ثلاثة يجرون أحدا، يتنقلون بثياب الكيمونو الصيفي أبيض اللون.

وصلتُ البوابة، وعبرتُ الحديقة صوب الشرفة. كان قلبي يقفز نحو الباب الذي توقعت من نعومي الإسراع لملاقاتي خلفه. ضوء ساطعٌ يغطي المكان داخلاً، لكن السكون المخيم يشي بعدم وجودها. ناديتُ باسمها، لم ترد. صعدتُ حجرتها الخاوية فكانت مكتظة كما العادة بثياب البحر والمناشف والفساتين. بينما تبعثرت في الأرجاء فناجين الشاي، الصحف والوسائد. حدثني حدس العاشق أنها لابد مغادرة البيت، منذ أكثر من ساعتين.

الحال في الحمام والمطبخ لم يكن أفضل حالاً من الحجرة، بقايا الطعام الغربي وزجاجة الساكي، تُخبرُ بتناول كميات مأكولات ومشروبات كبيرة، أما المنافض الممتلئة بأعقاب السجائر فتنبئ بأصدقائها الزائرين.

توجهت للباب الرئيسي وناديتُ زوجة عامل المشتل مستفسراً:

- هل رأيتِ نعومي؟

- عادتْ السيدة الصغيرة في المساء، لتخرج بعدها مع الجميع..

"السيدة الصغيرة"، هكذا تدعوها زوجة عامل المشتل. لأن نعومي تفضل أن يعتقد الناس أننا نقيم معاً دون زواج، وكانت تستاء إن ناداها أحدهم بغير هذا اللقب.

- الجميع؟

- نعم، قالت مترددة، والآخرين جميعهم.

أدهشني معرفة السيدة باسم كوماجي، لكنّني وددتُ عدم إضاعة الوقت بالاستفسار:

- "عادتْ في المساء"، هل تقصدين أنها خرجت بصحبتهم أثناء النهار؟

- خرجتْ لتسبح بمفردها عصراً، ثم عادت مع السيد كوماجي و..

- مع كوماجي بمفردها؟

- نعم.

كانت زوجة عامل المشتل ترد على استفساراتي باقتضاب، أما القلق فكان بادياً على ملامح وجهها، بما أثار توتري وأظهر الذعر، الذي حاولت إخفاءه جلياً بنبرة صوتي:

- البقية لم يكونوا هنا معهما؟

- لا، سمعتُهما يتحدثان عن حفلٍ راقص سيقام في الفندق، وأنهما منصرفان إليه. وغادرا معاً.

- و بعدها؟

- عادت السيدة الصغيرة، برفقتهم جميعاً.

- هل تناولوا العشاء في الكوخ؟

- نعم، وبابتسامة عصية وعينين فضوليتين، تابعتْ، أثاروا صخباً.

- متى غادروا؟

- حوالي الثامنة.

- قبل ساعتين، هل تعتقدين أنهم في الفندق؟ هل قالوا شيئاً عمَّ ينوون فعله؟

- لا أعرف، لكن ربما هم الآن في الفيلا.

- الفيلا..! وتذكرتُ فيلا العم سيكي في أوجيجاياتسو، ربما علي الذهاب هناك، هل تعرفين موقعها؟

- إنها تطل على الشاطئ في هيس. ليست بعيدة.

- هيس؟ أم أوجيجاياتس؟ أصغ إلي، أقصد الفيلا التي يمتلكها أحد أصدقاء نعومي المدعو سيكي، هل كان هنا معهم..؟

أثار كلامي الدهشة في ملامح السيدة فتابعت:

- هل هو مكان مختلف؟

- نعم.

- لمن هذه الفيلا؟

- إنها ملك أحد أقارب كوماجي.

- قريب كوماجي؟ بالكاد قلتُ الكلمتين بوجه ممتقع.

أشارت السيدة لموقع الفيلا، التي علي للوصول إليها، عبور طريق هيس والانحراف يساراً للدرب المؤدي لفندق كيهين. وبنهاية الطريق عند الشاطئ تقف فيلا اوكوبو، الفيلا الخاصة بقريب كوماجي. والتي لم أسمع ولا كلمة عنها من قبل، لا من نعومي أو من كوماجي.

- هل تزور نعومي هذه الفيلا من حين لآخر؟

- دعني أخبرك...

- ليست المرة الأولى؟ بدأ صوتي يختنق وأنفاسي تتقطع، بما أرعب السيدة التي تنبهت للذعر المرسوم بملامحي فارتبكت بدورها. فأطردتُ سريعاً:

- لا عليكِ، لن أسبِّب لك المتاعب، أرجوك صارحيني، ماذا حدث في الأيام السابقة، هل ذهبت هناك أمس؟

- نعم.

- وأول أمس؟

- نعم.

- و اليوم الذي سبق أول أمس؟

- نعم

- إذاً لقد دأبت على الذهاب للفيلا منذ انشغالي بالعمل، وعودتي المتأخرة!

- لستُ متأكدة!

- هل تعرفين موعد عودتها كل ليلة؟

- قبل الحادية عشرة.

آه يا الهي توضح كل شيء، كوماجي ونعومي يخدعاني منذ البداية، وتبين السبب الآن لرغبتها بالقدوم إلى كاماكورا. يدور في رأسي إعصار من الأفكار، ويعصف فيه كل تصرف وقول لنعومي، تلك المحتالة لفت حولي شباك الخداع التي يصعب على رجل بسيط مثلي اكتشافها! أكاذيب بالجملة، مؤامرات، متورطين؟ أشعر بجسدي يهوي لقاع سحيق، وهاأنا أتطلع لنعومي، كوماجي، هامادا، سيكي.. وربما غيرهم، الكثيرون يضحكون يبتعدون، بينما أهوي وأهوي ونظرة الخاسر الحاسد تنوء بي نحو الهاوية.

سارعتُ نحو الشارع خاطبت السيدة متلعثماً:

- إن عادتْ قبلي للبيت أرجو ألا تخبريها بأني كنتُ هنا.

توجهت صوب فندق كيهين كما دلتني السيدة، مُظلّلاً قامتي بالعتمة، توزعت فيلاتٌ ضخمة على جانبي الطريق الساكن المظلم. دققتُ في ساعة يدي محاولاً اقتناص اللحظة لضبطها متلبسة مع كوماجي أو مع صحبتها في حفل راقص ما. سأعمل على ترتيب الأدلة، بحيث أواجه حكاياتهم الملفقة التي سيؤلفونها فيما بعد وسألقنهم درساً لن ينسوه.

سرعان ما وصلتُ المكان وبدأت أدرس موقع الفيلا جيئة وذهاباً لبضع دقائق. كانت لها بوابة فخمة من الأحجار تفضي لممر مرصوف بالحصى يجانبه من الجهتين نباتات وأشجار. "فيلا أوكوبو "، كتبت بحروف باهتة على الباب. أما جدار الفيلا المصنوع من الطوب المسجى بالطحالب فقد منح المكان هوية المزرعة الفخمة أكثر من مجرد منتجع صيفي. وعجبتُ كيف لفيلا فخمة محاطة بأشجار كثيفة كهذه، أن تكون ملكاً لأحد أقرباء شخص مثل كوماجي!

تسللت للداخل عبر الممشى متقصداً الهدوء وعدم اثارة الضوضاء، حالت الأشجار المحيطة بالمكان دون توضيح معالم البيت داخلاً، لكن مع اقترابي أكثر وجدت ان الفيلا برمتها وتفاصيل مدخلها وطوابقها وحجراتها تعج بالصمت وبالظلمة. لابد أن حجرة كوماجي في جهة المبنى الخلفية، وسارعت هناك، فكان توقعي صحيحاً، أدركتُ من اتكاء المندولين المفلطح على سور الشرفة، ومن قبعة الريش التي عادة ما يعتمرها، أنها المكان الخاص بكوماجي. بالرغم أن الباب كان مفتوحاً، لكن لم يكن هناك أحد.

باب الخدم كان مفتوحاً بدوره، بما يشير أن أحداً قد خرج تواً. لاحقتُ الضوء الصادر من الباب للخارج، فأوصلني لبوابة خلفية على بعد خمسة عشر لعشرين قدماً. بوابة مكونة من عمودين خشبيين، تكسر بينهما النور فوق الأمواج على شاطئ يوي، ليهاجمني البحر فجأة برائحته.

خرجوا من هذه البوابة، آه إنه صوت نعومي، لا يمكن أن أخطئه، لا بد أن الريح منعتني من سماعه من قبل.

- لا يمكنني السير، انتظر، دخل الرمل بحذائي، ماشان اخلعه عني.

- لن أفعل، هل أنا خادمك؟

- هكذا إذاً، لن أكون لطيفة معك بعد الآن. هاماسان، أنت الوحيد الذي أجده بجانبي يا خير الأصدقاء، شكراً لك، أنت غاية بالرقة.

- لا تسخري لأنني لطيف معك.

- يكفي هاما سان أنت تدغدغني.

- أنا لا أدغدغك، انظري أبعد الرمل المتراكم فحسب.

قال سيكي

- انتبه فأنت بمجرد أن تبدأ بلعقها تصير بابا..

انفجروا جميعاً بالضحك.

كنتُ أبتعد ثلاثين قدماً عن الكوخ الذي يجمعهم، المحاط بأعواد خشبية. انحدرت كثبان رملية من المكان الذي أقف عليه حتى الأسفل، حيث كانوا يتسامرون. قلبتُ طية سترة العمل الذي كنت لا أزال أرتديها لأعلى. زررتُ الأزرار جميعها كي لا يلفت قميصي والياقة الأنظار. أما قبعة القش فخبأتها تحت إبطي وعدوت منحدراً عبر الظلام، ووقفت جوار الكوخ.

- هيا لنخرج. وصلني صوت نعومي.

خرجوا جميعاً واتجهوا صوب الشاطئ، دون أن يلحظوني. هامادا، كوماجي، سيكي، ناكامورا، الرجال الأربعة يرتدون كيمونونات صيفية خفيفة عدا نعومي، التي توسطتهم بعباءة سوداء وحذاء بكعب عال. لا أذكر أنها أحضرت عباءة معها لكاماكورا أو انها جلبت حذاء كهذا؟

لا بد أنها حصلت عليهما من أحد ما هنا! العباءة التي بدأت تخفق مع الريح، لكنها لم تكشف عما تخفيه، فقد أحكمت نعومي حزمها حول جسدها، إلا أن مؤخرتها الممتلئة كانت تهتز مع كل خطوة، من الواضح أنها مخمورة، تتمايل مرتطمة بالرجال يمنة ويسرى.

بقيت خلف الكوخ جاثماً كاتماً أنفاسي، أرقب ابتعادهم عني لمسافة ستين قدماً. نهضتُ بعدها وتبعتهم. ظننتُ أنهم سيمشون نحو

الشاطئ مباشرة صوب زيموكويا، إلا أنهم انعطفوا يساراً واتجهوا نحو تل رملي باتجاه المدينة. سارعت للحاق بهم بعد أن تواروا عن ناظري صاعداً التل. عرفت أنهم ماضون لشارع سكني معتم محاطٍ بالكثير من أشجار الصنوبر، اقتربت منهم وتخفيت بين الظلال.

تعالتْ أصواتهم يغنون، بمجرد اقترابي من سفح التل، ينشدون:

- قبل المعركة يا أمي، لا تفارقين تفكيري.

واظبت نعومي على ترديد أغنيتها الأثيرة مراراً. أما كوماجي فكان يسير في المقدمة وخلفه نعومي تترنح وتهز كتفيها، بينما راح البقية يتمايلون كأنهم يجدفون في النهر.

- هيلا هوب هيلا هوب!

- على رسلكم، لا تتدافعوا وإلا ارتطمنا بالجدار. وجاء صوتُ طرق العصا بالجدار بما أضحك نعومي:

- سنرقص ويكي ويكي بالمرة القادمة.

- أه، رقصة المؤخرة.. هيا هزي مؤخرتك نعومي.. غني وهزي!

بدؤوا جميعاً بهز مؤخراتهم ينشدون:

"ويكي ويكي، أخبرتني العذراء السمراء الجميلة".

- سيكي، قالت نعومي ضاحكة، أنت الأفضل في هزِّ مؤخرتك.

- أتدرب على ذلك منذ فترة.

- أين؟

- في صالة يونوبيس، داومتُ لعشرة أيام متتالية في الجناح الدولي حيث يرقص يابانيون هناك.

- يا لك من أبله! عقَّب كوماجي.

- عليكَ أن تذهب أنتَ أيضاً، سيعرفونك من وجهك الساذج هذا أنك من أهل المنطقة.

هامادا الذي لم يكن الشراب قد أثمله كما البقية سأل:

- كم الساعة الآن ماشان؟

- لا أدري، هل يعرف أحدكم كم الوقت الآن؟ قالها ناكامورا وهو يشعل عود ثقاب.

- إنها العاشرة وعشرون دقيقة.

- لا بأس، بابا، يعود عادة حوالي الحادية عشرة والنصف، لنتابع في طريق هيس، أرغب بالمشي معكم.

- هيا بنا، صاح سيكي.

- كيف أبدو بهذه العباءة؟

- تبدين كزعيمة عصابة!

- أنتم أتباعي جميعكم.

- اللصوص الأربعة فوق خشبة مسرح الكابوكي.

- أنا الزعيمة "بنتون كوزو "

و بدأ كوماجي يمثل دور الراوي في فيلم سينمائي:

- أما زعيمة العصابة نعومي كاواي، فقامت بسرقة في جنح الظلام، مرتدية عباءتها السوداء.

- ما هذا الصوت الأجش.. علقت نعومي.

لم يرد وتابع قائلاً:

- تقدمت الزعيمة أفراد عصابتها اللصوص الأربعة متجهة للساحل وتوقفت عند شاطئ "يوي"...

لكنها صفعته وهي تصرخ:

- توقف يا ما شان، توقف!

- يا لصوتي الطبيعي الأجش، كم أنا تعسٍ إذ لم أصبح مطرب اوركسترا في أوساكا.

- آلا تعرف أن ماري بيكفورد، لا يليق بها أن تكون زعيمة عصابة!

- من إذاً؟ بريسكيلا دين؟

- نعم ربما أفضل.

هامادا الذي راح يغني ويرقص من جديد قادته خطواته نحو الشجرة التي اختبأتُ خلفها، فقال فجأة:

- انظروا، إنه السيد كاواي.

خيم صمتٌ ثقيل عليهم جميعاً وحدقوا نحوي عبر الظلام.

- بابا ماذا تفعل عندك، تعال انضم إلينا.

هرعت نعومي نحوي، لتلقي بذراعيها حول عنقي، لينكشف جسدها من دون أي ثياب تحت العباءة.

- أيتها الفاسقة، المومس العاهرة، ماذا تفعلين؟

ضحكت، ففاحت رائحة الساكي من فمها، وكانت المرة الأولى التي أعرف أنها تشرب الكحول.

(16)

مخطط كامل رسمته نعومي لخداعي، أرادت القدوم لكاماكورا، لقضاء وقت ممتع مع كوماجي، يا لها من كذبة وقحة عن الفيلا الخاصة بقريب سيكي في أوجيجاياتسو، بينما في الحقيقة هي فيلا لأوكوبو في هيس لعم كوماجي. أما مساعي الآنسة سوجيزاكي ومدير شركة اورينتال لاستئجار الكوخ فكانت كذبة جديدة. إذ أن كوماجي مارس ضغوطاً لإقناع المستأجر السابق بإخلاء الكوخ كي ننتقل إليه بالاتفاق مع عامل المشتل الذي يعتبر أصحاب فيلا أوكوبو من زبائنه الدائمين. كل هذا بالترتيب مع نعومي.

هذا ما يفسر حرص نعومي على تنظيم كل الرحلة بمفردها. أخبرتني زوجة عامل المشتل أن نعومي جاءت مع كوماجي للمرة الأولى لتفقد الكوخ وتصرفت كأنها فرد من أفراد أسرته، فما كان لديها خيار إلا أن يخرجوا المستأجر السابق، ليسلموا الكوخ لنا.

اعتذرت لزوجة صاحب المشتل:

- آسف لأنني ورطتك بالأمر، لكن أرجوكِ أن تخبريني بكل شيء ولن أذكر اسمك أبداً، لا أريد إيذاء كوماجي، أريد العثور على الحقيقة وحسب.

تغيبت عن العمل بعدها، لأول مرة منذ توظيفي، وضيقت الخناق على نعومي.

- لن تغادري هذا الحجرة.

جمعتُ ملابسها وأحذيتها وحقائبها وأخذتها لبيت زوجة عامل المشتل.

- كانا يلتقيان طوال الوقت، حين أكون بعملي.

- نعم، كان الشاب يحضر، أو هي من تذهب إليه.

- ألا يقيم أحد في فيلا أوكوبو؟

- أصحاب الفيلا ليسوا مقيمين دائمين فيها، يحضرون مرات متباعدة بين فترة وأخرى، أما السيد كوماجي فهو هنا معظم الوقت.

- ماذا عن أصدقاء كوماجي هل يأتون الكوخ معه؟

- يأتون غالباً.

- هل يحضرون برفقته أم بمفردهم لزيارة نعومي؟

- أحياناً معه، وأحياناً يأتي أحدهم بمفرده. الشاب هامادا، أتى بمفرده مرات عديدة.

- هل يصحبونها خارج الكوخ؟

- لا إنهم لا يغادرون عادة.

فكرة أربكتني كثيراً، لو أن هناك علاقة بين كوماجي ونعومي، لماذا عليه أن يصحب أصدقاءه لزيارتها؟ لماذا لم يتعاركوا للحصول عليها؟ رأيتُ الأربعة يلهون معاً، أليس الأمر مثيراً للحيرة؟ وسرعان ما بدأتُ أنفي بذهني أي علاقة بين نعومي وكوماجي.

داومت نعومي على عنادها وإصرارها أن ما من مؤامرة في الأمر، وأنها تفضل تواجد الأصدقاء حولها. حسناً ما تفسير احتيالها بهذا الشكل إذاً؟

- لماذا حبكتِ قصة الفيلا الخاصة بعم سيكي، مالفرق لو قلتِ لي أنها تخص عم كوماجي؟

نكستْ رأسها وعضت على شفتها وحدقت بي طويلاً وقالت:

- أنت لا تثق ب ماشان، ظننت أن الأفضل لو أخبرتك أنها لعم سيكي.

اقشعر جلدي وهي تقول ما شان، فانفجرت بوجهها بعد أن كبحت جماح نفسي طوال الحديث.

- لا تقولي ماشان، إنه كوماجي. وتابعتُ بغضب:

- أصغِ لي، أنتِ تقيمين علاقة مع كوماجي، صحيح؟ قولي الحقيقة!

- لا بالطبع، هل لديك أي دليل على شكوكك، هيا قل!

- لستُ بحاجة لدليل، أنا أعرف كل شيء.

أظهرت نعومي هدوءاً غريب الطابع، وأفرجت عن ابتسامة منزعجة:

- كيف يمكن أن تعرف؟

- المشهد الذي حضرته أمس، هل تقصدين أنكِ عفيفة وبريئة، بعد كل ما بدا منك؟

- هم السبب، جعلوني أشرب كثيراً، وألبسوني على هذا النحو؟ لم أفعل شيئاً مسيئاً كنت أتجول معهم فقط.

- أيتها البريئة!

- نعم بريئة!

- هل تقسمين؟

- أقسم بالطبع.

- ولو أقسمتِ، لن أصدق ما تقولينه بعد الآن.

قاطعت الحديث معها، وقمت بجمع الأوراق والمغلفات والحبر والأقلام وطوابع البريد وسلمتها للسيدة زوجة عامل المشتل، كنت حريصاً ألا تكتب لكوماجي. أما لأضمن عدم خروجها في غيابي فقد تركتُ لها قميص نوم أحمر لترتديه.

غادرتُ في اليوم الثالث لعملي، ولم يغادرنيَ التفكير بإمكانية العثور على دليل. فخطر لي التوجه لبيتنا في أوموري الذي ما وطئناه لشهر مضى. عساي أعثر على رسائل تفضح علاقتها بكوماجي. وصلتُ البيت عند الساعة العاشرة، فتحت البابِ، عبرت البهو وصعدت الدرج لحجرتها، وانطلقت تنهيدة من الداخل. تجمدت مكاني إذ كان هامادا متمدداً فوق فراشها.

امتقع وجه هامادا، وقفز واقفاً محدقاً بوجهي للحظة قبل أن يشيح نظره عني..

- هامادا.. ماذا تفعل هنا؟

غمغم، ثم التزم الصمت منكساً رأسه، كأنه يستجير بالرحمة.

- منذ متى وأنت هنا هامادا.. أجبني؟

أجاب بوضوح هذه المرة، وقد وجد أن لا سبيل من الاعتراف:

- دخلت لتوي.

- الباب موصد، كيف دخلت؟

- من الباب الخلفي.

- لكنه موصد بدوره؟

- كان موصداً، لكني أملك مفتاحه، قالها بصوت خفيض بالكاد سمعته.

- مفتاح؟

- حصلتُ عليه من الآنسة نعومي. أعتقد أنك تعرف، الآن، سبب وجودي هنا!

رفع رأسه وبملامح مرتبكة نظر إليّ، أنا المصعوق بكل ما يجري. ثم قال:

- بإمكاني الآن توقع سبب مجيئك المفاجئ هنا سيد كاواي، أعترف أنني كنتُ أستغفلك طوال الوقت، وأنا مستعد لتلقي العقوبة التي تريدها. صدقني، لطالما وددتُ إخبارك بالحقيقة.

كانت الدموع تسابق كلماته، أصغيتُ له دون أن أنبس ببنت شفة. وددتُ لو أصدقه، لكن أشياء كثيرة لا أفهمها.

- سامحني، سيد كاواي، أرجوك.

- قبل الصفح هامادا، لماذا أعطتك نعومي المفتاح، أوضح لي ماذا تفعل هنا؟

- اليوم، هنا، بيني وبيني نعومي موعد.

- ستقابلك هنا؟

- نعم، ليست المرة الأولى، سبقتها مرات عديدة أيضاً.

بدأت ملامح القصة تتوضح. بعد وصولنا لكاماكورا التقت نعومي بهامادا ثلاث مرات. إذ كانت تخرج بعد رحيلي بقطارين، تصل عند العاشرة صباحاً، لتغادر حوالي الحادية عشرة والنصف. لتصل كاماكورا في غضون الواحدة. وهكذا لن يتوقع أحد من أصحاب المشتل أنها تسافر يومياً إلى أموري لتعود بعد الظهر للكوخ. رتبا موعداً جديداً لهما اليوم، وهذا مايفسر وجود هامادا في هذا الوقت، متوقعاً من وقع أقدامي على الدرج أنني نعومي.

بعد اعتراف هامادا المرعب، أصيب قلبي بحالة خدر تامة، تجمدت الأفكار في رأسي وبقي فمي الفاغر يشي ببلاهة مفرطة. كيف لفتاة بسنواتها التسعة عشرة أن تخدع بمهارة ووقاحة رجلاً مثي بأعوامه الثانية والثلاثين. هل نعومي خطيرة لهذا الحد؟ في الواقع، لا زلت لا أصدق ما أسمع. اشتعل الفضول بي لمعرفة التفاصيل، فرفضتُ الصفح عن هامادا:

- متى بدأت مع نعومي شكل العلاقة هذا؟

- منذ فترة طويلة، قبل أن تعرفني حتى.

- اسرد لي كل شيء بالتفاصيل. متى قابلتها لأول مرة؟ أذكر أنّني رأيتك معها الخريف الماضي حين كنت عائداً من عملي!

- صحيح، عام الآن.

- يومها كانت بداية علاقتكما؟

- لا قبل ذاك بأشهر. في الواقع تعرفتُ عليها عند الآنسة سوجيزاكي آذار العام الفائت، وبعدها بنحو ثلاثة أشهر بدأت العلاقة.

- أين كنتما تلتقيان؟

- هنا في هذا البيت، بيتك. إذ أخبرتني نعومي أن لا دروس لديها في الصباح، وأنني أستطيع الحضور للمكوث معها. ولم تكن في نيتي أن أطور علاقتي بها يومها.

- هل هي من دعتك للبيت؟

- نعم. لم أكن أعلم أي شيء عنك مسبقاً. أوهمتني أنها تقيم مع ابن عمها في أموري. وأن بيتها الأساسي في الريف. إلا أنَّني سرعات ما كشفت كذبتها حين رافقتها لصالة الرقص في الدورادو لأول مرة. ولم يعد بمقدوري القيام بشيء حيال هذه الحقيقة.

- أخبرني، هل كانت خطة الكوخ في كاماكورا من ترتيبك أنت ونعومي؟

- لا أبداً، إنه كوماجي، هو من اقترح الفكرة على الآنسة نعومي. لست المخدوع الوحيد في المسالة سيد كاواي. أنا مخدوع مثلك تماماً.

- إذا هو كوماجي!

- نعم، بالضبط. كوماجي الوحيد الذي يملي عليها ما يشاء. لم أعتقد للحظة أنها قد تتورط بعلاقة معه، وهي على علاقة بي، أعتقد أنها أحبته. حين واجهتها أخبرتني ببراءة أنها تفضل اللهو مع الأصدقاء لا أكثر ولا أقل.. وصدقتها.

- نعم هذا أسلوبها، بررت لي بذات الفكرة. متى اكتشفت علاقتها بكوماجي؟

- تذكر الليلة المطيرة التي قضيناها معاً هنا في بيتك؟ أدركت من صفاقة تصرفاتها معه أن ثمة ما يحدث بينهما. غيرتي المفرطة دفعتني لأتفهم مشاعرك أكثر وأكثر.

- هو تخمين فحسب!

- لا، تأكدتُ من شكوكي فجراً. كنتَ لا تزال غافياً، حين تراءى لناظري تبادلهما للقبلات.

- هل عرفت نعومي أنك كشفتها؟

- نعم، واجهتها، وهددتها إن لم تقطع علاقتها به، فلن نتزوج.

- تتزوجان؟؟

- نعم، كنت صادقاً بمشاعري نحوها، وكنتُ أعتزم مصارحتك بصدق مشاعرنا. كان اقتراح نعومي بأنك شخص متفهم، وإذا ما شرحنا معاناتنا، ستطلق حريتها. ولم أكن لولاها على يقين من أنك تزوجتها لتعليمها والاهتمام بها فقط، وأنك لن تكون سعيداً إذا ما رافقتك لبقية العمر لفارق السن بينكما.

- نعومي.. قالت هذا؟

- نعم، لطالما وعدتني أنها ستخبرك الحقيقة، وأن الزواج سيتم بموافقتك. كما أنها قالت أنها قطعت علاقتها بكوماجي. أغرقتني بكذباتها. فنعومي لم تقطع علاقتها بكوماجي ولم تعتزم الزواج بي أبداً.

- ربما وعدت كوماجي بذات الوعود؟

- أعتقدها فعلت. نعومي متقلبة المزاج، أما كوماجي فليس محل ثقة وهو مخادع أكثر منها.

غادرني أي حقد تجاه هامادا، بما أثار استغرابي. بعد سماعي لروايته شعرت بأن مراراتنا مشتركة. أما كوماجي فقد كرهته أكثر، مدركاً أنه عدونا المشترك.

- لا أود متابعة حديثنا هنا، لنذهب لمكان نتناول فيه الغداء، لا يزال لدي المزيد من الاستفسارات.

كان المطعم الغربي غير مناسب لأحاديث خاصة كهذه، فاخترت دعوته لماتسواسا على ضفاف أموري.

- هل أنت إجازة اليوم؟ قالها بلهجة تخلو من أي توتر، كمن أفرغ حمولة ثقيلة.

- نعم، أمس أيضاً.. رغم تزايد العمل هذه الأيام إلا أن تركيزي لا ينصّب عليه أبداً.

- هل تعرف الآنسة نعومي أنك قادم هنا اليوم؟

- أخبرتها أنني ذاهب للعمل اليوم، ربما ساورتها الشكوك، لكن ليس لدرجة اعتقادها أنني سأعرج هنا. حتى أن قدومي كان عفوياً، بهدف الوصول لرسائل غرامية أو أي شيء يدينها.

- آه، ظننتك قادماً لتقبض علي. علينا أن نتوقع مجيء نعومي في هذه الحالة!

- لن تأتي، سلبتُ منها ثيابها وأشياءها، لن تقدر أن تتحرك خطوة وهي ترتدي ما ترتدي.

- ماذا ترتدي؟

- أتعرف ثوب النوم القرنفلي؟

- نعم.

- إنه ما ترتدي، إنها مثل كلبة ضارية مسجونة في الحظيرة.

- لكن إن خرجت، ماذا يمكن أن يحدث؟

- قل لي، متى رتبتما لموعدكما اليوم؟

- أول أمس، يوم ضبطتنا كلنا معاً، كنتُ مصاباً بالاكتئاب، فاقترحت الترويح عني. أخطأت حين قبلت، كان يتوجب علي قطع علاقتي بها. أو أن أواجه كوماجي. لكني جبنت. لا أدري، تورطت بالانجراف إليها، ومعها حيث تلقي بي. وهي حماقة أعترف بها.

كان يتحدث بلساني وعني، لمست فيه جاذبية واضحة حين جلس قبالتي في ماتسواسا.

(17)

- كنتَ أميناً معي هامادا، كأسك، وناولته كأس ساكي.

- أتسامحني الآن سيد كاواي؟

- لا أريد التفكير بالأمر، نعومي التي احتالت عليك، ما كنت لتعرف طبيعة علاقتي بها قبلاً، ليس ذنبك بكل الأحوال.

- أشكرك، ما قلته خفف عني كثيراً.

ظل هامادا منكساً عينيه، دون أن يتناول الساكي، وكان يتحدث بجمل قصيرة مترددة. كان لا يزال متوتراً.

- هلا سألتك إن كان بينك وبين الآنسة نعومي أي صلة قرابة؟

- أبداً، كانت مقيمة في طوكيو وعائلتها، أما انا فقد ولدت في أوتسونوميا. لمستُ فيها شغفاً للتعلم، لكن ظروف أسرتها حالت دون تعليمها. أسفتُ لحالها، ونقلتها لمسؤوليتي مذ كانت في الخامسة عشرة.

- هل أنتما متزوجان الآن؟

- نعم، بموافقة العائلتين، وبإجراءت رسمية كاملة. لصغر سنها، قررت آلا أعاملها كزوجة جسدياً أو لفظياً. فأقمنا كصديقين معاً.

- فهمت، وهذا ما يفسر إيحاءها للجمع أنها عزباء، احتالت علينا جميعا بهذا.

- ليست الملامة على نعومي وحدها. أتحمل جزءا من المسؤولية.

كنت أمتعض من الألقاب التقليدية كزوج وزوجة، ولم أكن أبالي بالطقوس الاجتماعية حول هذا الشأن، وقد تلقنت درساً الآن.

- بدوري لا أخلي مسؤوليتي في الخطأ. لكن يا سيد كاواي كوماجي شخص سيء، يشابهه في هذا سيكي وناكامورا، أما الآنسة نعومي ليست بذات السوء، هم من جرفوها. أرجوك سيد كاواي كن حذراً.

كانت عبارات هامادا مشوبة بعاطفة عميقة التي تسربت من مقلتيه. إنه يهيم بها. إنَّني على ثقة لو تخليتُ عن نعومي لكان تزوجها. حماسٌ قوي يشحنُ هذا الشاب بما حرك مشاعري بالود نحوه، مبرراً أفعاله.

- سأسوي الامر، بناء على نصيحتك، خلال الأيام الثلاثة القادمة. إن قطعت نعومي عن علاقتها بكوماجي، سأكمل الحياة معها، أما إن رفضت، فلن أرغب بالبقاء ولو يوماً واحداً.

- أرجوك ـ مقاطعاً ـ لا تتخلى عنها إنها بريئة، ستضيع إذا ما تركتها.

- أشكر دعمك هامادا، لقد عاهدت نفسي بتحمل مسؤولية هذه الفتاة منذ البداية، لا أريد أن تركها في منتصف الطريق، ولو سخر الناس مني. المشكلة كامنة في عنادها، لا أعرف كيف أطوعها لتقطع علاقتها برفاق السوء هؤلاء!

- إنها عنيدة حقاً، وتخلق من الأسباب التافهة مشاكلها، أرجوك عالج الموقف بمهارة ربما علي ألا أقول ما قلتُ.. لكن...

قاطعته بشكري العميق. فكرتُ لو أن أعمارنا متقاربة أو أن مراكزنا الاجتماعية متوازية لشددت على يديه أكثر، أو ربما بكى كل منا على ذراع الآخر.

- استمر في زيارتنا هامادا – دعوته ونحن نفترق – أنت على الرحب دائماً. نكس رأسه خافياً وجهه:

- لا أعتقد أنني قد أفعل في وقت قريب. أشكرك.

- لماذا؟

- لحين تمكني من إخراج نعومي من تفكيري.

أخفى دموعه بقبعة اعتمرها، وسار باتجاه شيناجوا، مختاراً المسير بدلاً من الترام العابر أمام مطعم ماتسواسا.

تابعت طريقي للمكتب. لكنَّني لم أتمكن من القيام بأية مهمة. مالذي تفعله نعومي الآن؟ لن تقدر على الإتيان بحركة بهذا الثوب الشفيف. لكن ماذا لو فعلت؟ مفاجآتها لا زالت تقفز بوجهي واحدة تلو الأخرى. جال بذهني الخداع الذي تعرضت له، راحت الأفكار تشتعل بقدرات نعومي الهائلة للقيام بما تريد. أما الهواجس المرضية فما انفكت تهاجمني تجبرني على الاندفاع عائداً إلى كاماكورا بإذن من العمل.

كانت زوجة المشتل أول من صادفت:

- مرحباً، هل هي بالداخل؟

- نعم.

- هل زارها أحد؟

- لا لم يأت أحد اليوم.

- كيف حالها؟ مشيراً بذقني للكوخ؟

- الحجرة التي تكون فيها نعومي عادة هادئة مظلمة ومغلقة، كما لو أن لا أحد هناك.

أمضت يوماً كاملاً وحيدة في البيت. ياله من سكون مزعج؟ كيف سترمقني الآن يا ترى؟ تساءلتُ والمفتاح يدور بقفل الباب. كانت الساعة قد تجاوزت السادسة مساء، وجدتها مستلقية شبه عارية في ركن مظلم من الحجرة، لا بد أنها نائمة. الناموس يدور حولها، لففتُ وشاحي حول خصرها فما غطى سوى بطنها. أثارتني ذراعاها وانسكاب رجليها البضتين من الثوب القرنفلي. أضأت مصباح الغرفة، غيرتُ ثيابي بلباس ياباني وأغلقتُ الخزانة محدثاً ضجة متعمدة، لكنها لم تتحرك مواصلة نومها، ولم اعرف إن أحست بوجودي أم لا.

انتظرت امام مكتبي أكثر من ثلاثين دقيقة حتى نفد صبري، تظاهرت بكتابة شيء ما صارخا بها:

- هيه، أنت ألن تستيقظي؟ حل المساء.

قالت بعد صياحي لمرات ثلاث، بصوتها النائم:

- اممم اممم

- ألن تستيقظي؟

- اممممم

نهضتُ وهززتُ خصرها بقدمي بعنف:

- هيا.

مطت يديها دافعة قبضتيها الصغيرتين الورديتين للأمام، نهضت ببطء كاتمة تثاؤبها.رمقتني بنظرة سريعة، بعينين حمراوين كالدم، لا أدري هل النوم أم البكاء سبباً. أشاحت وجهها وبدأت تهرش أعلى قدميها وساقيها وظهرها حيثما قرصها الناموس، بينما تهدل شعرها الطويل فوق كتفيها.

سارعت بإحضار أغراضها ورميتها أمامها، فارتدت ثيابها ببرود. أما العشاء فقد تناولناه بصمت تام.

مواجهة طويلة صامتة مملة، أعتقد أن هامادا محق ؛ الفتاة عنيدة وأسلوب التحقيق القضائي لا يجدي نفعاً معها، أما إن أثرت غضبها ستجادل وتقاوم وتثير الصخب والمشاكل. كان علي التفكير بأسلوب جيد بحيث لا أظهر أمامها بشخصية المتساهل، بحيث أحصل منها على اعتذار لائق.

فكرتُ إن حاصرتها بأسئلة مباشرة من نوع: "تورطتِ مع كوماجي! تورطت كذلك مع هامادا "ستقاوم وستنكر حينها سأفقد صوابي وسينتهي كل شيء. لا لا، ليس مجدياً. أظن من الأفضل ألا أطلب اعترافاً، علي مصارحتها بما عرفت حينها لا فرصة لها بالإنكار، اتخذت قراراي أخيراً وقلت لها:

- مررت للبيت في أموري في الساعة العاشرة فقابلت هامادا في حجرتك.

أذهلتها المفاجأة، همهمت، وتحاشت تحديقي بها فتابعت:

- اصطحبته بعدها لتناول الغداء في ماتسواسا.

لم تجب بحرف. تحدثت بهدوء وبجدية تامة عما حدث ظهيرة ذاك اليوم مع هامادا مراقباً ملامح وجهها. جلست جامدة مطرقة، بوجه شاحب تماماً.

- الآن وبعد ما اعترف به هامادا، ليس هناك من داع لأصغي لما ستقولين. أعرف الآن كل ما جرى. إن كنت تشعرين بأي ذنب، بإمكانك التخلي عن عنادك والتصريح بأنك مخطئة.

لم تجب، جل ما أخشاه أن يتحول النقاش لاستجواب، قلت برقة:

- أمنحك فرصة نعومي، إن اعترفتِ أنك مخطئة، لن أطلب منك الركوع والاعتذار، سأحرص على قسم منك ألا تكرري هذه الأفعال، أتفهمين، هل تعرفين بأخطائك الآن؟

أومأت بالموافقة.

- هل فهمت ما أريد؟ هل ستتابعين لهوك مع كوماجي والآخرين؟

- لا.

- متأكدة؟ هل تعدين؟

- نعم

كانت الـ"نعم" التي حفظت ماء وجهينا كلانا.

(18)

تحدثنا في الفراش كما اعتدنا كل ليلة، كأن شيئاً لم يكن. لكن فكرة أن نعومي ليست بعفيفة، جثمت كظلال قاتمة فوق قلبي. قلل ما حدث من قيمتها، نعومي الكنز الذي رعيت وربيت. المرأة التي سعيت لتصير سيدة راقية رائعة. الفاكهة التي زرعتها بنفسي، ولم أدخر جهداً لتنضج. في غفلة مني مزق غريب قشرتها وقضمها بابتذال. هاهي الآن مدنسة جواري، أي اعتذار يكفي لمحو من ذاكرتي ما حدث؟ كيف يمكن غسل آثار العار المطبوعة على بشرتها المقدسة. تنامى أسفي وحزني، لا يمكنني كرهها، لكن ما حدث أدمى روحي.

بدأتُ النحيب وكأن الكون انغلق علي:

- سامحني جوجي! قالتها بنعومة بالغة. أومأتُ والدموع تغرق وجهي، كدتُ أقول "سامحتك" لكن ما فعلت نعومي أخرسني.

انتهى الصيف في كاماكورا نهاية سيئة. عدنا لأموري وكانت العلاقة بيننا تنحدر شيئاً فشيئاً. رغم نجاحنا الظاهري بتسوية خلافاتنا، إلا أنني لم أتمكن من إخفاء مشاعر قلة الثقة بها. بدأت أتتبعها حين تخرج لدروس اللغة والموسيقى، كما كنت أقرأ الرسائل التي تردها. بتُّ أشعر كأنني عميل سري، بينما تتابع نعومي سخريتها من إصراري على تتبعها.

توقفتُ عن معاملتها كطفلة، هززتها ذات ليلة محاولاً إيقاظها:

- أنتِ، أتتظاهرين بالنوم. أتكرهينني لهذا الحد؟

- لا أتظاهر بالنوم، أحاول أن أغفو فحسب.

- افتحي عينيك حين أحدثك.

فتحت عينيها وحدقت بي على مضض، فبدت ملامحها أشد قسوة.

- قولي إن كنتِ تكرهينني.

- لماذا هذا السؤال الآن؟

- سؤال أعرف جوابه، نحن نتبادل الكراهية، أي زوج وزوجة نحن؟

- أنت تكرهني أما أنا فلا.

- كراهيتك واضحة من تصرفاتك، أشك....

قاطعتني بضحكة ساخرة:

- أنت تراقب تصرفاتي كلها، هل هناك ما يؤكد شكوكك؟ إن وجدت أي دليل هاته الآن.

- ليس لدي دليل.. ولكن!

- لا دليل، لمَ تشك بي إذاً؟ كيف تتوقع مني قبول معيشتنا كزوج وزوجة، والثقة بيننا غائبة وحريتي مهدورة وحقوقي غائبة؟ أعرف أنك تراقبني وتقرأ رسائلي وتتبعني كمخبر.

- ربما أنا مخطئ في هذا، لكنَّني أعاني من القلق نتيجة ماحدث، أرجوك تفهمي الأمر.

- ماذا تريد مني أن أفعل؟ أما اتفقنا ألا نعيد الحديث فيما مضى؟

- افتحي قلبك لي، أحبيني كي يهدأ قلبي.

- لا يمكنني أن أحبك والثقة بيننا معطلة.

- سأثق بك، سأفعل.

آه كم أشعر بوضاعة الرجل داخلي. ماذا دهاني؟ بالرغم كل أفعالها نهاراً، أجدني مستسلماً لها ليلاً. إنها تروض الشراسة داخلي، أنا الذي فقدت الثقة بها تماماً. لكن الحيوان داخلي يقودني للانصياع لها والاستسلام لجمالها.

نعومي التي أفقدت ذاتها قدسية المعبودة، وأزالت من فكري كنز جمالها الثمين. لم تعد بالنسبة لي طفلة مدللة، وأمست العاهرة التي لا تجمعني بها براءة العاشق، أو حنان الزوج.

لماذا تشتعل المشاعر داخلي الآن؟ لماذا أنجرف بشغف لامرأة خائنة مدنسة؟ هل بتّ أسير جسدها البض وإغراءات مفاتنها الجذابة؟ أعرف أن هذا يقلل من شأني، ويحط من قدرها بذات الوقت.لا بد أن من يحنو لعاهرة دون أي شعور بالعار، فقد كبرياءه تماماً، وتخلى عن استقامته وصدق مشاعره كرجل.

كانت نعومي واعية بجاذبيتها، عارفة بجسدها الذي لا يقاومه الرجال. ولأنها مدركة نقطة ضعفي، أضحت تتصرف بشراسة أثناء النهار، كمن تبيع جسدها ليلاً لرجل لا تكن له المشاعر. سيئة الطباع، غير مبالية، فظة. لا تجيب على أسئلتي بمعظم الأحيان، أو ترد بنعم أو لا. كانت ملامحها تضمر الكره لي، تتحداني بصمت: "عليك أن تقبل ببرودة تعاملي معك، ها أنت تحصل مني على ما تريد، وهذا يكفيك" أما عينيها فتخبراني بكل لحظة أنني رجل مثير للاشمئزاز، ساقط، تافه، كلب عليها العيش مرغمة معه.

لم أتحمل المزيد من هذه الأيام الجامدة، ولا يمكنني تحمل هذا العداء الخفي المكبوت. ناديتها برقة وعطف على غير العادة.

- هيا نعومي، تخلي عن عنادك هذا، لم أعد أطيق حياتنا الباردة هذه.

- ما الذي تريده؟

- لنعد زوجين حقيقيين، لنحاول استعادة بهجتنا السابقة.

- لن تتغير مشاعرنا بسهولة، حتى ولو حاولنا.

- ربما أنت محقة، لكن لدي فكرة لاسترجاع السعادة لهذا البيت.

- ماهي؟

- طفل. ألا ترغبين بتجربة الأمومة؟ لو أنجبنا طفلاً ستتغير الأيام وتغمرنا سعادة من نوع جديد، أرجوك وافقي نعومي.

- أبداً ؛ لا أريد. ألم تخبرني منذ البداية أنك لا تريد أطفالاً، كي أحافظ على رشاقتي للأبد؟

- قلت ذلك قبلاً، لكن الآن...

- أترى.. أنت لم تعد تهتم لجسدي كما كنت تفعل سابقاً، ولا يعنيك إذا ما أصبحت بدينة وقبيحة، أنت من لا يحبني!

- لا تسيئي فهمي، نعومي، أحببتك بداية كصديقة مقربة، أما الآن فأحبك كزوجة.

- وهل ستعيد الطريقة هذه "سعادتنا السابقة"؟

- ربما لا تعود، لكن البهجة الحقيقية...

- لا لا، هزت رأسها بعنف:

سمعت ما يكفي، لا أرغب إلا بسعادة يحققها لي ما وعدتني، حين أتيت لأقيم معك. لا شيء آخر.

(19)

لا بد أن الإقامة في بيت القصص الخيالية في أموري غير مناسب لزوجين حقيقين. رغبت بداية بحياة بسيطة فيه، حياة غربية الطراز. لكن وضع البيت جعل منا كلانا زوجين أنانيين، مهملين، غير مباليين بتفاصيل الحياة الزوجية. فكرتُ بما أن نعومي لا تريد الإنجاب، لم لا أقودها لمنزل زوجية ياباني، رزين ورحب؟ أبدل الأثاث الغربي بأثاث تقليدي مريح. أبتاع لها بيانو، فتأتي السيدة سوجيزاكي لتعلمها الدروس بالبيت، كما أدعو الآنسة هاريسون لاستكمال دروس اللغة. وهكذا لن تضطر للخروج من البيت. كما أنني سأجلب خادمة وطباخة تقومان بكل شيء، وتراقبانها طيلة الوقت. لكن كل هذا يحتاج مبلغاً أكبر من قدرتي. سأطلب من أسرتي المال دون أن أخبر نعومي. ثم باشرت بتنفيذ خطتي وأمضيت وقتاً طويلاً في البحث عن البيت والأثاث.

لم تتوان أمي عن إرسال مبلغ ألف وخمسمائة ين، وكتبت لي رداً على طلبي للخادمة: "لدينا خادمة مناسبة، ابنة سنتارو، تذكره؟ بعمر الخامسة عشرة. أما الطباخة فأبحث عن واحدة جيدة، أرسلها حالما تنتقل لبيتك الجديد".

أدركت نعومي أنني أخطط لحدث جديد، لكن ترقبها الصامت كان مثيراً للقلق. قالت لي بعد يومين من رسالة أمي:

- أريد شراء ثياب غربية جوجي، هلا ابتعت لي بعضاً منها؟

كانت تتحدث بلهجة ساخرة ممزوجة ببعض الود الغريب.

- ملابس غربية؟

لا بد أنها عرفت بوصول المال، وتختبرني!

- ثيابٌ يابانية، لا فرق، المهم أريد شيئاً للشتاء.

- لا غربية ولا يابانية، لا أريد أن أشتري لك أية ثياب.

- لم لا؟

- لديك الكثير من الملابس!

- لكني مللت منها، أحتاج ثياباً جديدة.

- لا تحلمي برفاهية من هذا النوع مرة أخرى.

- حقاً! وماذا ستفعل بكل هذا المال؟

هاهي وصلت لمرادها فأفضت به، فادعيت جهلي بما تقول:

- أي مال؟

- المال المذكور في الرسالة المخبئة في المكتبة، أنت تقرأ رسائلي، ومن حقي أن أفعل الشيء ذاته معك.

ظننتُ أنها خمَّنتْ أن المغلف المسجل يحوي مالاً. لكني مخطئ، لا بد أنها فتحت المغلف لإخماد ريبتها، وعرفت بحجم المبلغ، وتفاصيل خطتي بالانتقال لبيت جديد.

- حسنٌ، المال يكفي لشراء كومينو جديد. أتذكر وعدك لي؛ أتحمل أي ضيق مالي لتعيشين برفاهية، أنسيت ما قلته؟ تغيرت كثيراً جوجي.

- لا زلت أحبك، لكن الحب اتخذ شكلاً جديداً الآن.

- لم لم تخبرني بخطة النقل التي تخفيها، هل أحتاج أمراً رسمياً لأعلم بالأمر؟

- كنت سأخبرك حين أعثر على البيت المناسب. أنا لم أتغير نعومي، أسعى لتأمين رفاهية تليق بسيدة جميلة مثلك، في بيت جيد مناسب، ليس بالثياب الفاخرة وحسب.

- حقاً.. شكراً جوجي.

- هلا خرجتِ معي نبحث معاً؟ أي مكان أكثر رحابة من هذا البيت قد يعجبك.

- أريده غربي الطراز، لا أطيق المنازل اليابانية.

و تابعت:

- أما بالنسبة للخادمة فاعف والدتك من هذه المهمة، سأطلب من أهلي أن يرسلوا لي واحدة من أساكوسا، لن أقبل بخادمة ريفية بالتأكيد.

لم تتحسن العلاقة بيننا في الأسابيع التالية، تكثفت سحب المشاكسات واحتقنت الأمور حتى تفجرت أخيراً في أوائل تشرين الثاني، بعد مرور شهرين على عودتنا من كاماكورا، وقعت يدي على دليل يخبر بعلاقة لا تزال تربط نعومي بكوماجي!

لا داعٍ لسرد أية تفاصيل أودتْ لاكتشافي. فبالرغم من انشغالي بالبحث عن بيت ملائم، إلا أنني ما برحت أتقصى حركة نعومي ومراقبتها، حتى كشفت موعدها السري الجريء مع كوماجي في "دايبريك بافيليون" بالقرب من بيتنا في أموري. زينتها المبالغة في ذاك الصباح أثارت شكوكي، ادعيت أنني خارج للعمل، واختبأت خلف

كيس الفحم عند الباب الخلفي. حين تأكدت من ذهابي خرجت بأنافة مفرطة واتجهتْ عكس اتجاه المحطة. صبرتُ حتى غادرت لمسافة عدة أمتار، عدلتُ ثيابي بمعطف وقبعة وخفين من الخشب، لأبدو بهيئة طالب وتبعتها بسرعة.

دخلتْ نعومي دايبريك وجاء كوماجي بعدها بدقائق، قضيت الوقت متسكعاً بالقرب من الخان لأكثر من ساعة ونصف الساعة منتظراً حتى خروج نعومي حوالي الحادية عشرة لتترك كوماجي داخلاً. لتسارع بعدها الخطى نحو المنزل، دون أن تلتفت يمنة أو يسرة. تبعتها على الفور ودخلت إثرها بأقل من خمس دقائق.

حملقت بي بشحوب حين اندفعت للداخل، كانت ملابسي التي خلعتها قبل مغادرتي عند قدميها. لا بد أنها فهمت أنني كنت أتبعها فتجمدت بذهول تام.

- أخرجي. صحت بصوتٍ عالٍ.

لم ترد بحرف، واجهتني بقامتها كندٍّ يتهيأ للنزال. لماذا يصبح وجه المرأة أشد جاذبية حين يعبق بكراهية رجل؟ زادت كراهية كارمن لدون جوزيه من جمالها بما دفعه بقوة لقتلها، هذا بالضبط ما يهجس بي اللحظة. أضحت نعومي بملامح وجهها المتجمدة وعينيها المحدقتين وشفتيها المزمومتين الشاحبتين، قامة من الشر، بدت بنظرة التحدي تلك.. كالعاهرة.

- اخرجي!

الكراهية، الخوف، القلق، فتنتها اجتمعت كلها بقبضة كفي تدفعها نحو الباب..

- هيا اخرجي!

تغيرت ملامحها فجأة، جثت على ركبتيها وتطلعت لوجهي، بصوت رقيق وعينين غارقتين بالدموع توسلت:

- سامحني جوجي.. أرجوك، أخطأت، إغفر لي، إغفر لي..!

توسلها الذي لم أكن أتوقعه، زاد غضبي ورحت أدفعها للخارج:

- هيا لم لا تصغين، أخرجي من هنا!

تبدل وجهها فجأة، نهضت وقالت بصوت طبيعي، وكأنها لم تتوسل قبل قليل:

- سأرحل.

- جيد، اخرجي الآن.

- سأفعل، عليّ جمع ثيابي، هل أستطيع؟

- لا، أرسلها لك لاحقاً، أخرجي الآن.

- أحتاج بعضها، علي اصطحابها معي.

- افعلي لكن بسرعة.

"سأخرج فوراً" هل هو تهديد؟ كان علي أن أكون حاداً وحاسماً معها. صعدتْ الدرج وجمعت سلالاً وصرراً تزيد عن حملها، طلبت الريشكا ووضعت أغراضها فيها وقالت بكل بساطة قبل رحيلها:

- الوداع، أشكرك على ما قدمته لي.

(20)

إنها الثانية عشرة وست وثلاثين دقيقة، زمن قصير جداً صاغ الحدث الأخير. ساعة وست وثلاثين دقيقة عملتْ على نهاية كل شي، منذ لحظة كانت هنا، لكن نعومي مضت الآن.

ينظر الناس لساعاتهم غريزياً حين تقع واقعة مؤلمة من فقد عزيز أو كارثة ما. هاهي ساعتي تشير إلى الثانية عشرة وست وثلاثين دقيقة، بيوم من أيام تشرين الثاني من خريف أحد الأعوام، معلنة نهاية علاقتنا.

- يا للراحة!

شعور هائل من التحرر والانتعاش بعد شهور الاستنزاف بعدائنا المكبوت وإجهادي المعنوي والنفسي.

نعومي.. إنها نبيذَ لياليّ القوي، أكثرتُ من كؤوسه، وأسرفت في احتسائه حتى تغلغل الثمل بمفاصل جسدي جميعها، أرداني مجهداً كسولاً مصاباً بثقلٍ في الرأس، بمغص في المعدة وضعف في الذاكرة. ها أنا الآن لا مبالٍ تماماً كأحد المحاربين القدماء. لا تنفك الرؤى تطوف حولي حاملة نعومي. لكن ماذا يحدث؟ لا شيء سوى رائحة عرقها وزيت شعرها يغزوان أنفي فيثيران بي الغثيان والرغبة بالتجشؤ! مضت الآن.. يا للسماء الممطرة حين تصفو!

ساعة من الحرية حلقتْ بي، يا لوجه الكراهية الذي تحمل. وجه بغيض لعاهرة، لا يكفي قتلها لنسيانه! يا لتلك العينين الوقحتين، والملامح الشريرة. أية جاذبية تحمل نعومي حين تغضب، أي جمال

أخاذ. آه يا إلهي! لماذا لم أجثُ حين هزني وجهها الشيطاني وسط الشجار؟ كيف استطعت دفع تلك الأنوثة الجامحة خارج حياتي؟ لطالما كنتُ متردداً وجباناً، مالذي جعلني فجأة بهذه القسوة والتهور والشجاعة، يا لي من أبله!

اشتعلت الأفكار برأسي من جديد، زاد الصداع والتوتر. أين يمكن أن أجد وجهاً كوجهها؟ يا لحماقتي، أي شجار يمكن أن يدفع رجلاً عاشقاً للتخلي عن آلهته؟

ما تفسير هذا التناقض الذي يسيطر علي! أألعن نفسي لتسرعي! منذ قليل كانت نعومي الكريهة عبئاً، كيف لقلبي أن يشتاق لها؟ آه إنه الحب! نهضتُ أجول المكان بخطواتي. استحضرت كل ما يمكن أن يسكّن جروح الحب داخلي، لم أنجح. تطفو فتنتها في فكري، أحداث الأعوام الخمسة، صوتها، حديثها، نضوجها، جنونها؟ جسدها ذو الخمسة عشرة سنة، أغسله في الحمام بيدي أو أحمله فوق ظهري أدور به كحصان. كل مشهد يحفر في قلبي شجونه. حنين شعرت إزاءه بالحماقة، لكن، سأعيد كل لحظة معها كما فعلتُ حين تعود، سأجثو وأزحف وأدور بها في الحجرات كلها. وما كان مني، وبخجل أكتب هذا، إلا أن جثوت على أطرافي الأربعة ورحت أتجول بين الحجرات مكوماً ملابسها القديمة فوق ظهري.

اتجهتُ بجنون نحو مذكراتي القديمة المعنونة بـ"نعومي تكبر"، يوميات دونت فيها كل تفصيل يخص نعومي وانتقالها من مرحلة الفتاة الصغيرة للمراهقة، أرفقتها بصور فوتوغرافية لها بأوضاع مختلفة. سحبتُ الكتاب المهمل المغبر من المكتبة ورحت أقلب صفحاته. صور التقطتها وحمضتها بنفسي، كيف لغيري أن يقوم بهذا؟ من

الواضح أنني لم أمنحها وقتاً كافياً لتجف، فانتشرت فوقها البقع الصغيرة فبدت صوراً قديمة، أشعلت بي المزيد من الحنين لسنوات خمسٍ، عشر مضت، ربما عشرين، صورٌ سرقتني لطفولتي السالفة.

صورُ نعومي بملابسها الأثيرة كلها، الغريبة، المبهجة، غير المحتشمة، الكوميدية! بحلة من المخمل، بنسيج قطني يلف جسدها، أو بكومينو الحرير اللامع يحزمه نطاق رفيع مع شريطة الرقبة. صورٌ تقلد فيها حركات ممثلات السينما، ابتسامة ماري بيكفورد، ملامح كلوريا سوانسون، امتعاض بولا نيجري، تكلف بيبي دانيل. صورٌ تنوعت بتعابير مختلفة تظهر براعة ومهارة وحساسية نعومي في الأداء.

امرأة غير عادية غادرتني، أنا من تركتها بكل بساطة تفعل! يا للاضطراب الذي غزاني وأنا أقلِّب الصور! صورٌ قريبة أكثر. أنفها، عيناها، شفتاها، إصبعها، كوعها، كتفها، ظهرها، ساقها، رسغها، كاحلها، ركبتها، حتى أخمص قدمها.. صورتُ كل تفصيل من جسدها كما لو كانت تمثالاً يونانياً قديماً أو أنه نصب لبوذا! ياللامتنان! كيف خطر لي تصوير كل تلك التفاصيل؟ لا بد أنه شعور خفي دفعني لالتقاط هذه اللحظات، لتمسي ذكراي الحزينة.

اشتدت برودة الجو، واقترب النهار من نهايته، ولما ينتهِ اشتياقي لنعومي. أمضيت النهار منهاراً بلا طعام أو تدفئة. حتى أن أصابعي عجزت عن إضاءة المصابيح. تعثرتُ مراتٍ في الظلام قبل وصولي للطابق الثاني، الذي سرعان ما هبطتُ منه بتعثر أكبر. "يالي من أبله"، دفنت وجهي بجدار البهو، صحت "نعومي، نعومي" متهالكاً نحو الأرض منكباً على وجهي.

عليّ العثور على طريقة لإعادتها. سأذعن لما تمليه من شروط وأوامر! أين هي يا ترى؟ لا بد أنها أمضت خمس أو ست ساعات للوصول لبيت أهلها في أساكوسا. هل أخبرتهم الحقيقة؟ أم أنها لفقت رواية تخدع بها الجميع؟ لطالما كرهتْ انحدارها من عائلة متواضعة كعائلتها. لم تزرهم ولو لمرة واحدة بعد انتقالها، أفكر بالذي ستفعله عائلتها غير المتماسكة إزاء ما حدث مع ابنتهم؟ ربما سيطلب منها أخوتها الاعتذار، أما هي سترفض بعناد، وقد تمازجهم ببعض العبارات الإنجليزية، مستعرضة ثيابها الراقية وكأنها أميرة تتجول في حي فقير. لكن مهما كانت الحجج التي ستقولها، لا بد أن أحد أفراد أسرتها سيأتي هنا لتقصي الأمر. ربما لا يفعل أيضاً. تخلّوا عنها وعن تحمل مسؤوليتها حين منحوها لي في الخامسة عشرة من عمرها. أخبرتها أن ترسل أحداً لأخذ أغراضها، لكن لم يأتِ أحد لطلب ما تبقى من أشيائها الثمينة. لا بأس، لن تتحمل المعيشة في ذاك البيت القذر في سنزوكو، وقد تمضي الوقت تتباهى بأناقتها أمام جيرانها، ستحتاج العودة لجلب ثيابها الباقية، لن تصبر على ما اصطحبته معها طويلاً.

لم يأتِ أحد. أضأتُ الأنوار خشية أن يعتقد القادم أن لا أحد في المنزل. وضعتُ كرسياً قرب الباب داخلاً أترقب وقع الأقدام في الطريق. مرَّت الساعات، الثامنة، التاسعة، العاشرة، الحادية عشرة، انقضى الليل ولم يأتِ أحد.

بدأ التشاؤم يغتالني، لماذا لم ترسل أحداً حتى الآن؟ ألأنها لا تولي للمشكلة أية أهمية؟ أتعتقد أن التسوية قائمة بيننا اعتماداً على حبي الكبير؟ تعودتْ نعومي على الحياة المرفهة، من جهة لن تطيق السكنى بين أولئك الناس، ومن جهة ثانية ليس ثمة رجل آخر بوسعها المضي إليه. مَن غيري يدللها ويمنحها ما تطلب! إنها مخادعة،

ستحيك خطة بحيث أمسي من يطلب صفحها. أو ربما ترسل إخوتها غداً للوساطة بيننا. على الأغلب أن عائلتها مشغولة بالعمل أثناء الليل، وهذا ترك في فكري أملاً أن الأمر تأخر لتأجيله للغد. لن أعاند أبداً، سأمضي إليها إن لم ترسل أحداً. لا يعنيني ما يفكر الناس بي، إن سخر أهلها مني، أو إن شعرتْ بضعفي إزاءها. سأذهب غداً، سأرجو العفو منها، سأتوسل، سأطلب من أهلها التدخل لأجلي، وسأمنحها شعور الانتصار وهي تمسك يدي عائدة للبيت.

انتظرتُ حتى السادسة من مساء اليوم التالي، انهار صمودي تماماً. هرعتُ إلى أساكوسا، كان القلب المفعم بالحب يجرني، لم أطلب في تلك اللحظة إلا إشباع عينيَ برؤية وجهها. وصلتُ حوالي السابعة للبيتِ المنزوي في أزقة سنزوكو، خلف حديقة هانا ياشيكي. فتحت الباب، وقلت بصوت رقيق: "هل نعومي هنا؟".

ردتْ أختها وهي تخرج من حجرة الانتظار:

- آه السيد كاواي.. نعومي..! لا ليست هنا.

- . ماذا؟ غادرت البيت مساء أمس وقالت إنها قادمة إلى هنا!

(21)

أمر غريب، أين قد تذهب نعومي بكل تلك الأمتعة؟ ظننتُ أن أختها تلبي طلبها بالتخفي عني، لكن بدا واضحاً أنها لم تأتي هناك.

- أمتعة؟

- نعم، سلال وحقائب وصرر.. تشاجرنا لسبب سخيف وغادرت.

- هل قالتْ إنها قادمة هنا؟

- لا أنا من طلبتُ منها القدوم إليكم وإرسال أحد للتفاهم معه، أو هذا ما كنتُ أعتقد أنه سيحدث.

- لكنها لم تأتِ، ربما لو كانت نيتها القدوم لأتت قبل هذا الوقت بكثير.. لكن...

- أين يمكن أن تذهب، إن كان ثمة مكان فأرجو أن تدليني عليه!

- لم تأتِ نعومي هنا لأكثر من شهرين! ردَّ أخوها الذي ظهر أثناء حديثنا.

- أعتذر على إشغالكما، لكن إن جاءت إليكم أرجو إعلامي، مهما كان موقفها.

- بالتأكيد سنخبرك، لا يمكننا فعل شيء لأجلها إلا إخبارك بالتأكيد.

جلستُ أحتسي الشاي الذي قدماه لي، لم يظهرا أي اهتمام بمغادرة أختهما البيت، من يشاركني الهم الذي يقتلني؟ أكدتُ قبل مغادرتي الاتصال بالمكتب أو إرسال برقية لي في أوموري وعدم السماح لها بالرحيل حتى وصولي. تمنيتُ عليهما مطالبي بالتفصيل، رغم علمي مسبقاً بلا جدوى الاعتماد عليهما بالأمر.

ماذا عساي أن أفعل الآن؟ أين أبحث عنها؟ كنتُ مثل طفلٍ رضيع يحتقن بالدموع. خرجتُ من أزقة سنزوكو بغير اتجاه محدد، جلتُ حول حديقة أساكوسا. فكرة أنها لم تأت لأهلها أقلقتني. الموقف الآن أشد خطراً. أشارت الأصابع كلها ل كوماجي. ربما خططا معاً وانتظرا الوقت الملائم للهرب. أما العثور عليهما فسيكون أصعب. فمن ناحية لا أعرف أين يقطن كوماجي، ومن ناحية ثانية، لن يسمح والداه باصطحاب فتاة سيئة السلوك لمنزل عائلة تتمتع بقدر كبير من الأهمية. أعتقد أن كوماجي سيهرب مع نعومي وبحوزته بعض المال، سيمضيان وقتاً ممتعاً معاً، لكن إلى متى؟ لابد أن أخبر والديه بالأمر. حين يعود لاحقاً لحاجته المال، سيتدخل والداه بوضع حد له، أو بمنع المال عنه. حينها لن تصبر نعومي وسترجع إلي. لكن ماذا عن معاناتي تلك الفترة؟ هل ستغيب عني شهراً، شهرين... ماذا لو بقيت معه ستة أشهر؟ الزمن ليس في صالحي، كل لحظة تمر، تبعد نعومي فيها عني أكثر، وتضعف العلاقة بيننا. عليَّ إيجادها سريعاً، يالله.. مالذي يتوجب عليّ فعله؟ اتجهتُ أنا القليل التدين إلى معبد كانون، راجياً الله، داعياً أن يجمعني بنعومي اليوم قبل الغد.

تجولتُ في الطرقات بلا هدف، عرَّجتُ على حانتين أو ثلاثة، شربتُ الساكي حتى ثملت، وعدتُ مخموراً إلى أوموري، أهجس بنعومي، بعد منتصف الليل.

أين نعومي؟ هل هربتْ حقاً مع كوماجي. من المعيب أن أحدِّث والديه بالأمر قبل التأكد أنهما معاً.تعبت من البحث والتقصي، علي الاعتماد على مُخبرٍ خاص. هامادا.. آه نعم، نسيته تماماً. أين عنوانه، سيساعدني بالتأكيد، سأكتب له، لا.. لا، الرسالة تستغرق وقتاً، برقية! من المبالغة إرسال برقية! اتصل به ليأتي؟ هذا يستغرق وقتاً قد يستغله في العثور على كوماجي. آه هامادا إنه يعرف تحركات كوماجي، وبوسعه موافاتي بكثير من المعلومات، إنه القادر على مساعدتي في العثور على نعومي.

هرعتُ في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي إلى أقرب هاتف عمومي، وتمكنتُ من العثور على أرقام عائلة هامادا في الدليل.

- السيد الصغير، لايزال نائماً.. ردت الخادمة.

- أعتذر لكن الأمر طارئ، هل من الممكن أن توقظيه؟

بضع دقائق، ثم جاءني صوتُ هامادا أجشاً بتأثير النوم.

- السيد كاواي من أوموري؟

- نعم، أعتذر لإزعاجك في مثل هذا الوقت، لكن أود القول أن نعومي رحلت.. و..

"رحلت نعومي" بصوتي المرتجف في تلك اللحظة المبكرة من ذاك الخريف.

- الآنسة نعومي.. تركتك فعلاً إذاً!

قالها بهدوء أثار انزعاجي.

- هل تعرف؟

- قابلتها الليلة الماضية.

- ماذا. قابلتَ نعومي الليلة الماضية؟

- نعم، كنتُ بحفلة راقصة في الدورادو، وكان سلوكها غريباً بما أثار بي الظنون.

- من كان برفقتها؟ كوماجي؟

- ليس كوماجي وحده، كانت مع عدة رجال، من بينهم رجل غربي.

- غربي؟

- نعم غربي، وكانت تبدو أنيقة بثياب غربية الطراز.

- لكنها لم تحمل ثياباً غربية حين غادرت البيت!

- لكنها كانت ترافقهم بفستان سهرة رائع.

تجمدت وسماعة الهاتف عالقة بيدي، ومسحت من دماغي التساؤلات جميعها.

(22)

- ألو ألو.. محاولاً إخراجي من ذهولي... ماالأمر سيد كاواي!

- نعم

- سيد كاواي

- نعم

- ما الأمر؟

- لا أعرف مالذي علي فعله!

- الحديث على الهاتف لن يحل المشكلة.

- أعرف، لكني عاجز تماماً الآن يا هامادا، عليّ استعادة نعومي، أكانت مع كوماجي أو مع غيره. لم يغف لي جفن منذ رحيلها.

أضفتُ بعض العبارات التي قد تثير شفقته علي:

- لا أحد هنا يا هامادا بإمكاني اللجوء إليه. أنا في وضع محرج، أعرف من الأنانية أن أطالبك بالعثور عليها معي، لكنك الوحيد الذي يستطيع فعل ذلك.

- نعم بإمكاني العثور عليها بسرعة، هل هناك أي توقع عن المكان الذي يمكن أن تكون فيه؟

- أعتقد انها برفقة كوماجي، لا اخفيك أنها لا تزال تقابله خلسة، وهذا ما فجَّر المشكلة بيننا فتركت البيت.

- فهمت.

- لكن يا هامادا، أقلقني وجودها مع رجل غربي ورجال آخرين غير كوماجي وارتدائها لثياب غربية. تغير مجرى تفكيري بمكان وجودها، ربما إن قابلت كوماجي ستكتمل الصورة كلّها.

قال محاولاً إنهاء ألمي:

- سأحاول العثور على التفاصيل.

- أرجوك، إفعل هذا، لا تعلم كم من الراحة ستمنحني لو أخبرتني بما يجري اليوم.

- بالتأكيد سأحاول العثور على شيء اليوم وأخبرك. كيف أعثر عليك، أما زلتَ تداوم بالشركة في أويماشي؟

- لا، لم أعد ملتزماً بالعمل، أقضي الوقت في البيت بأمل عودة نعومي. ربما من الأنانية دعوتك للحضور إلى أوموري لنتحادث، لكن من غير المجدي التواصل عبر الهاتف فقط.

- نعم، سآتي.

- أشكرك هامادا، ممتن لما تفعله من أجلي.

أوه يا الهي، عليّ الانتظار لحين قدوم هامادا بما زاد توتري:

- متى تعتقد أنك قد تعثر على معلومات مهمة، هل يمكن أن تأتي بحلول الظهر أو ربما بعد الظهر، عند الثانية أو الثالثة؟

- لستُ متاكداً، سأبذل ما بوسعي، ربما يستغرق الأمر يومين أو ثلاثة!

- ل... ل..ليكن، سأنتظرك بالبيت.

- حسناً، إلى اللقاء.

ارتجفت أوصالي كلها حين أوشك أن ينهي المكالمة فصحت:

- ألو ألو.. أرجوك هناك شيء آخر... إذا ما قابلت نعومي، وتحدثت معها، أخبرها أنّني لا ألومها لما فعلته، وأنني ملام أيضاً. أعلمها.. سأقدم اعتذاري وأنسى كل ما كان إن عادت. أما إن رفضت، أطلب منها مقابلتي لمرة أخيرة.

سأقبل بأية شروط، سأحبو، سأزحف، سأسجد، أي شيء يرضيها يعبر عن أسفي واعتذاري. لا يليق بي قول هذا لهامادا. وإن كان يعتمل في صدري.

- أخبرها أنّني أحبها.

- سأفعل إن سنحت الفرصة.

- أنت تعرف أنها عنيدة، قد تود الرجوع لكنها ستكابر، ربما عليك إخبارها بما أكابده من يأس ووجع، حاول أن تجلبها معك.

- سأرى، لا أضمن ذلك، لكنّني سأحاول.

من الواضح أن هامادا سئم من إلحاحي على مواصلة الحديث، لكني أنفقت العملات المعدنية التي بحوزتي لأتحدث بطلاقة، للمرة الاولى، عما يجيش في قلبي.

كيف أمضي الوقت منتظراً هامادا؟ من المحتمل أن يأتيني اليوم، ربما لا يأتي. بم أشغل نفسي. أشعر بعجز تام، غير قادر على النوم أو الأكل أو الخروج. يتوجب علي انتظار شخص غريب يقوم بالتحريات عني. ماذا أفعل بهذا الجنين الجارف لنعومي؟ يمرُّ الوقت ببطءٍ قاتلٍ. الدقيقة دهر، دقيقة تتكرر ستين مرة بالساعة، وتعيد الكرة مائة وعشرين مرة لتنقضي ساعتان. أما الساعات الثلاث فتحتاج مائة

وثمانين دقيقة! مائة وثمانين دقة، وحركة عقرب... ماذا لو امتد الزمن فصار ثلاث أو أربع أو ربما خمس ساعات.. يوم أو يومين أو ثلاثة؟ سأفقد صوابي حتماً في نهاية الأمر.

توقعتُ أن هامادا لن يأتي قبل حلول المساء على أقل تقدير، وهيأتُ نفسي لانتظاره. لكن في ظهر ذاك اليوم وبالتحديد بعد أربع ساعات من محادثتنا الهاتفية، طرق الباب..

أه إنه صوتُ هامادا، نهضتُ والبهجة تغمرني:

- لحظة سأفتح الباب.

أدهشني قدومه السريع، لا بد أنه تحدث مع نعومي وجرت الأمور ببساطة، ربما تكون قد تفهمت الموقف، أو حتى أنها جاءت معه.. يا للفرحة التي اجتاحتني مع تلك الفكرة، ومع خفق قلبي فتحت الباب، لكنه كان واقفاً بمفرده فقلت له بانفعال:

- آسف لازعاجك منذ الصباح، أخبرني ما الذي عرفته عن نعومي؟

كان هامادا هادئاً، يحدق بي بإشفاق وقال مؤكداً:

- نعم وصلت لشيء، لكن لا أمل سيد كاواي.

- ما... ماذا تعني؟

- تفاقمت الأمور أكثر من مخاوفك كلها، أعتقد أنه عليك أن تنسى كل ما يخص نعومي الآن.

- هل قابلتها، هل هي من رفضت المجيء؟

- لا لم أقابلها، ذهبت إلى كوماجي، وأخبرني القصة كاملة، من المؤسف ماجرى، لقد صُدمت!

- لكن أين نعومي، أخبرني، أين تقيم؟

- ليست في مكان محدد، إنها تتنقل من مكان لغيره!

- ما هي تلك الأماكن، كيف لنعومي أن تعرفها؟

- لديها العديد من الأصدقاء الذين لا تعرفهم.

في اليوم الأول حين تشاجرتما، لم تهاتف كوماجي، ولو فعلت كان الأمر سيسير على ما يرام، إذ أنها ذهبت لبيته سراً، لكنها أول ما وطئت بسيارة أمتعتها عتبه الباب الأمامي، حتى تهامس الجيران يتساءلون باستهجان عن هوية هذه المرأة، بما أربك كوماجي.

- وماذا حدث بعدها؟

- أخفى أشياءها في حجرته، تركا البيت معا لخان سيء السمعة. إنه الخان نفسه الواقع بالقرب من بيتك في أموري والذي كشفتَ فيه لقاء نعومي بكوماجي ذاك الصباح.. ياللوقاحة!

- نعم هو ذاته، كان يتباهى بما حدث ويثرثر بما أثار اشمئزازي.

- قضيا الليل معاً؟

- لا، أمضيا الوقت حتى المساء ثم تجولا في جنزا وافترقا عند تقاطع اواريشو.

- ربما لا يصدق فيما يقول!

- لا، أصغ لبقية القصة! شعر كوماجي بالحزن لأجلها حين افترقا، وسألها عن الوجهة حيث ستقضي ليلتها فيها، فأجابته بأنها ستذهب إلى يوكوهاما، ولم تبدُ حسب قوله أنها تعيسة أو حزينة. وغادرته باتجاه شيمباشي.

- من لديها من أصدقاء في يوكوهاما؟

- هنا تكمن غرابة القصة. اعتقد كوماجي أنها لا بد ستعود لأموري، لكنها في اليوم التالي حادثته هاتفياً ودعته لصالة الدورادو. ليجدها بفستان سهرة مذهل تمسك مروحة من ريش الطاووس، بجيدٍ مزدان بالعقود ومعصم مكتظ بالأساور. تمرح مع رجل غربي بصحبته رجال آخرون.

يا للحقائق المتوالية! قضت نعومي ليلتها في بيت ويليام ماكونيل، ذاك الرجل الأنيق بمساحيق بيضاء فوق وجهه. الرجل الغربي الذي دعا نعومي للرقص في المرة الأولى التي ذهبنا فيها الى الدورادو. لكن وفقاً لكوماجي. الرجل لم يكن صديقاً لنعومي مسبقاً ولا تجمعها به أية علاقة قبل مجيئها لبيته تلك الليلة. لكني أخمّن أنه لفت نظر نعومي بوجهه الجذاب وطبيعته الهادئة وروحه التمثيلية. أطلق عليه الراقصون يومها، لقب: ذئب الغرب، في حين شبهت نعومي وجهه بوجه الممثل الأمريكي جون باريمور الذي لطالما تابعنا أفلامه المشهورة معاً. لا بد أنها حدقت به طويلاً فأدرك اهتمامها وبدأ بمغازلتها. لكن هذا لا يكفي لتتوجه لبيته دون دعوة. أتخيل ملامحه حين ظهرت أمام بابه كطائر فاتن وقع في الفخ.

- كيف يمكن التصديق بأن نعومي يمكن أن تقضي ليلة مع رجل لا تعرفه؟

- لكن يا سيد كاواي، الامر ليس بذات الاهمية عند نعومي. حتى أن ماكونيل استغرب منها هذا التصرف، وساقه لسؤال كوماجي: "من تكون هذه الفتاة؟".

- سؤال منطقي لشخص يستضيف امراة لا يعرف عنها شيئاً!

- لم يستضفها فحسب، بل إنه جلب لها ثياباً غربية ومجوهرات. حتى أنها بعد ليلة واحدة بدأت بمناداته ويلي.

- هل تعتقد أنها من طلبت كل هذا منه؟

- سمعت أن جزءا من الأثواب ابتاعه لها، واقترض الباقي من صديقة غربية له. أخمّن أنها طلبت منه تجربة الفساتين الغربية فلبى طلبها. كان الفستان يلف جسد نعومي بتناسق وانسجام. كانت تنتعل حذاء فرنسياً عالي الكعب مزداناً بحجر الراين الصغير المتلألئ، أو حجر شبيه به، بدت مثل سندريلا.

نعومي السندريلا، يا لجمالها الذي تخفق له القلوب. المدنس في حقيقته، بالفسوق! لا أدري كيف أصف شعوري وأنا أصغي لهامادا. أكان البؤس أم الأسف أو الإهانة..؟ أم مزيج منهم جميعاً. أخلّت نعومي السلوك مع كوماجي، لتهرب بعده لرجل أجنبي. تقيم ليلتها معه بعد أن يبتاع لها الأثواب والمجوهرات. أي سلوك تقوم به هذه المرأة التي كانت زوجتي حتى الأمس؟

أكانت نعومي التي عاشرتها لسنوات عاهرة لهذا الحد؟ أي حلم عشته معها، أي كابوس!

إنّ هامادا محق، عليّ هجرها، علي دفن حنيني بعد أن أهانت كرامتي ومرغت وجهي بالوحل.

- أثقلتُ عليك يا هامادا، لكني أريد التأكد مرة أخيرة، إذاً ليس كوماجي فقط.. أرجوك أكد لي هذا مرة أخرى!

أومأ هامادا بشفقة وهو يرقب دموعي المنهمرة.. وقال:

- من الصعب تصديق الأمر، أتفهم هذا سيد كاواي. لكني كنتُ في الصالة معهم، لن أزيد بما حدث من سلوك خلاعي، حاول التصديق فأنا لم أبالغ أبداً فيما سردت.

- أشكرك.. يكفيني ما سمعت.. لا يتوجب عليك...

اختنقت الكلمة في حنجرتي، وجدت نفسي أحتضن هامادا، دافناً وجهي في كتفه وبدأت النحيب:

- لقد... هجرتها يا هامادا... تماماً الآن!

- قلتُ مالدي كله، في الحقيقة جئت لأنصحك. قالها بصوت مرتعش، وتابع:

- لا أمل في نعومي الآن. أثبتت أنها تنتمي لذلك النوع من النساء للأسف، ربما تعود إليك وكأن شيئاً لم يكن. صدقني الجميع لا يعاملونها بإنسانية أبداً. أصبحت كاللعبة يتناقلها الرجال فيما بينهم. لقبوها بلقب أخجل من ذكره. لقد ألحقت بك العار مرات عديدة سيد كاواي.

هامادا الذي يكنُّ الحب العميق لنعومي مثلي تماماً، يطلق كلمات الشفقة والغضب علي نازعاً بنصله الحاد قطع اللحم الفاسد من قلبي. يعاملونها كلعبة! لقبٌ لا يمكن ذكره! عبارات أيقظتني لحياة جديدة فجفت دموعي، كما لو أنّني شفيتُ فجأة.

(23)

بذل هامادا كل ما في وسعه للتخفيف عني:

هيا نتمشى معاً، لا يتوجب بقاؤك في البيت وحيداً.

- حسناً..

كان شكلي مزرياً، لم أكن قد حلقت ذقني أو غسلتُ فمي ووجهي ليومين. فاستغرقت دقائق لأغتسل وأشذب ذقني وأرتب شكلي وخرجت مع هامادا بعد أن شعرت بالانتعاش.

- لنسر باتجاه شوارع الضاحية.

نظر إلى ايكيجامي وسألني:

- هيا لنعبر هذا الطريق!

- لا ليس هذا الطريق. وقد انتابني احساس بالاشمئزاز

- لم؟

- إنه يجاور الخان الذي تحدثت عنه منذ قليل.

- أوه، أي طريق سنسلك إذاً؟ أنتجه صوب الشاطئ باتجاه كاواساكي؟

- ليكن، ذلك أفضل.

فكرتُ إن كانت نعومي لاتزال ترود خان دايبريك، فقد تظهر مع كوماجي بذات الاتجاه الجديد، أو أنَّني قد ألتقي بها في الطريق بين طوكيو ويوكوهاما مع ذلك الأجنبي الوقح، لذا يجب تجنب العبور جوار خط القطار الكهربائي.

انعطفت لشارع جانبي متقدماً هامادا، عابرا السكك الحديدية تجاه حقول الأرز:

- لقد عرضتك للمتاعب اليوم.

- لا بأس، كنت أتوقع هذه النهاية عاجلاً أم آجلاً.

- كنتُ كأضحوكة أمامك وأمام الجميع.

- لماذا علي أن أسخر منك، كنتُ أضحوكة مثلك لفترة من الزمن. كنتُ على العكس أشعر بالأسف لأجلك، حين سبقتُك وهجرتها.

- لكنك في مقتبل العمر ومن الطبيعي تعرضك لمواقف كهذه. لكنه موقف سخيف بالنسبة لرجل ثلاثيني، كنت سأستمر كالأبله، لو لم توضح لي حقيقة ما يحدث.

علتْ سماء أواخر الخريف الحقول الممتدة بصفاء، بينما وخزت الرياح العابرة عيني المحمرتين من البكاء. بدأ القطار البغيض يصفِّر من بعيد قاطعاً الصمت الذي لف مسيرنا أنا وهامادا: سألته:

- هل تناولتَ غداءك هامادا؟

- لا، ليس بعد وأنت؟

- لم أتناول الطعام منذ أمس، الساكي فقط، وأنا أتضور الآن جوعاً.

- علي توقع ذلك. عليك الاهتمام بصحتك سيد كاواي.

- لا عليك، بفضلك توضحت الحقيقة، سأعتني بنفسي وأعود للعمل. سأضحي رجلاً جديداً.

- العمل يساعد على التخلص من الهواجس. حاربتُ ما قاسيته مع نعومي بالموسيقى.

- الموسيقى عـلاج في هـذه الحـالات. لا أمتلـك أيـة مواهـب موسيقية، أتقن العمل فحسب. لا بد أنك جائع، دعنـا نـذهب لتنـاول الطعام في مكان ما.

تابعنا المسير حتى نهر روكوجو، وقبل انقضاء زمن طويل، جلسنا في أحد مطاعم كاواساكي بيننا قدر من الطعام الساخن وكأسـين مـن الساكي.

- تناول كأساً يا هامادا.

- معدتي خاوية، سيضرني لو تناولته.

- هيا.. إنه احتفال طهارتي الليلـة، سـأتوقف اعتبـاراً مـن الغـد فلنثمل الآن.

- إذاً، نخب صحتك!

شربنا حتى تورد وجه هامادا، ولمعت بثرات وجهه. أمـا أنـا فقـد ثملت، فلم أدرك ما إذا كنتُ سعيداً أم حزيناً.

ملتُ صوب هامادا بزاوية مقصودة وسألته:

- ماللقب الفظيع الذي أطلقوه على نعومي، أخبرني هامادا؟

- لا لا إنه بشع، لن أقوله.

- لا يهمني مدى بشاعته. إنها لا تعنيني الآن، أرجول قل بمـاذا يلقبونها؟ يشعرني هذا بالتحسن.

- ربما قد تتحسن بمعرفته، لكن سامحني لا يتوجب علي قوله. فكر قليلاً وستدرك ماهو، ربما أستطيع أن أخبرك السبب لحصولها عليه!

- نعم أرجوك، أخبرني.

حكّ رأسه مترديداً:

- لكن سيد كاواي، آه يا عزيزي، السبب مقيت بدوره، ربما لن تفضل سماعه!

- لا بأس، لا عليك.. أخبرني. يتملكني الفضول لمعرفة أسرارها تلك.

- حسناً.. سأروي لك.. كم تخمِّن عدد الرجال الذين أقامت معهم علاقة حين كنتما في كاماكورا الصيف الماضي؟

- أعرف أنها كانت على علاقة بك وبكوماجي، هل هناك غيركما!!

- لا تستغرب سيد كاواي، هناك سيكي وناكامورا أيضاً.

اخترقت صاعقة جسمي رغم الخدر الذي أصابني. تجرعت عدة كؤوس من الساكي قبل أن أرد:

- المجوعة كلها..؟ علاقة مع كل واحد منهم؟

- نعم. هل تعرف أين كانوا يلتقون بها؟

- في فيلا "اوكوبو"؟

- في الكوخ الذي استأجرتماه!

أخرسني ما سمعتُ تماماً، وقلت بصوت مرتعش، بعد صمت دام لحظات:

- يا لبشاعة المفاجأة!

- لم تستطع زوجة صاحب المشتل فعل شيء إزاء تحول بيتها إلى ماخور يدخله الرجال بمختلف الأوقات. كانت مدينة لكوماجي، وأكثر ما كانت تخشاه هو تعليق الجيران ومعرفتك بالأمر.

- لاحظت ذلك حين سألتها عن نعومي، فقدت توازنها وكانت غاية في التوتر. يا لبلاهتي.. بيت أوموري مركز اجتماعاتكما السرية أما الكوخ فهو ماخور لهم جميعاً.لقد خدعتُ تماماً.

- دعنا ننسى ما جرى بيت أوموري، أعتذر عما حدث.

- لا عليك، انتهى الأمر بالنسبة لي، لكن ما أستغربه هو وقوعي بفخ الخداع بهذه المهارة، حتى أنني منبهر بالأسلوب المتقن.

- اسلوبٌ يشابه قيام مصارعي السومو بإلقاء منافسيهم من فوق الأكتاف.

- فعلاً، لكن هل كانت نعومي تناور مع الجميع؟ فلا يعرف أحد بعلاقتها بالآخر؟

- لا، كانوا يعرفون. حتى أن بعضهم كان يلتقي بالآخر عند الباب.

- ألم يتشاجروا؟

- لقد تقاسموها، باتفاق ضمني بينهم، ومن هنا أطلقوا عليها ذاك اللقب الرهيب دون معرفتها. بما جعلني بحالة يرثى لها. فاتحتها بالأمر موجهاً النصح. لكن بعكس توقعاتي، جُنُّ جنونها وبدأت بالسخرية مني، فلم يعد باستطاعتي فعل شيء.

تابع هامادا بصوت مرتعش:

- أحداث كثيرة لم أعلمك بها، سيد كاواي، حين جلسنا في مطعم ماتسواسا، أليس كذلك؟

- لكنك قلت أن كوماجي الوحيد الذي يسيطر عليها.

- نعم قلتُ هـذا، كوماجي زعيمهم جميعاً، الأسوأ بينهم، أخبرتكِ بذلك على أمل ألا تتخلى عنها وكان لدي أمل بأنك ستعيدها إلى حياة متزنة.

- بدل أن أعيدها، ألقت بي إلى الهاوية.

- هذا ما يحدث لأي رجل يقف في وجه الآنسة نعومي.

- لدى نعومي قوى غامضة، صحيح؟

- نعم قوى سحرية، شعرت بتأثيرها ففضلتُ البقاء بعيداً، خشية الخطر الذي سيحدق مع اقترابي.

نعومي نعومي.. تردد اسمها مرات عديدة بيننا، تلذذنا بنعومة حروفه، لعقنا حروفه، ورفعناه لشفاهنا، يا للاسم الشهي!

- لكن، ألا تعتقد انه من الرائع أن تحبك امرأة كنعومي! سألته بتعاطفٍ شديد:

- رائع بالفعل، إنني ممتن لقطراتِ الحب الأولى التي تذوقتها معها، إنني مدين لها.

- ترى ما لذي سيحدث لها فيما بعد؟

- أظن أنها في درب مزرٍ للغاية، يقول كوماجي أنها لن تطيل المكوث عند ماكونيل، وستذهب لمكان آخر خلال أيام ثلاث، ربما يستضيفها لأيام لأن أغراضها في بيته. لكن أين عائلتها؟

- تدير عائلتها بيت دعارة في أساكوسا، لم أتحدث عنها من قبل كي لا أجرحها.

- إنها التنشئة الأولى.. تفسر كل شيء.

- أخبرتني نعومي أن عائلتها تتجذر للساموراي. وأنهم كانوا يقيمون في شيمونيبانشيو. أما جدتها التي كانت مدمنة للحفلات الراقصة في روكوميكان، هي التي أطلقت عليها الاسم. لا أدري مدى صحة الرواية، بكل حال خصلت نعومي على تربية سيئة، وهذا يتضح من سلوكها الآن..

- ربما من الطبيعي أن تفعل ما فعلت، خاصة أنها تشربت الخلاعة منذ صغرها، وباءت كل محاولاتك بإنقاذها بالفشل.

بعد حديث دام أكثر من ثلاث ساعات ولمّا ينتهِ بعد، غادرنا المطعم بعد السابعة مساء وتابعنا المسير في كاواساكي:

- ستلتحق بالقطار القومي، هامادا؟

- المسافة بعيدة، لن أقدر على قطعها سيراً على الأقدام.

- صحيح، سأستقل قطار كيهين الكهربائي، وإذا ما كانت نعومي في يوكوهاما، فالقطار القومي سيكون محفوفاً بمقابلتها.

- سآتي معك إذاً، لكن طالما أنها تتنقل بكل مكان، ستكون مقابلتها أمراً لا مفرَّ منه.

- سأنتبه حين أخرج!

- أعتقد أن جلَّ وقتها تقضيه في قاعات الرقص في جنزا، إنها المنطقة الأخطر!

- أوموري كذلك ليست بآمنة، ستعبرها قادمة لكاجتسوين، وخان دايبريم. علي ترك البيت واستئجار حجرة بمكان ما بعيد، على جرحي أن يندمل.

رافقني هامادا في قطار كيهين، لنفترق في أوموري.

(24)

قاسيتُ أشد أنواع الوحشة والإحباط ليومين متتاليين بعد مقابلة هامادا. في صباح اليوم الثالث وصلتني برقية مفادها أن أمي في حالة صحية خطيرة. تركتُ الأعمال في المكتب، وهرعت إلى محطة أوينو لأصل البيت الريفي عند الغسق. كانت أمي قد فقدت وعيها ولم تتعرف علي. لم يمض بعدها أكثر من ثلاث ساعات حتى قضت نحبها.

إن وفاة أمي أسوأ حادث مررت به. صحيح أنني فقدتُ أبي لكني كنتُ صغيراً جداً، فلم أقاسي آلام فقدانه. كنتُ الأقرب لأمي كابن وحيد للعائلة إلى جانب أختيّ الأصغر. لا أذكر أنني عصيتُ أمي يوماً أو أنَّها وبختني. كانت رحيمة وعطوفة وحريصة على مراعاة مشاعري. لا أنكر إصابتها بالقلق حين تركتُ البيت ومضيت للمدينة سعياً وراء أحلامي، إلا أن ثقة أمي لم تغادرني، حتى بعد ذهابي لطوكيو، حتى أنها رافقتني ببركاتها رغم غربتها برحيل ابنها الوحيد. كان عطفها يزيد يوماً بعد يوم، ولم ترفض لي طلباً قط.

شعرتُ أنَّني أعيش الحلم داخل الحلم، كيف فقدتُ أمي فجأة؟ بالأمس فقط، كنتُ أهجس بمفاتن نعومي التي مستني بالجنون. جثمان أمي ملقى أمامي الآن. لا علاقة حتماً بين العالمين، لكن ثمة صوتاً يهمس بأذني: "هاهو موت أمك يحذرك، يلقنك درساً".

- "آه يا أمي كم أشتاقك، كم ظلمتك".

عجزتُ تماماً عن إيقاف مشاعر التأنيب ووخزات الندم، تسللتُ خارجاً وصعدتُ التل الكائن فوق البيت، جلتُ الغابات بناظري، الطرق، الحقول المفعمة بذكريات الطفولة، وبدأت بالنحيب.

حزن نبيل طهّر الروح والجسد من التراكمات المضنية التي أثقلتهما. لولا هذا الحزن لما نجوت من وجع حبي الضائع. ولما استطعتُ نسيان تلك الفاسقة العاهرة. لموت أمي مغزى كبير، لن أدعه يعبرني دون جدوى. يا للمدينة التي ضقتُ ذرعاً بها ! "التقدم والنجاح" هذا ما يشغل أهل طوكيو. ما أهمية كليهما حين تمضي الحياة بلا معنى؟ المكان الأمثل لرجل ريفي المنشأ هو الريف. سأعود لمسقط رأسي، سأتعرف على الأرض وأصادق القرويين، سأعود مزارعاً كأجدادي، وأبقى قريباً من قبر أمي. حين سمع خالي وشقيقتاي وأقاربي ما قررته، اعتقدوا أنني أستبق الأحداث لإحباطٍ أصبت به، وليس من المنطق أن يدفن رجل مستقبله نتيجة لوفاة أمه.

- كل إنسان يشعر بالبؤس حين يفقد أحد أبويه، لكن الحزن يخف مع الزمن، يسرُّنا عودتك للأرض، لكن فكّر على مهلك قبل اتخاذ مثل هذا القرار. وليس من الوعي أن تترك الشركة التي تعمل فيها دون مقدمات!.

كنتُ أود أن أصرخُ أن الأمر لا علاقة له بالعمل، بل بزوجتي التي هجرتني. من المخجل قول هذا أمام للجميع، الذين بررت لهم غياب نعومي، بسبب مرض أصيبت به.

انتهت أيام الحداد السبعة، أوكلتُ خالتي وخالي بإدارة ممتلكاتي، وأصغيت لنصيحتهما بالعودة لطوكيو في الوقت الحالي. التحقت بالعمل، أنا الرجل المهذب النبيل، لم أعد كذلك بنظر

زملائي بالعمل، بتُّ مهمِلاً فاقداً لثقة مدرائي، حتى أن أقل المساعدين مكانة كان يسخر مني ويعتبر موت أمي ما هو إلا ذريعة للانصراف عن العمل. كان أمراً مقززاً قررتُ بعده الاستقالة من الشركة. أخبرتُ خالي حين عدتُ للريف في يوم السابع والعشرين من الوفاة، لكنه لم يأخذ الأمر على محمل الجد. عدتُ لطوكيو بعدها ولم أنفذ شيئاً مما قررته، لم أرحل للريف، ولم أنتقل لحجرة جديدة، وأمضيت ليالي وحيداً في منزل أوموري.

كنتُ أنهي العمل وأستقل قطار كيهين كالعادة، متجنباً الأماكن المزدحمة خشية لقاء نعومي. أعرجُ على مطعم قريب. أصعدُ للحجرة العلوية مستلقياً تحت الأغطية. لا تزال أغراض نعومي تتناثر في الغرفة. الغرفة التي تعبق بخمس سنوات من الفوضى والانغماس والشهوات. تنتشر رائحة بشرة نعومي في أنحائها، بينما تملأ ملابسها القذرة الحجرة قليلة التهوية برائحة عفونتها. نزلتُ للأريكة الموجودة في البهو لأنام عليها، فما كان الحل أفضل لأغفو بسرعة.

قدمت طلب الاستقالة في أوائل كانون الأول. أي بعد ثلاثة أسابيع من وفاة أمي، وتقرر عملي في الشركة كحد أقصى حتى نهاية العام. شعرتُ باسترخاء أكبر حين لم يتبق لي سوى شهر واحد في العمل، فصرت أقرأ في أوقات الفراغ، أو أتمشى بحذر بعيداً عن الأماكن التي قد ألتقي نعومي بها. في إحدى الأمسيات سرتُ وصولاً ل شيناجاوا، وقررت لتمضية الوقت مشاهدة فيلم من بطولة ماتسونوسوكي. حين دخلتُ دار العرض، وجدتُ أن الفيلم المعروض كوميدياً من بطولة هارولد لويد. الفيلم المكتظ بالممثلات الأمريكيات جلب لي الذكريات الموجعة سرعان ما خرجت، متوعداً بعدم مشاهدة الأفلام الغربية لأجل بعيد.

في صباح أحد باردٍ من أواسط كانون الأول، كنتُ لا أزال في الفراش في الحجرة العلوية، حين سمعتُ وقع أقدام شخص يتحرك في البهو. استغربتُ لكنَّني سرعان ما ألفتُ الخطوات الصاعدة على الدرج، وقبل أن أصاب بالدهشة أتاني صوتٌ رقيق "مرحبا" ليفتح الباب مظهراً وجه نعومي دون أية تعابير:

- مرحبا، قالتها مرة أخرى.
- ماذا تريدين؟ دون أن أنهض من الفراش.
- جئتُ لآخذ أغراضي.
- خذيها، لكن كيف دخلتِ؟
- من الباب الأمامي، المفتاح معي.
- اتركي المفتاح قبل انصرافك.
- حسناً.

أدرتُ ظهري لها. راحت تجمع أشياءها في صرر محدثة ضجة جواري. ثم حزمتها بنطاق سمعتُ صريره. اتجهت نحو الزاوية قبالتي بحيث تقصدتْ أن تصير بمجال بصري، أدارت ظهرها وبدأت تغيِّر ثيابها. كانت ترتدي ثوباً من الحرير العادي، لم أره مسبقاً، كان واضحاً أنها لم تبدله منذ أيام إذ كان بياقة متسخة. فكت نطاقها، وخلعت الكيمونو القذر ليبدو الثوب التحتي أكثر اتساخاً. التقطتْ ثوباً داخلياً من الحرير، هزّت جسدها فهطل الثوب المتسخ فوق ساقيها نزولاً إلى الأرض. فبدت كأفعى تبدلُ جلدها. ارتدت كيمونو أوشيما الأثير لديها، وتحزمت بنطاق بلوني الأحمر والأبيض. التفتت إلي وجلست على الأرض وبدأت بتغيير جوربيها.

القدمان العاريتان، أغرياني أكثر من أي شيء آخر، حاولت أن أكفّ نظري فلم أستطع. كانت تتعمد هزّ قدميها البضتين متابعة حركة عيني. حين انتهت من ارتداء الجوربين، جمعت ملابسها المتسخة بصرة وحملتها قائلة: "إلى اللقاء "، ساحبة الصرر نحو الباب.

- هيه.. أنتِ، ألن تتركي المفتاح؟

- آه صحيح.

- سأضعه هنا، لكن لا يزال هناك بعض الأغراض لم أستطع أخذها، قد أعود مرة أخرى.

- لا تعودي، سأرسل لك كل شيء لأساكوسا.

- لا، لا ترسلها هناك، أرتب لمكان آخر.

- إذاً أين أرسلها؟

- لم أقرر بعد.

- خلال شهر إن لم يأتِ أحد لأخذها سأرسلها لأساكوسا، لا يمكن أن أحتفظ بأغراضك هنا للأبد.

- حسن، سأعود قريباً.

- أصغِ لي، أرسلي أحداً بسيارة ليحمل كل شيء دفعة واحدة لا أريد رؤيتك هنا.

- حسنٌ.

غادرت.

ظننتُ أن ما يعكّر مزاجي قد زال أخيراً، لكن بعد عدة أيام، في التاسعة مساء، بينما كنتُ أتصفح جريدة المساء في البهو. سمعت مزلاج الباب الأمامي يُفتح.

(25)

- من هناك؟

- أنا

فُتح الباب بقوة واندفعت من الظلام قامة ضخمة ملتحفة بالأسود للداخل. خلعت المرأة الغربية معطف الفرو ووقفت أمامي بفستان فرنسي أزرق فاتح. بدت ذراعاها وكتفاها العاريان بيضاوين كالثلج، بينما ازدان عنقها بعقد من البلور الملون. كان طرفا أنفها وذقنها ناصعي البياض أيضاً، بينما صبغت شفتيها بالقرمزي المتوهج.

- مساء الخير. بيد ترفع قبعتها العامرة.

آه يالهي إنها نعومي. عدم معرفتي لها، أظهر التحول الكبير الذي طرأ على هيئتها ووجهها. ما الحيل التي لجأت لها نعومي بحيث تغير لون بشرتها وتعبير عينيها. إنها تبدو امرأة غربية بالكامل، لولا صوتها لما تعرفت عليها. صحيح أن نعومي لم تكن داكنة البشرة كاليابانيات، إلا أنها لم تكن بهذا البياض. لطالما أسرتني أذرع الممثلات الغربيات في مسرح الأمبريال. في الحقيقة تبدو نعومي بذراعين أشد نصاعة منهن جميعاً.

اتجهت نحوي تتمايل بفستانها الأزرق الرقيق، تخطو بحذاء جلدي عالي الكعب مزين بالأحجار الكريمة. لا بد أنه حذاء سندريلا الذي تحدث عنه هامادا. اختالت أمامي واضعة يديها فوق خصرها بينما جلست مشدوهاً، وقالت:

- أتيتُ لآخذ أشيائي يا جوجي.

- ألم أقل لك أرسلي أحداً غيرك؟

- لكن لا أحد لدي لأرسله.

بدت على وجه نعومي مسحة من الكآبة. لكن ذلك لم يمنعها من التنقل أمامي برشاقة، مشدودة الساقين. مع كل كلمة قالتها كانت تحرِّك يديها، رافعة كتفيها لأعلى. ما هذا الإفراط في النشاط، يا الهي، توترت أعصابي الحسية من شدة التحديق، متابعاً كل مسحة في جسدها. قصت شعرها عند جبهتها راخية الغرَّة باستقامة وترتيب، بينما شدت أطرافها بعناية كما تفعل النسوة الصينيات في حين عقصت بقية شعرها للأعلى على شكل كعكة مستديرة. غيرت ملامح وجهها أيضاً، لاحظت أن الحاجبين قد رسما كقوسين رفيعين بعد أن كانا كثيفين عريضين نافرين فوق عينيها. تغييرات أثرت بشكل كبير على هيئة نعومي. لكن ما الحيلة وراء لون عينيها، شفتيها وبشرتها؟ هل السر في الرموش أم في الشفة العليا المقسومة كبتلة الكرز؟ لم ألاحظ أي أحمر شفاه ظاهر فوقهما، كما أنَّني لم أتلمس أية مساحيق بيضاء تغطي وجهها، أهي بشرتها حقاً، كتفيها ذراعيها، حتى أصابع قدميها بذات البياض الناصع، من المؤكد أنها ليست نعومي، إنه طيف يجول حولي يحمل أسرار الجمال المطلق.

- هل تمانع إن صعدتُ لأحضر أشيائي؟

أكان صوت طيف نعومي؟ لا إنها نعومي ذاتها.

- حسناً، لا أمانع ولكن.. أجبتُ بارتباك، وأضفت رافعاً صوتي:

- كيف فتحتِ الباب؟

- بالمفتاح.

- لكنكِ تركته هنا.

- آه معي عدة نسخ منه!

رسمتْ على ملامحها الجذابة ابتسامة ونظرة ساخرة، وقالت:

- ألم أخبرك أن لديَّ الكثير من مفاتيح البيت، لن يضيرني لو أخذت واحداً منها.

- لكنك تزعجينني بمجيئك.

- لا عليك، حين أنقل جميع أشيائي، لن أعود.

صعدتْ نعومي للطابق الأعلى تطرق الخشب بكعبها العالي. انتظرتُ مستلقياً فوق الأريكة فاقداً الإحساس بالزمن، أمضت خمس دقائق؟ نصف ساعة؟ ساعة؟ لا أعرف بالضبط، كنت مذهولاً بهيئة نعومي الجديدة. راودتني البهجة والنشوة كمن تداعب حواسه موسيقى ناعمة أو أغنية متسربة من عالم مقدس خارج العالم. ليس للأمر علاقة بشهوة أو حب، كانت نشوة قلبي مختلفة هذه المرة.

نعومي الليلة، لا علاقة لها بنعومي العاهرة الساقطة، أضحت سيدة نفيسة مقدسة. لا يحتاج رجل مثلي إلا للمسة من أطراف أصابعها ليركع مرتجفاً مقدماً كل فروض الطاعة. عليّ توضيح الإحساس الذي انتابني تلك اللحظة. رجلٌ ريفي أتى لطوكيو، التقى في الشارع بابنته التي فقدها منذ كانت صغيرة، ابنة صارت سيدة مدنية أنيقة، ماذا بوسع الأب الريفي البسيط فعله أمامها، لن يجد سوى الهرب بعيداً مدهوشاً مرتبكاً. يالله الوحشة والاستسلام.

أو لنقل أن رجلاً فقيراً رفضته خطيبته، يقف بميناء يوكوهاما بعد مرور عدة سنوات، يقابل المرأة مصادفة وهي عائدة من رحلة ما وراء

البحار، سيدة أنيقة تعيش حياتها الباريسية ورفاهيتها الأمريكية. ما الذي قد يجمع بين الاثنين؟ لتتخيل بما سيشعر به ذاك الخطيب المرفوض من توبيخ للذات جنباً إلى جنب مع الارتياح المذهل لمقابلتها من بعيد.

قد لا توضح هاتان المقاربتان ما أشعر به بالتحديد، لكنهما تقدمان فكرة عما يجول في صدري من أحاسيس. صحيح أن لحم نعومي ملطخٌ بعارٍ لا يُمحى، لكنَّ بشرتها الناعمة الملائكية مسحت عنها كل البقع. بينما تغير الماضي المقزِّز بالكامل هذه الليلة. حتى أنَّني تصورتُ أن لمس أصابع نعومي مجرد حلم. متى تعلمتْ نعومي هذه الحيل جميعها؟ كيف تمكنتْ من إتقان الشعوذة والسحر بزمن قصير، نعومي التي زارتني قبل أيام عديدة مرتدية ثوب الكومينو الرخيص القذر؟

توقفتْ موجات أفكاري المنتشية بقرقعة كعبها النازل على الدرج. وجدتها واقفة بحذائها المرصع بالمجوهرات قبالتي، على بعد ثلاثة أقدام بحيث لم لا يمكن أن تلمسني حافة ثوبها الرقيق.

- سأعود خلال ثلاثة أيام. أتيت لأخذ بعض الكتب، لا يمكن حمل الأغراض كلها خاصة وأنا أرتدي هذه الثياب.

هفهف في أنفي عبيرٌ سافر بي لأراض عبر البحار، لحدائق أزهار مثيرة. كان عطراً مألوفاً بالنسبة لي، الكونتيسة شلمسكايا، مدرسة الرقص، أعتقد أن نعومي استخدمت النوع نفسه.

أومأتُ لنعومي وهي تغادر المكان، أما عطرها الأخاذ فبدأت حواسي بمطاردته خلفها حتى تلاشى تدريجياً وتلاشيتُ معه.

(26)

بدأت نعومي بتكرار زياراتها، تجمع في كل مرة بعض الأغراض بصرة صغيرة وتغادر:

- لأي غرضٍ جئتِ الليلة؟

كانت ترد بخبثٍ أنها جاءت لأجل غرضٍ ما، ثم تدعي العطش وحاجتها لشرب الشاي! تجلس جانبي ونتحادث لعشرين أو ثلاثين دقيقة. سألتها ذات مرة، ونحن متواجهان بيننا طاولة الشاي:

- هل تقيمين بمكان قريب؟
- لمَ تسأل؟
- لا ضرر بالسؤال، أليس كذلك؟
- لكن لماذا؟ ماذا سيفيدك مكان إقامتيَ؟
- لا سبب أبداً إنه الفضول، ألن تخبريني؟
- لا، لن أخبرك.
- لم لا؟
- لستُ مضطرة لإشباع فضولك، لطالما قمتَ بدور المخبر السري، يمكن اللحاق بي ومعرفة مكان إقامتي.
- لا أريد ذلك، لكنَّني أظن أنك تقيمين في مكان قريب.
- ما الذي يجعلك تعتقد بهذا؟
- كل ليلة تأتين لتأخذي شيئاً.

- هل مجيئي يومياً يفيد بقرب المكان، أنسيت وجود المواصلات؟

- من المتعب أن تستقلي المواصلات لأخذ شيء صغير كل ليلة.

- هل تعني أنه يتوجب عليَّ آلا آتي كل ليلة؟

- لا أعني ذلك، لأنَّني حتى لو طلبتُ منك عدم القدوم هنا تأتين.

- نعم، عنيدة وتعرفني، كلما طلبتَ مني عدم المجيء فعلتُ العكس، أتخشى قدومي المتكرر جوجي؟

- نعم إلى حد ما.

- ألقت براسها إلى الوراء فبان البياض الناصع لذقنها ورقبتها، وضحكت بصوت عالٍ وقالت:

- سأتصرفُ بحكمة، لا تخشى مني، لا أطلب منك سوى نسيان الماضي وأن نتعامل كصديقين، أتوافق؟

- لا أدري لكن الأمر يبدو غريباً بالنسبة لي.

- ما الغريب؟ أن يصبح زوجان سابقان صديقين؟ الأمر سهل عليَّ كما تعلم، بإمكاني إغواؤك وتحويل العلاقة لمجرى مختلف، لكني، أشفق عليك ولا أريد كسر إصرارك على قطع العلاقة بيننا.

- تشفقين علي! ألهذا تطلبين الصداقة؟

- لا أعني ذلك، لكني لا أود أن أبعثر الحسم الذي ربطت به علاقتنا.

- الغرابة أنني حاسم جداً، لكنَّني لا أضمن إصراري إن قضينا وقتاً أطول معاً.

- لا تكن سخيفاً، ألا تريد أن نكون صديقين.

- لا، لا أريد ذلك.

- في هذه الحالة، سأغويك وأمزّق قميصك جوجي. وبنظرة حادة غامضة، لم تدل على المزاح أو على الجد، أضافت:

- اختر أحد الأمرين، إما أن تجمعنا علاقة صداقة نظيفة لطيفة، أو أغريك وأبتزك كل ليلة.

تساءلتُ لماذا تطرح هذا الاقتراح الخطير، لا بد أن هدف قدومها كل ليلة لم يكن لإغاظتي، إنما لاستعادة العلاقة بيننا تدريجياً، صداقة بالبداية نتقرب بها من بعضنا، لنعود زوجين مرة أخرى. وهكذا تعود للبيت بنصر دون هدر لكبريائها. أهذا ما يدور في رأسها الجميل؟ لكن لم التعقيد؟ آلا تعلم أنني سأوافق في الحال، لا أدري كيف تحولتُ لهذا اليقين، لكنني لن أرفض أي فرصة تعيدنا زوجين من جديد.

- ما الحكمة في أن نصبح مجرد صديقين يا نعومي؟

دار في خلدي عبارات مثل: "أليس من الأفضل أن نختصر الزمن وتوافقي أن تعودي زوجتي؟". لكنَّني أتوقع معاندتها وإصرارها على أن نكون صديقين أو لا شيء. إن حاولتُ إقناعها، فقد ستسخر مني ولن يرضيني بعد الذي جرى هذا التعامل. أما إن كان هدفها الحقيقي بالعودة إلي، هو الإبقاء على حريتها في اللهو مع رجال آخرين، فيتوجب أن أكون حذراً أكثر في طرح أي خيار. إذ أنها لم تخبرني بمكان إقامتها، فأفترض أنها تقيم مع رجل ما، وإن قبلتْ أن تكون زوجتي بشروطها هي، ستجلب لحياتي المزيد من الأحزان. وهنا خطرت ببالي فكرة:

- فلنكن صديقين، فأنا لا أحبذ التعرض للابتزاز.

كنتِ من حدق بنظراته لها هذه المرة، إن صرنا صديقين. سيتوضح لي هدفها بالتدريج، إن استشفيت صدق النوايا في قلبها، سأدعوها لأن نقيم معاً، وستكون زوجتي بشروط أفضل.

قالت متوجسة:

- متأكد؟

- بالطبع.

- دون أية أفكار خبيثة؟

- نعم.

ضحكت ضحكتها المألوفة.

بدأت تحط في البيت كسنونو أثناء موعد عودتي من العمل: "ألن نتناول الطعام معاً في الخارج؟ فأصطحبها للعشاء في مطعم غربي. كانت تأتي في آخر الليالي الباردة، تطرق باب غرفة النوم طالبة المبيت في الحجرة المجاورة. وفي أحيان كثيرة أجدها تغطُّ في نوم عميق صباحاً دون معرفتي بموعد مجيئها ليلاً، لتفتح فاهها كل مرة بعبارة: "نحن صديقان، أليس كذلك!".

تأكدت في الفترة التي دأبت بها على زيارتي أنها عاهرة محترفة. صحيح أن العاهرة متقلبة بمشاعرها، ولا تبالي بتعرية جسدها لمن يطلبها من الرجال، لكنها بالوقت ذاته، تتقن فن مداراته وإخفائه عمَّن تشاء. إنها رغبة غريزية لدى أي عاهرة للمحافظة على جسدها.. رصيدها.. رأس مال تجارتها. جسدها الذي قد تدافع عنه بشراسة كأية عذراء بما يصدم الآخر، وهذا بالضبط ما كانت تقوم به نعومي.

لطالما أخفت نعومي أجزاء جسدها عني، أنا الذي كنتُ زوجها. رغم أنها دأبت على تغيير ثيابها أمامي وجعلت من قميصها الداخلي ينزلق، مصحوباً بصيحة آه، إلا أنها لا تنفكُّ تلف ساعديها لتخفي

بهما كتفيها وهي تهرع من الحمام شبه عارية. أو حين تجلس أمام المرآة وتلومني: "أوه ينبغي ألا تكون هنا، أخرج!" حتى في الأوقات المعاكسة لتحفظها كانت تكشف عن كوعها، كعبها أو رقبتها، بالمقدار الذي يجعلني ألمح تألق جسدها، الذي أصبح أنضر مما كان. بما أجبرني كل مرة أن أخلع ثيابها كلها من فوق جسدها في خيالي، وأحدِّق بشغف بكل ثنية فيه.

قالت مرة وهي تبدلُ ثيابها وظهرها إلي:

- بم تحدق جوجي؟

- إلى جسمك، بات أكثر شباباً.

- يالك من مقرف، لا ينبغي التحديق بجسد المرأة.

- لا أحدِّق، لكن الكيمونو التصق به بما أعطاه شكله البهي. خاصة فخذيك، أصبحا ريانتين.

- نعم إنهما كذلك، لكن ساقي مستقيمتان نحيفتان.

- نعم ساقيك لطالما كانا مستقيمين، هل لازالا كذلك؟

- نعم انظر، ورفعت الكومينو، لأستذكر تمثال رودان الذي عثرتُ عليه في صورة فوتوغرافية.

- هل ترغب برؤية جسدي جوجي؟

- إن أردتُ فهل ستظهرينه لي؟

- لا بالطبع، فنحن صديقان. ابتعد الآن حتى أنهي تبديل ثيابي.

ثم طردتني خارجاً وأغلقت الباب خلف ظهري.

كان هذا أسلوبها في إثارتي وإغوائي حتى توصلني إلى الحافة، لتلقي بي بعدها في غياهب الصد. لا سبيل لاختراق الحاجز الزجاجي الذي يحول بيننا. حتى لو تهورتُ ومددتُ يدي كانت ستصدم بحاجز، كلما ظننتُ أنها أزالته، أجده أصلب وأقوى.

قالت مرة بلهجة تملؤها السخرية:

- أنت رجل طيب يا جوجي، سأمنحك قبلة.

رغم أني أدرك أنها تحاول الاستهزاء بي، إلا أنَّني لا أتوانى عن الاقتراب من شفتيها اللتين تقتربان عدة سنتيمترات لتتراجعان في الوقت المناسب، وتطلقان نفخة هواء في فمي:

- إنها قبلة أصدقاء.

سرعان ما تحولت قبلة الأصدقاء الغريبة تلك، لتقليدٍ مرتبطٍ بالوداع بيننا، بتُ أحصل بدلاً من القبلة على نفخة من أنفاسِها. كلما أوشكت على الخروج تزم شفتيها، لأفتح فمي متجرعاً بنهم الهواء الذي تنفثه، أدخله رئتي. أنفاسٌ معطرة ندية دافئة، لطالما فكرت كيف لأحشاء جسدها الباطنية أن تشابه البشر، وهي تفضي بمثل هذا الشذى المثير. لم أكن أعرف وقتها حيلة العطر الذي تستخدمه حول فمها لسلب لبي.

تمكنت نعومي من تشتيت ذهني أكثر من ذي قبل، وباتت قادرة أن تذهب بأفكاري حيثما تشاء. لم يعد يعنيني أن نعود زوجين رسمياً، لماذا نضيع الوقت أريد الحصول عليها سريعاً. أعرف أن وجودها اليومي يشكل خطراً علي، لن أنجو من إغراءاتها، رغم أنها لم تتجاوز لعبة قبلة الأصدقاء السخيفة تلك. بقيتُ على محاولاتي لتجنب الوقوع بشرك فتنتها، الذي كنتُ أتوق للغرق به. مع الأيام،

بات مخططها واضحاً. مخطـطٌ مرتـب لتعـذيبي. ستـستمر نعـومي في إغوائي حتى أستسلم وأتوقف عن المقاومة، وحين أنضج بين يـديها، تمزق قناع الصداقة وتنفـذ خطتـها في إمـلاء الـشروط مقابـل جـائزتي المنتظرة. كنتُ أترقب كل يوم الموعـد الـذي سـتفجر فيـه الموقـف، إلا أنها تهرب في آخر لحظة.

طال انتظاري الشغوف، ولم أعد أحتمل، فبادرتُ بإطلاق إغـوائي نحوها. لكنها لم تبالِ وحدَّقت بي مؤنبة:

- ماذا تفعل جوجي؟ هناك وعد بيننا صحيح؟

- لا يهمني أي وعد، لم أعد أستطيع...

- لا لا.. نحن أصدقاء.

- لا تقولي أصدقاء نعومي، أرجوك!

- يا لك من وضيع... قلتُ لا يعني لا.. تعال أعطيك قبلة..

و حصلتُ على نفخة الهواء المعتادة:

- هذا يكفيك، حتى أنه كثير على علاقة تجمـع بـين صـديقين، أقدم لك استثناء خاصاً.

زادت تلك القبلة الهوائية من إثارتي، وبـدأ امتعاضـي يـزداد يومـاً بعد يوم. لم أتمكن من القيام بـأي شـيء بعـد خروجهـا مـن المـنزل، سوى التجول بين الحجرات كحيوان محبوس، يدفعه إحباطه لتحطـيم الأشياء بعنف.

هـل أدعـو النوبـات المتتاليـة الـتي تقـبض علـي بمعـدلٍ يـومي بالهستيريا الذكرية. لم تكن على مـا يبـدو نوبـات عاديـة إذ أنَّـني بعـد

انتهائها، أستحضر كل جزءٍ من جسد نعومي بوضوح ودقة. قدميها على سبيل المثال حين يتكشفان من طرف الكومينو، أو ربما شفتيها المزمومتين حين تطلقان نفساً في الهواء. كنتُ أتتبع في أحلام يقظني أجزاء جسدها المخفية، فتظهر كصورة فوتوغرافية سلبية، متحولة في أعماق شغفي لتفاصيلِ فينوس. أضحى رأسي خشبة مسرح مغلفة بستارة مخملية سوداء، تعلوها نجمة واحدة. أضواء محاطة من الاتجاهات كلها، جسدٌ بضٌّ متوهج تقربه عدستا عيني شيئاً فشيئاً، جزءاً فجزءاً، كلقطة في فيلم سينمائي. لطالما جلبتْ مخيلتي جسداً حيوياً ينتظر لمسة من يديّ. لكن فجأة، يبدأ الغليان في عروقي، يزداد معدل نبضي لأنتهي بنوبة هستيرية جديدة. أرفس المعقد وأمزّق الستائر وأحطم الزهريات... آه يا نعومي ها أنت تهربين من جديد.

تكررت نوبات التخيل يومياً، لم أكن أحتاج إلا لإغماضة فتتجلى نعومي أمامي. كانت شفتاها هاجسي. كنتُ أرى شفتي نعومي في كل مكان أنظر إليه، في كل نسمة هواء أتشمم أنفاسها. كلما اشتقت لقبلة أفتح فمي للسماء متجرعاً النسمات الرطبة. أضحى طيف نعومي روحاً شريرة تجول الفراغ بين السماء والأرض، تحيطني، تعذبني، تصغي لآهاتي، تضحك تضحك وتهرب مبتعدة.

سألتني ذات مساء:

- تتصرف بغرابة جوجي؟ ماذا حدث لك؟

- تهيم روحي حولك.

- امممم

- ما تقصدين بالهمهمة هذه؟

- أحاول تذكيرك بوعدنا.

- الوعد اللعين، إلى متى؟

- للأبد.

- لا أمزح نعومي.. هذا يصيبني بالجنون.

- أعطيك ما يسكن وجعك.. هيا بعض الماء البادر يفيد.

- أصغِ نعومي.. أنا..

- عدنا، كلما شعرتُ بنظرة الشهوة في عينيك، أروم لمزيد مـن إغوائك، لا تقترب ولا تجعل إصبعك يلمسني.

- حسناً، أعطني قبلة.

- سأعطيك قبلة الأصدقاء، لكن ألن تصيبك بالجنون؟

- لا عليكِ، سأتدبر الأمر.

(27)

طلبت نعومي ذلك المساء أن أجلس قبالتها أمام المائدة بحيث لا يلمسها أي إصبع من أصابعي، كانت مزهوة بالإحباط المكتنف ملامح وجهي، ولم تنتهِ من ثرثرتها حتى منتصف الليل.

- سأقضي الليل هنا جوجي.

- أهلا بك، غداً الأحد، وسأمكث بالبيت النهار كله.

- لكن بقائي لا يعني أن تفعل ما تشاء.

- لا داعي لتذكيري، لستِ من النوع الذي يمكن الإملاء عليه بما أشاء.

- لكن الحقيقة ترغب أن أكون كذلك صحيح؟ اذهب أولاً للفراش وحاول آلا تتكلم أثناء نومك.

دخلتْ الحجرة المجاورة وأغلقت الباب. كان رأسي يدور بما تفعله هناك. لم تكن لتخطر ببالي أمور كهذه حين كنا متزوجين، كانت قربي دائماً، يا للكدر الذي أصابني. كانت نعومي تحدث ضجة متعمدة. تمكنتُ أن أحدد بدقة الزمن حين فكت شعرها وخلعت الكومينو وارتدت قميص نومها، ومتى بالضبط ألقت بجسدها على الفراش وأسدلت الأغطية فوقها.

- ما هذه الجلبة؟ قلتها بصوت موزع بيننا.

- ألا تتمكن من النوم؟

- أجد صعوبة في الإغفاء، تدور برأسي أمور كثيرة.

- أعرفها كلها. لا تخبرني بشيء.

- ياللغرابة، بيننا جدار واحد وأنا عاجز تماماً.

- لا غرابة بالأمر، كنا ننام هكذا في أيام مضت، أول فترة دخلتُ فيها البيت.

يا لنقاء تلك الأيام. تحركت مشاعر دافئة داخلي تجاهها وأدركتُ استحالة الانفصال عن نعومي.

- كنتِ بسيطة جداً يومها.

- مازلتُ، لكنك ماكر.

- قولي ما تشائين، لن أكف عن مطاردتكِ أينما تحلين.

أطلقت عبر الجدار ضحكة عالية.

- أنتِ... طرقتُ على الجدار.

- اهدأ، البيت ليس بين الحقول!

- جدار بيننا، أريد إزالته الآن.

- لم كل هذه الجلبة، الفئران هائجة؟

- ما الغريب في فأرٍ مصابٍ بالهستيريا؟

- لا أطيق الفئران الطاعنة بالسن.

- لستُ كبيراً، أنا في الثانية والثلاثين.

- و أنا في التاسعة عشرة. بالمقارنة بيننا أنت طاعن في السن. تزوج من امرأة أخرى، ربما تشفى من الهستيريا التي أصابتك.

بدأت تسخر من كل ما قلته، وراحت تصطنع الشخير حتى تأكد لي فيما بعد أنها نامت بالفعل.

في صباح اليوم التالي، استيقظت فوجدتها جالسة جوار وسادتي بقميص نومها الفاضح.

- هل أنت على ما يرام جوجي، ماذا دهاك ليلة أمس، أي حماقات قمت بها؟

- نوبات هيستيرية تفتك بي، هل أخفتك؟

- لا، كان الأمر طريفاً، أريد أن أجعلك تعاني منها أكثر وأكثر.

- أنا بخير، وشفيت الآن، يبدو أنه نهار جميل.

- هيا انهض، تجاوزت الساعة العاشرة، استيقظت واستحممت وجئتك لتوي.

نظرتُ إليها وكنتُ لا أزال مستلقياً. لا يظهر جمال المرأة الحقيقي بعد حمامها مباشرة، تحتاج أكثر من خمسة عشر دقيقة لتزول البقع الحمراء عن بشرتها، ولتهمد انتفاخات أطراف أصابعها. لكن حين يهدأ جسدها، تبدأ بشرتها بالحصول على شكل الشمع المصقول الشفاف. بدت بشرة نعومي الخارجة من الحمام ناعمة صافية البياض. كانت المنطقة المحيطة بثدييها المختبئين تحت الكومينو مظللة بالأرجواني الشاحب. أما وجهها فكان لامعاً كأنه مكسوٌ بطبقة من الهلام. جفّ كل جزء من جسدها عدا حاجبيها اللذين انعكست على الجبين فوقهما سماء الشتاء العابرة عبر النافذة.

- لماذا هذا الحمام الباكر؟

- لا يعنيك الأمر، لكنه شعور رائع.

تحسستْ المنطقة التي تعلو شفتيها، وقربت وجهها من عيني فجأة مشيرة إليها:

- هل هناك شعر؟

- نعم

- كان علي نزعه عند محل التجميل!

- لكنك لا تفضلين هذا الأمر، ألا تعلمين ان النسوة الغربيات لا يقربن شعر وجوههن.

- الآن تغيرت الأمور، في أمريكا ينزعن شعر وجوههن، انظر لحاجبي، إنه أمريكي الشكل.

- لقد غير ملامح وجهك كثيراً.

- صحيح، لاحظتَ ذلك متأخراً.

سألتني..

- هل زالت عنك نوبات الهيستيريا؟

- نعم، لماذا؟

- أريد منك خدمة، من الصعب الذهاب للحلاق الآن، هلا ساعدتني في نزع هذه الشعيرات عن وجهي؟

- أتقصدين تسليمي لقبضة النوبات من جديد؟

- أبداً لا أقصد، أنا جادة في طلبي، لكن الأمر خطر إن عاودتك النوبات، قد تجرحني!

- افعلي ذلك بنفسك، سأعطيك آلة الحلاقة.

- لن أتمكن من ذلك وحدي، فأنا أريد إزالة الشعر من مؤخرة عنقي حتى كتفي أيضاً.

- لماذا كل ذلك؟

- فستان السهرة عاري الكتفين.

كشفتْ عن كتفيها وقالت:

- انظر أحتاج الحلاقة حتى هنا، ثم غطت كتفيها بسرعة.

كنتُ أعلم بما تضمره لي، ذهبتْ للحمام باكراً لإغرائي، والآن تدخلني في حلاقة كتفها بتحد جديد. كيف لي أن أرفض هذه الفرصة بالإمعان القريب ببشرتها ولمسها.. بالطبع سأقبل.

قمتُ بتسخين الماء واستبدلت آلة الحلاقة بواحدة جديدة، بينما نقلت نعومي الطاولة قرب النافذة جلست جاثية على ركبتيها، جاعلة من مؤخرتها بين قدميها. واضعة منشفة بيضاء حول رقبتها استدرتُ لأكون خلفها، رطبتُ الصابون وأوشكت على الحلاقة حين قالت:

- هناك شرط جوجي:

- شرط؟

- نعم شرط بسيط.

- ماهو؟

- لا تستعمل الحلاقة ذريعة لان تلمسني أصابعك، احلق دون أن تلمسني.

- لكن...

- بدون لكن، في محل التجميل لا يمس العامل الزبونة.

- هل تشبهينني بعمال التجميل؟

- إن لم يروقك الأمر لا أجبرك.

- لا أعني أنه لم يرقني، دعيني أحلق لك، رجاء، كل شيء جاهز.

- أتقبل شرطي؟ وأبعدت شعرها وياقة ثوبها عن رقبتها.

- أقبل.

- بدون لمس أبداً.

- لن ألمسك.

- إن لمستني ولو بالصدفة، سألغي الحلاقة. هيا ضع يدك اليسرى في جيبك.

امتثلتُ لما طلبت وبدأتُ بإزالة الشعر الموجود حول فمها بيدي اليمنى فقط. كانت مستمتعة بحركة الموس المثير فوق بشرتها، أحسست بنبض شريانها السباتي تحت الذقن. كنتُ قريباً جداً حتى أن رموشها وخزت وجهي. يا لمسامات وجهها تحت الضوء الساطع، أستطيع عدها الواحدة تلو الواحدة، لم يسبق لي أن كنتُ قريباً من وجهها الذي أعشق لهذه الدرجة. ما كل هذا الجمال الفاخر، عينان رائعتان، أنف شامخ كبنيان فخم، شفتان حمراوان مكتنزتان. إنها المعجزة حين تتجسد بوجه.

وضعتُ المزيد من الرغوة فتحركت الفرشاة بنعومة. ليزحف بعدها الموس بسلاسة فوق البشرة المنحدرة من مؤخرة العنق حتى الكتفين وبداية الظهر. إنها تحفظ وجهها الجميل، لكن هل تعي شيئاً عن ظهرها العريض البض؟ أنا من يعرف هذا الظهر، إنه أيقونة من أيقونات عشقي، أنا من حممته يومياً وتجولت أصابعي فوقه وتركت أجزاءها هناك.

- يدك ترتجف جوجي، انتبه!

ليست يدي، إنه رأسي، جسدي كله، إنه فمي الذي جف عن آخره. حاولتُ بكل قوة أن أكبح ما أشعر به، لكن الدم ظل يصعد ويهبط بدون توقف في أجزائي كلها.

لم تنهِ نعومي تعذيبي.. شمرت عن كمها، رافعة كوعها:

- إبطي الآن!

- ماذا إبطك؟

- نعم يتوجب نزع الشعر من تحت الإبط، من المعيب ظهور شعر الإبطين تحت الملابس الغربية.

- يا لقسوتك!

- أنا قاسية، لماذا؟ يا للغرابة، هيا احلق بسرعة أشعر بالبرد.

لم أتمالك نفسي، فألقيت آلة الحلاقة وأمسكت كوعها، فدفعتني بما ساعد أصابعي لمس موضعٍ ما، دفعتني بقوة، ونهضت تصيح:

- ما الذي فعلته؟

كان وجهها شاحباً، ربما أصيب بعدوى الشحوب الذي اعتراني.

- توقفي نعومي، أرجوكِ كفي عن إثارتي. سألبي لك كل ما تطلبين.

رحتُ أهمهم بكلمات غير مفهومة، مهتاجاً كمن غلبته الحمى. وقفت نعومي كعادتها صلبة صامتة مشدوهة.

ركعت عند قدميها وقلت:

- لم لا تردين علي؟ إن كنتِ لا ترغبين بي، اقتليني!

- مجنون!

- نعم مجنون، أين الخطأ في أن أكون مجنوناً بك!

- من يربط مصيره بمجنون؟

- هيا.. تعالي امتطيني أنا حصانك، آلا تشتاقين لهذا؟

جثوتُ على أطرافي الأربعة، وأعتقد أنها تأكدت لحظتها أنني أصبتُ بالجنون فشحب وجهها وتندى الذعر من ملامحها، لكنها لم توفر الفرصة لتمارس قسوتها المعتادة، وثبت فوق ظهري وصاحت:

- هل ارتحتَ الآن؟

- نعم.

- هل تنفذ كل ما أطلبه؟

- سانفذ.

- هل ستنفق على كل متطلباتي؟

- سأنفق.

- هل ستهبني الحرية فيما أرغب بفعله، وتتوقف عن دس أنفك في كل شيء؟

- سأفعل.

- هل ستناديني الآنسة نعومي بدلاً من نعومي؟

- نعم

- متأكد؟

- متأكد.

- حسناً إذاً، أيها الإنسان المسكين.. تعال أهبك ما تستحق كإنسان وليس كحصان.

و سرعان ما غطتنا رغوة الصابون...

- أخيراااا يا نعومي. لن أدعك تبتعدين عني أبداً مرة أخرى.

- هل عانيت كثيراً حين هجرتك؟

- نعم، ظننتُ أنك لن تعودي إلي.

- أرأيت ماذا يحدث لك في غيابي؟

- نعم رأيت.

- إذاً لن تنسى ما وعدت به قبل قليل صحيح ! سنكون زوجين، لا مشكلة لدي، لكن لا أطيق الزواج الصارم المتزمت، قد يودي بي لترك مرة أخرى.

- آنسة نعومي، هذا ما سأقوله، لا عليكِ.

- هل ستدعني أذهب لحفلات الرقص؟

- نعم.

- لدي أصدقاء كثر، هل ستشكو كما كنت تفعل؟

- لا لن أشكو.

- لم أعد أقابل ما شان.

- هل قطعتِ علاقتك به؟

- إنه كريه، لدي أصدقاء غربيين أكثر مرحاً من اليابانيين.

- هل تقصدين المدعو ماكونيل، المقيم في يوكوهاما؟

- لـدي الكـثير مـن الأصـدقاء، كمـا أن علاقـتي ب ماكونيـل لا شيء مشين فيها، تعرف ذلك.

- أتساءل فقط.

- انظر لعيبك، دائم الشك، عليك تصديقي فيما أخبرك به، اتفقنا؟

- اتفقنا.

- هناك أمر آخر. ماذا ستفعل بعد استقالتك من الشركة؟

- كنت أخطـط للعـودة إلى الريـف. لكـن بمـا أنـك عـدتِ إلي سأصفي ما أملك نقداً وأجلبه هنا.

- كم المبلغ؟

- أعتقد أنها تساوي حوالي الثلاثمائة ألف ين.

- أهذا كل شيء؟

- يكفينا نحن الإثنين.

- هل يحقق لنا الرفاهية؟

- لا أعتقد أن الأمر بهذه البساطة، سيتوجب علي العمل بـشكل مستقل برأس المال هذا.

- لا يمكن أن تهب العمل كـل مالـك، عليـك تخـصيص جـزء يمكنني من العيش برفاهية، اتفقنا؟

- نصف المبلغ لي! مائة وخمسون ألفاً!

- لم تتركي شيئاً للأزمات!

- إنها ضريبة عودتي لزواجنا، ألست من يحدد الشروط الآن؟

- لا تهتمي، أنا مستعد لشروطك كلها.

- إن كنت متردداً، أعلن ذلك الآن، الوقت في صالحك.

- أوافق نعومي.. أوافق.

- ثمة أمر يخص البيت هذا، أحتاج بيتاً أكثر عصرية.

- سننتقل من هنا بكل الأحوال.

- أريده بحي يقطنه الأجانب. بيت بحجرة نوم خاصة وحجرة طعام، أريد خادمة فيه وطباخة.

- هل هنا في طوكيو مثل هذه البيوت؟

- في يوكوهاما، ثمة بيت للإيجار، ذهبت لرؤيته منذ أيام.

يا للخطة الإغواء المحكمة، حين يضحي انهيار الرجل سبيلاً لتحقيق الأهداف جميعها.

(28)

أربعُ سنوات مضت، استأجرنا المنزل الغربي لفترة من الـزمن، ثم ضاق على نعومي بما جعلنا نشتري مـنزلاً جديـداً بأثاثـه في هوكومـو كان لعائلة سويسرية. تعرض البيت بعدها لحريق بسبب زلـزال هائـل، نجا منه معظم الأثاث، متسبباً بتشققات ضئيلة ببعض الجدران، لكننـا لم نغادره حتى الآن.

استقلتُ من الشركة في أويماشي كما خططتُ. أسستُ بعد تـصفية ممتلكاتي في الريف شركة لتصنيع وبيـع معـدات كهربائيـة، شـاركني برأس المال أصدقاء دراسة سابقين. كنـتُ أداوم بالمكتـب يوميـاً بنـاء على طلب نعومي التي لم تكن تحبذ لسبب ما بقائي في المـنزل طـوال الوقت. أغـادر يوكوهامـا لطوكيـو في حـدود الحاديـة عـشرة صـباحاً لأعود في الرابعة عصراً بعد أن أبقى في المكتب بضع ساعات.

مخدع السيدة مكان مقدس، لا ينبغي على احد اقتحامه دون إذن. كما أشارت نعومي في بداية انتقالنا، مختارة الحجرة الأكبر مخصـصة حجرة لي لا تجاورها فعلياً، إذ يقف بيننا حمام ومرحاض السيدة.

غرفة مطلة على وجهتي الجنوب والشرق، بحيث يشرق فيهـا أول ضوء للصباح، بينما يمتد سـاحل هوكومـو أسـفل شـرفتها. في وسـط الحجرة يمتد سرير يتسعُ لعشرين فراشاً يابانياً، السرير مع فراشـه كـان خاصاً بدبلوماسي في إحدى السفارات في طوكيـو. لـه سـقف خـشبي تنسدل منه ستائر رقيقة بيضاء.

دأبت نعومي على تأخير نهوضها من السرير بعد جلبه لفترة طويلة، كما أنها تعودت قبل أن تغسل وجهها على احتساء الشاي بالحليب في الفراش، وتدخين سجائر الديمترينو وتصفح جريدة مياكو. كانت تهتم بمجلات كلاسيك وفوج، ليس بدافع القراءة بمقدار اطلاعها على التصاميم والأزياء الغربية. تعد لها الخادمة هذه الأثناء الحمام، لتعود لسريرها من جديد لتلقي بعض التدليك. تصفف شعرها وتلون أظافرها. تضع المساحيق وترتدي الكومينو بزمن يمتد حتى الواحدة والنصف لتصل حجرة الطعام.

يحلُّ المساء فتقضي سهراتها في الخارج، يدعوها الأصدقاء لبيوتهم. أو أنها ترود بعض الفنادق لترقص.

أصدقاء نعومي كثيرو التبدل. قاطعت كوماجي وهامادا بشكل تام. بينما ظل ماكونيل صديقها الأثير لفترة من الوقت حتى حل محله رجل يدعى دوجان، وبعده اوستاس، وكلاهما أبغض من الآخر. أوستاس هذا لكمتُه، غير مصغٍ لصوتها ينعتني بالمجنون، في إحدى الحفلات الراقصة بعد أن بالغ في تملق نعومي. وغير مبالي بنداءات الجمع لي بجورج، الاسم الذي يطلقه الغربيون علي. بعد هذه الحادثة لم يعد اوستاس يرتاد بيتنا، لكن نعومي بالمقابل أملت علي شرطاً مقابلاً لما حدث، قبلتُ به.

أصبحتُ مطيعاً، بما يثير الدهشة، تجربتي القاسية مع فقدِ نعومي، جعلت من الذكرى هاجساً مريراً لايمكن إزالته من ذهني. كانت كلماتُ نعومي لا تنفك تصدع بأذني: "أرأيت ما يمكنني فعله بك؟".

أدركتُ منذ زمن طويل أن هذه المرأة أنانية ومزاجية. ربما لو كانت غير ذلك لفقدت قيمتها عندي. تتفوق علي الآن بكل المجالات، خاصة في اللغة التي أجادتها بالمطلق بعد معاشرتها للغربيين، حتى أنهم حين يحادثونها سرعان ما تأخذ مكانة مميزة في أفئدتهم كسيدة راقية جميلة.

تبلغ نعومي الآن ثلاثة وعشرين عاماً، بينما وصلتُ للسادسة والثلاثين من عمري. روايتي التي لا أعرف كيف تنظرون لي من خلالها، انتهت هنا، يحق لكم قول ما تشاؤون عن رجل فاقد الثقة بنفسه، تائه، منقاد لقلبه.

لكن هذا لن يغير من الحقيقة شيئاً، فأنا أحبُّ نعومي.

* * *

نبذة عن المؤلف

ولد جونيشيرو تانيزاكي عام 1886م في مركز حي الأعمال بمدينة طوكيو حيث كانت أسرته تملك دارًا للطباعة. درس الأدب الياباني في الجامعة الإمبراطورية بطوكيو .

ظهرت باكورة كتاباته وهي تمثيلية من فصل واحد عام 1909م في مجلة أدبية ساعد هو في تأسيسها.

توحي قصصه الطويلة الأولى بأن حياته كطالب كانت حافلة بمظاهر البوهيمية التي كانت تعتبر بدعة ذلك الوقت، وكان شديد التأثر بيو، وبودلير، وأوسكار وايلدر.

عاش تانيزاكي في الحي الدولي بطوكيو حتى زلزال عام 1923م حيث انتقل إلى منطقة كيوتو أوزاكا.

تعلق تانيزاكي بالتاريخ الياباني، وترك مظاهر الحضارة الغربية، وأجمع النقاد اليابانيون على أن هذه الأزمة العقلية والعاطفية حولته من كاتب مجيد إلى كاتب عظيم.

كتب تانيزاكي أهم قصصه بعد عام 1923م وبينها:

"العاشق الأبله" أو "نعومي": عام 1924م.

"البعض يفضلون الشوك" عام 1928م.

"الدوامة" عام 1930م.

"اشيكاري" عام1932م.

"قصة جنجي ـ صياغة جديدة للقصة" عام 1939م-1943م.

"الشقيقات ماكيوكا" عام 1943م.

"والدة الكابتن شيجموتو" عام 1949م.

"المفتاح" عام 1956م.

"مذكرات مُسنٍّ مجنون" 1961.

نال الجائزة الإمبراطورية في الآداب عام 1949.

توفي في عام 1965.